ابريل (نيسان) ١٩٨٤ ـ رجب ١٠٤



المختار

من ريدرز دايجست

يوم سرقت الموناليزا!

(ص ١١٣)

ماذا يريد الرجل من المرأة؟

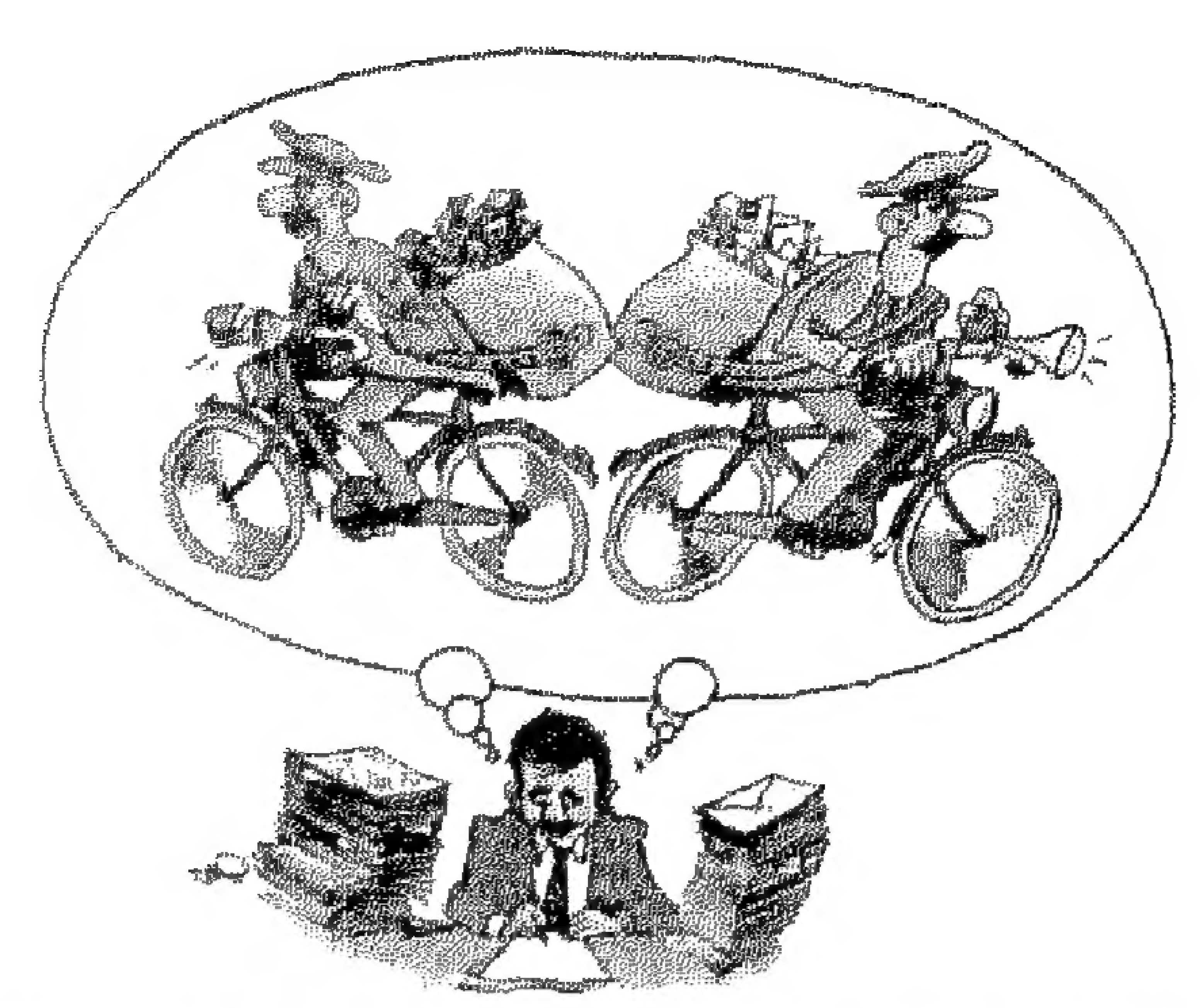
(ص ٦٥)

الدماغ اخترعه الصينيون

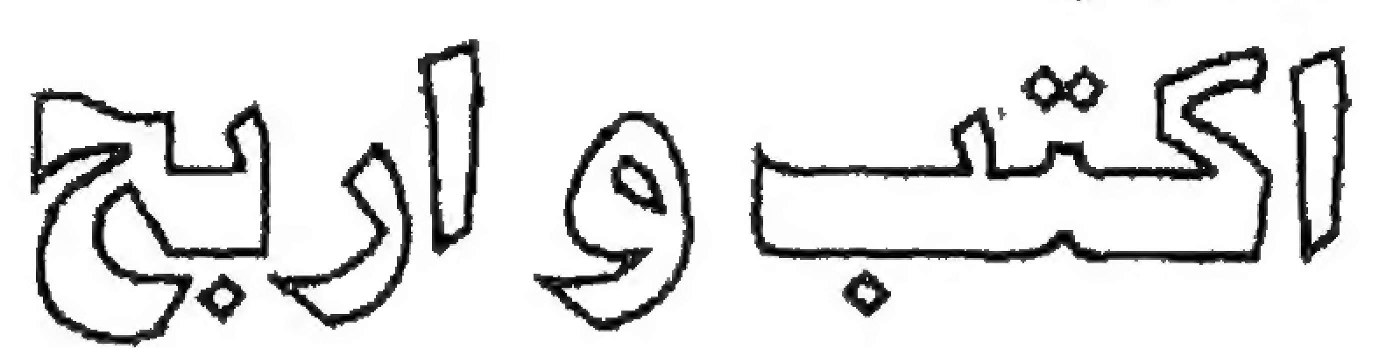
(ص ١٠٤)

لبنان ٦٠٠ق ـ سورية ٧٠٠ق ـ الاردن ٧٠٠ف ـ الكويت ٧٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٩د ـ قطر ٨ر ـ البحرين ٨٠٠ف ـ السعودية ١٠ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ١ج ـ ليبيا ٧٠٠د ـ اليمن ٨ر ـ مسقط ٨٠٠ب ـ العراق ٨٠٠ف ـ تونس ٦٠٠م ـ المغرب ٥د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ١٠ف ـ انكلترا ١ج ـ اليونان ١٣٠د ـ كندا وأمريكا الشمالية ٢،٥٠د

AL MUKHTAR min Reader's Digest April 84 No 65



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:



اكتب واربح

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود، وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

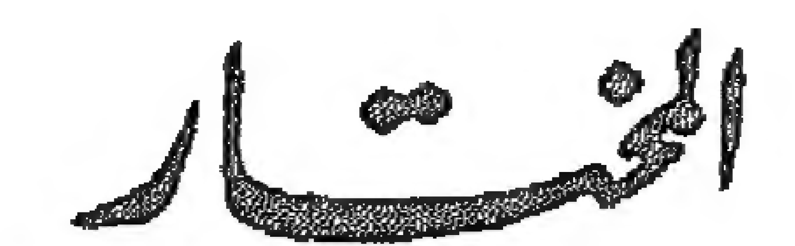
المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة، ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي ـ بناية الشرتوني ـ ص: ب ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.





من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ادمون صعب •
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري •

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":
رئيس التحرير: ادوار ت• طومسون • مدير التحرير: ألان دوليرو • المدير العام: جون ا • اوهارا •

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس• الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية ـ بيروت • التحرير والادارة: بناية حنا للمكاتب، الطابق السادس، شارع المقدسي ـ بيروت • ص•ب• ٨٧٠٧ ـ ١١ التلكس (الموقت) 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت • الطباعة: سيكو، بيروت ـ لبنان• التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات •

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية اضافة الى العربية •

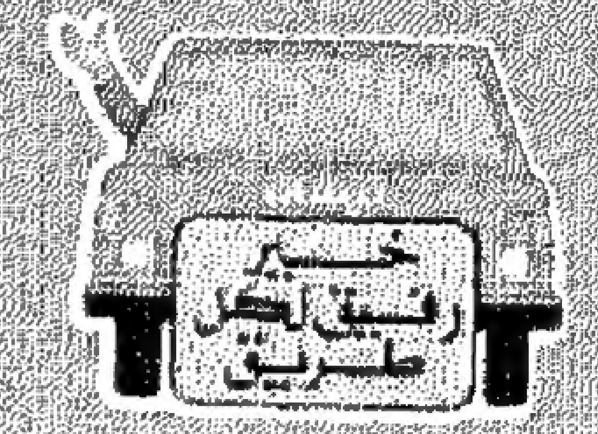
الغلاف: سيدة الحديقة (زيتية للامريكي فريدريك كارل فريسكي)

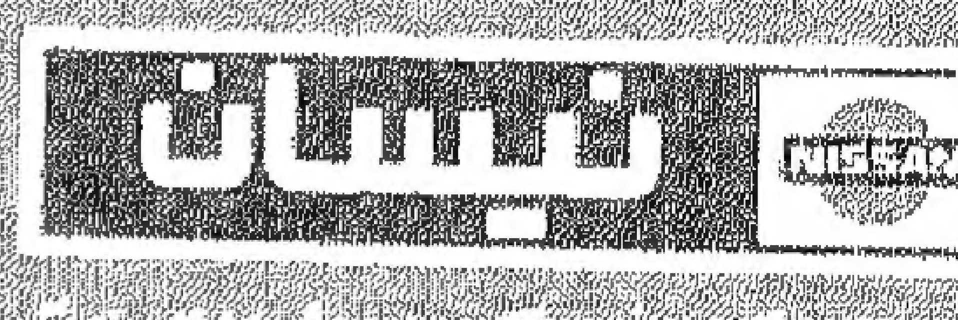
AL MUKHTAR min Reader's Digest
April 84 No 65 (New Series) Vol. 6



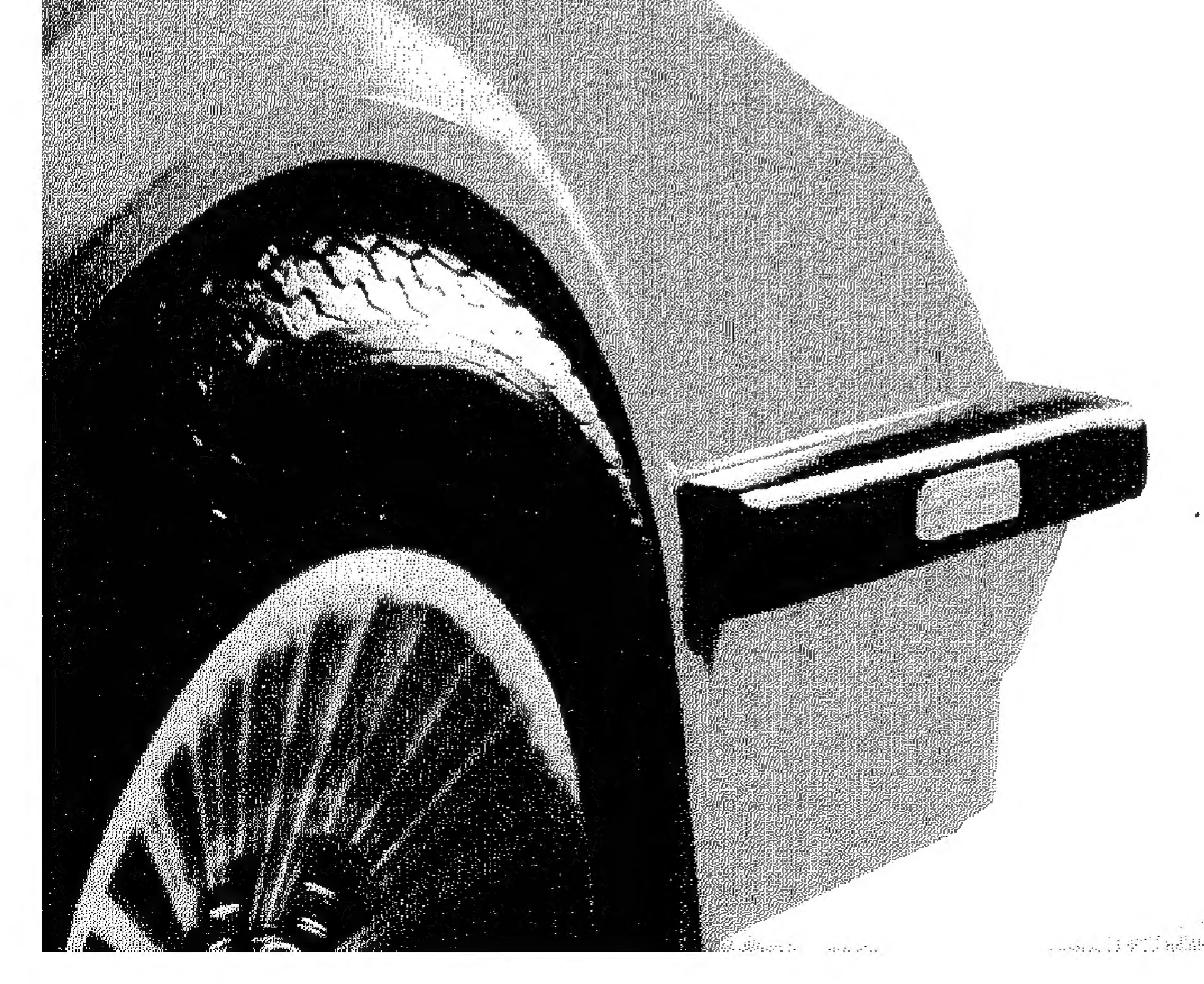
اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة •

إلى الأمام نحو خمسين عاماً أخرى من الانجازات





لقد اخترنا أن نكون في المقدمة



ليس الابطال انصاباً تناطح السحاب،
بل هم من يقول: "هذه جماعتي،
ومسؤوليتي ان اجعلها افضل..."

أبطال مِن عَالم اليَوم

المنقذ

كانت انجيلا فيفير تقود سيارتها لدى عودتها الى منزلها في احدى ليالي ايلول (سبتمبر) ١٩٨٣، وهي عزمت على سلوك طريق مختصرة تمر عبر جوار من السوقة قرب ميامي في فلوريدا. وفجأة برزت امامها سيارة واصطدمت بسيارتها. فدارت سيارة انجيلا ثم توقفت. وعندما حاولت الصبية ذات التسعة عشر عاماً معاودة ادارة محرك السيارة تحلق حولها جمع من ٢٠ رجلاً.

فتحت انجيلا زجاج سيارتها لتطلب مساعدة احد الرجال، فسارع احدهم وانتزع سواراً من معصمها، وبينما هم آخر بالدخول من النافذة المفتوحة مر جون آير فابطأ من سرعة شاحنته مستطلعاً الامر. فانبرى له هؤلاء صائحين: "انها بخير". لكن جون الذي يبلغ طوله ١٧٥ سنتيمتراً ويزيد وزنه على ٧٣ كيلوغراماً، قرر ان يتأكد من الشاحنة وترجل منها ثم فتح باب سيارة انجيلا، وقال بهدوء: "تعالي معي، ستكونين في امان".



جون آير

خرجت انجيلا على مهل يطوقها


طعم طبيعي لا يقاوم
FULL CREAM
powdered milk
FRANCE
LAIT
INSTANT
كريم يسعد الآلاف
ترقبوا كريم وهداياه تقدمة
فرانس ليه
يسعد فرانس ليه أن تعرفكم على كريم.
انتظروا قدوم كريم الى المملكة العربية السعودية
ومتى شاهدتموه تحصلون منه على هديتكم،
إذ أنه سوف يقدم آلاف الهدايا للكبار والصغار
لا تنسوا هدية الصحة في حليب فرانس ليه.
الملايين تنعم مع
فرانس ليه

جون بذراعه، وبدأا بالمسير نحو شاحنته فيما الرجال يتبعانهما. وعندما اصبحت الفتاة ومنقذها في منتصف الطريق الى الشاحنة ضُربت انجيلا على رأسها وسرقت حقيبة يدها. فتكومت على نفسها متخوفة من الاغتصاب. وقالت في سرها: "يا الهي، لا تدعهم يعتدون علي". وحطم احدهم فك جو فتداعى لكنه ما لبث ان انتصب مجدداً.

وبينما الاثنان على هذه الحال مر بهما سائق دراجة نارية، فهاله المشهد واطلق بوق دراجته، فانكفأ المهاجمون موقتاً مما فسح لجون وآنجيلا مجال الهرب.

وعلى رغم ان انجيلا لم تصبها سوى كدمات بسيطة فان فك جون كسر واصيب جسمه برضوض وجروح.

واظهر تصرف جون عواطف سكان ميامي فعرضوا تغطية تكاليف معالجته في المستشفى. وأرسلت اليه انجيلا باقات من الزهر وعادته مرات عدة في المستشفى. كما تلقى ٣٠٠ مكالمة هاتفية على الأقل من أشخاص يثنون على بطولته، وكانت احدى هذه المكالمات من الرئيس رونالد ريغان الذي ابلغ جون ان ما قام به يعد من اكثر الاعمال جرأة وبطولة، وانه بذلك رفع معنويات الشعب الامريكي كله.

وصرح هوب، والد جون، وهو يعمل مديراً لمخزن خردوات: "تقدم الي الناس وبعضهم كان ينتحب مما أثار ارتباكي. وقد سلموني نقوداً وشيكات قائلين: "ارجوك، اعطها لجون".

وتولت ادارة المستشفى تغطية النفقات التي لم يشملها التأمين الطبي، وعرض اطباء ومحامون وممرضات المساعدة.

ولدى سؤاله عما دفعه الى المخاطرة بحياته، خطّ جون آير العبارة الآتية على صحيفة بجانبه: "كنت الوحيد الذي يستطيع ان يمدّ يد العون، وكان علي ان أبذل جهدي".

■ ي.ب.

المربي

بدأ ليونيل براون يومه الاول في مدرسة بلوم في سينسيناتي بركلة



Bloom Junior High

ليونيل براون

فطرد ٥٠ تلميذاً. ولاحظ المدير البالغ ٣٦ عاماً، ان التلاميذ ينساقون الى المدرسة فارغي الأكف. فطلب من استاذ كل مادة ان يعين لتلاميذه فروضاً منزلية كما الزم كل تلميذ بان يحمل كتبه الى بيته كل مساء.

وكان ليونيل ينتظر التلاميذ على باب المدرسة كل صباح ليتأكد من احضارهم كتبهم.

وللحكاية بقية. فعلى التلاميذ ان يقرأوا ويكتبوا جملا كاملة، وترسل

110 x 2.000 DM	120 x 2.000 DM	130 x 2.000 DM	140 x 2.000 DM	150 x 2.000 DM	2.000 x 2.000 DM
1.100 x 1.000 DM	1.200 x 1.000 DM	2.300 x 1.000 DM	2.400 x 1.000 DM	2.500 x 1.000 DM	10.000 x 1.000 DM
11.100 x 240 DM	11.200 x 360 DM	11.300 x 480 DM	12.400 x 600 DM	12.500 x 720 DM	66.000 x 720 DM
12.378 = 8.292.000 DM	12.607 = 10.058.000 DM	13.827 = 12.773.000 DM	15.047 = 15.097.000 DM	15.267 = 16.950.000 DM	78.335 = 70.770.000 DM

Start of next Lottery: October 1984

How to participate:

1 You order your ticket with on the order coupon below.

2 Within days you receive your ticket together with an invoice and the official drawing schedule with rules and regulations.

3 PLEASE INCLUDE PAYMENT WITH YOUR ORDER. You can also pay for your ticket after receipt of the invoice. Payment can be made by personal check,travellers check, bank transfer (add remittance bank charge) or in cash via registered air mail (cash at your own risk).

4 After each class you will receive the official winning list together with the ticket of the next class via air mail.

5 If your ticket has been drawn, you will immediately receive a winning notification. Your drawn ticket is eliminated from the game, therefore we will offer you a new ticket (replacement-ticket) so that you can keep on playing right up to the 6. class.

6 Your prize-money will be transferred to you within one week of your request by check or any other way you desire. Of course, if you hit a jackpot you can come in person to collect your prize in cash.

7 If you are already our customer, please do not order, because you receive the ticket automatically for the next lottery.

You can be sure you will receive fast, honest and confidential service. Now it is up to you, therefore order and mail the coupon today.



HANS HERZOG
Hans Herzog Alsterdorfer Str. 326
D-2000 Hamburg 60 W.-Germany

Lots of Luck

Your chance to win: 1:3

If coupon is missing, write for information.

I try my luck and order!

All classes (1st - 6th class) 72. Lottery, beginning April 6, 1984 to September 28, 1984

Please fill in number of tickets you want to order.

		DM	or	US$*	or	£*
	1/1 ticket	741.00	●	276.50	●	190.00
	1/2 ticket	381.00	●	142.20	●	97.70
	1/4 ticket	201.00	●	75.00	●	51.55

* US$ prices and £ prices are subject to rate of exchange.

Prices are for all 6 classes including air mail postage and winning list after each class. No additional charges. Rate of exchange: Dec. 1983

Service
Worldwide

Mail coupon to

Hans Herzog
Alsterdorfer Str. 326
D-2000 Hamburg 60 W.-Germany

Please write in German ☐ English ☐

Please print in clear letters.

72/57 Mr. ☐ Mrs. ☐ Miss ☐

FirstName

LastName

Street

P. O. Box

City

Country

Do you want to become a millionaire?

You can. Now we offer this opportunity 25 times 1 MILLION DM!

GOVERNMENT
W-Germany
CONTROLLED

NEW

2 Million DM guaranteed Super Jack Pot

400.000 tickets – 147.461 prizes
Total prize money over 133 million DM

39.603 ADDITIONAL PRIZES
A prize of DM 20.000 up to 2 million DM falls on almost every 1000. ticket number.

This is exceptional. An inheritance or business venture could never offer you such a chance! The NORTH-WEST-GERMAN-STATE-LOTTERY offers you the possibility to belong to an international group of clever participants. All prizes are quoted and paid out in German Marks (DM). This is where your advantage is. The West German Mark has been one of the strongest currencies in the world for years.
Each lottery runs over a period of 6 month, one class per month. There are 400.000 tickets with 147.461 prizes totalling over 133 Million DM. A total of 242 jackpots ranging from 100.000.– to 1 Million DM are raffled-off plus plenty of medium and smaller prizes. It is also possible that 10 prizes of 100.000.– DM will be combined into a **Super-Jackpot of 1 Million.**– determined in pre-drawings. That means that 24 prizes of 1 Million DM plus 2 guaranteed prizes of 1 Million and 2 Million each will be drawn = **26 Super Jack pots = 26 Millionaires.**
Name us another game where this is possible! The drawings are held in public and supervised by state auditors. All prizes are guaranteed by the German Government. The great thing is that nobody will find out about your winnings, because you – as a player – remain anonymous.

PRIZE-SCHEDULE

400.000 ticket numbers in the game
147.461 winning numbers

37 out of 100 numbers are winners

1. Class April-Drawings '84	2. Class May-Drawings '84	3. Class June-Drawings '84	4. Class June/July-Drawings '84	5. Class July/Aug.-Drawings '84	6. Class - Main draw Aug./Sep.-Drawings '84
1 MILLION DM main price guaranteed	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM
1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM
1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM
1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM	1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM
					1 MILLION DM or 10 x 100.000 DM
					2 MILLION DM SUPER JACK POT
1 x 50.000 DM	5 x 50.000 DM	6 x 50.000 DM	7 x 50.000 DM	8 x 50.000 DM	14 x 50.000 DM
1 x 25.000 DM	2 x 25.000 DM	6 x 25.000 DM	7 x 25.000 DM	8 x 25.000 DM	14 x 25.000 DM
1 x 20.000 DM	2 x 20.000 DM	3 x 20.000 DM	7 x 20.000 DM	8 x 20.000 DM	14 x 20.000 DM

دفاتر علامات المتوسطين والراسبين الى ذويهم كل اسبوعين. وذهب ليونيل الى ابعد من ذلك فكان يدعو الأهل الى المثول امام القضاء في حال تمادي ابنائهم في التغيب عن المدرسة.

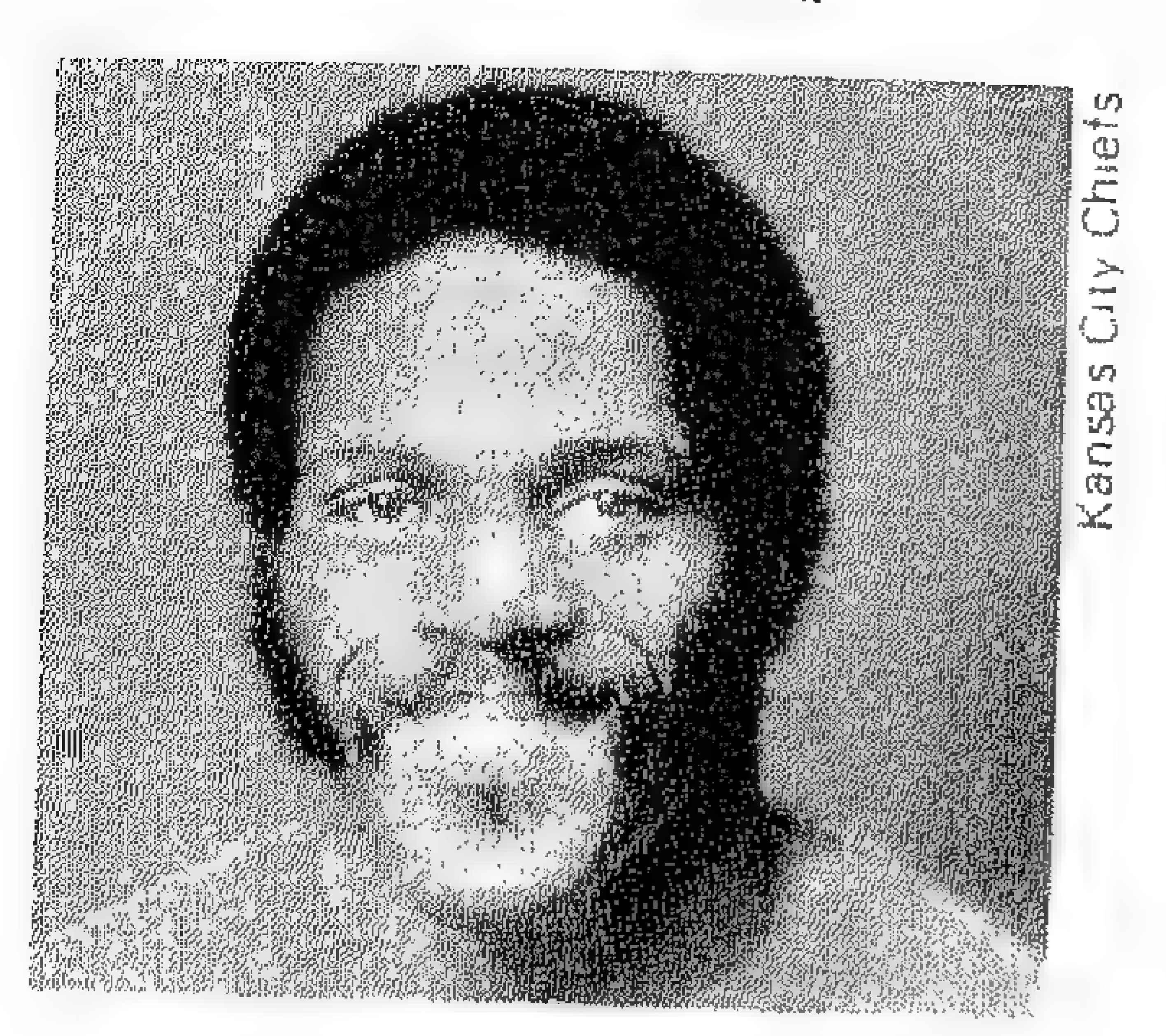
في البداية ظهرت طموحات ليونيل انها متفائلة اكثر من اللازم، فقد جاء ترتيب مدرسة بلوم في ادنى المستويات سواء من حيث النظام المدرسي او من حيث أداء التلاميذ. فكانت نسبة الحضور في المدرسة ضعيفة (نحو ٥٩٪) ونسبة المتفوقين هزيلة (قرابة ١٥ تلميذاً من اصل ٦٠٠ أدرجت اسماؤهم على لائحة الشرف). لكن في نهاية العام الدراسي (١٩٨٣) أصبح عدد المتفوقين ١٦١ وارتفعت نسبة الحضور الى ٨٨٪.

ويطمح ليونيل براون الى جعل مدرسة بلوم رائدة في ميدانها تجتذب جميع التلاميذ من المدارس الأخرى. ومع ان الطابع الاسود غالب على رواد المدرسة فان ليونيل لا يعير اهتماماً خاصاً مناسبات مثل "اسبوع السود" وهو بدل ذلك يولي اهتمامه "اسبوع الانسان". وكانت النتيجة ان التلميذ الأبيض الذي كان لدى تسلم ليونيل ادارة المدرسة وحيداً لم يعد كذلك اذ انضم اليه ٦٠ آخرون من التلاميذ البيض.

■ طوني لانغ

المضحي

في حزيران ١٩٨٣ قاد جو ديلاني نجم فريق كنساس سيتي لكرة القدم سيارته مسافة ١٦٠ كيلومتراً، منطلقاً من هاوتون الى مونرو لحضور احتفال بيوم الطفل في متنزه شينولت.



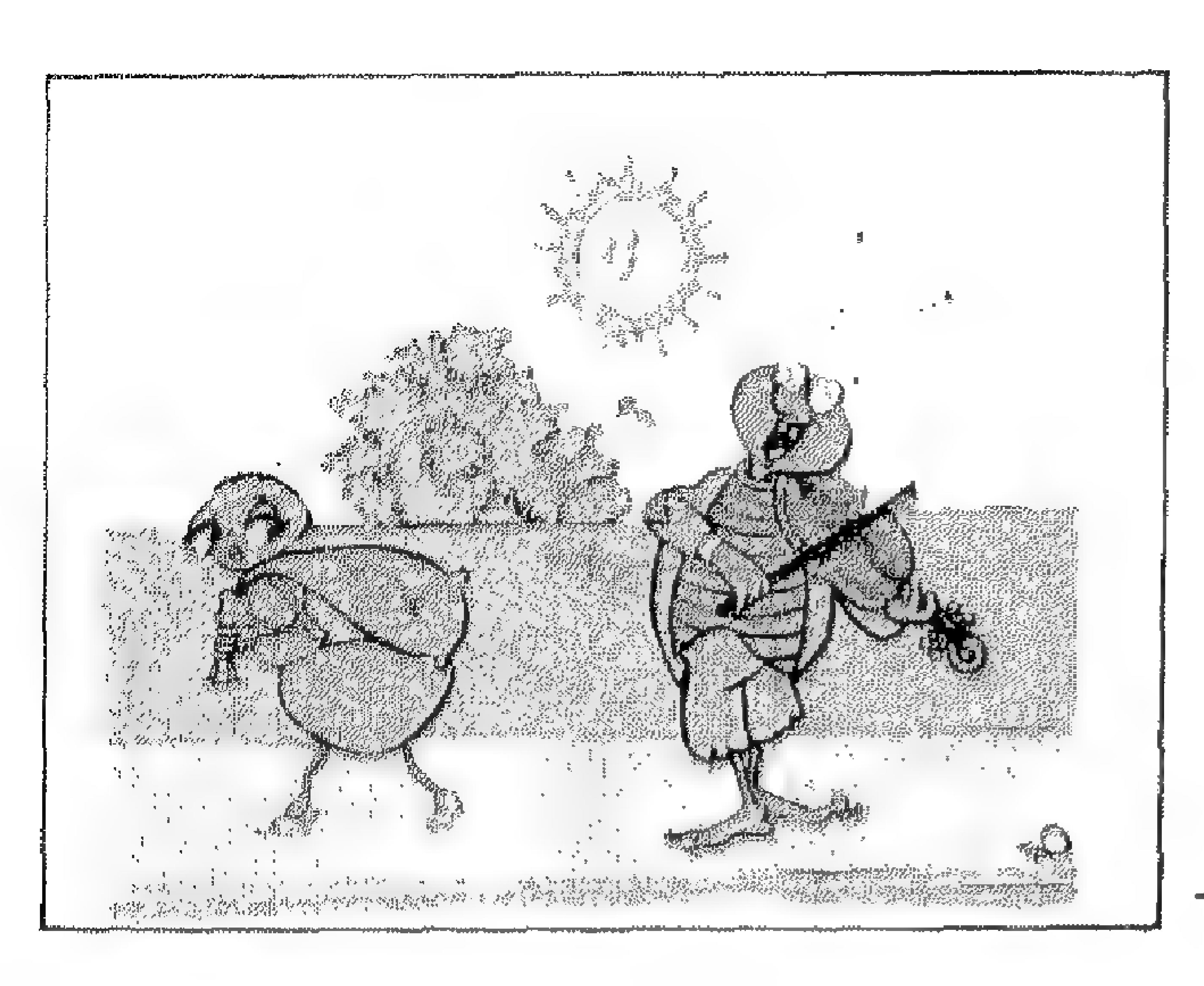
جو ديلاني

وتناهى الى سمعه، وهو يلعب البيسبول في المتنزه، صرخات استغاثة. وتبين ان مصدرها ثلاثة اطفال زلت بهم القدم في حفرة عميقة مليئة بمياه الأمطار. فهب لمساعدتهم، وسأله احد الاشخاص: "هل تحسن السباحة؟" فأجاب: "لا، ولكن علي ان انقذ هؤلاء الاطفال، فاذا لم اصعد الى سطح الماء، اذهب واحضر من ينقذنا".

بذل جو وسعه للمساعدة، لكن احد الاطفال غرق وانتشل آخر غير انه ما لبث ان فارق الحياة في اليوم التالي، اما الثالث فبقي على قيد الحياة. وكان جو بدوره في حاجة الى من ينقذه، لكن المساعدة جاءت متأخرة.

في يوم الاحتفال بذكرى استقلال الولايات المتحدة في مدينة هاوتون نقل جثمان جو ديلاني الى مثواه وهو لم يتجاوز الرابعة والعشرين من العمر.

■ ايرا بركو



حديقـــة أفكار

- لكم هو جميل ان تحصل على الزهر وأنت قادر بعد على شمّ العبير.

المغنية السوداء لينا هورن

- كم تبدو وظيفتك تافهة وأنت تطلب زيادة على الراتب، وكم تبدو مهمة اذا حصلت على هذه الزيادة.

ا.م.

- السرنديبية، أو اكتشاف الاشياء السارة مصادفة، هي ان تبحث في كيس التبن عن مسلة، وأن تعثر على ابنة المزارع عوضاً عنها.

ر.س.

- لو أعطي القناع وقتاً لاستحال وجهاً.

مارغريت يورسنار (كاتبة فرنسية)

- الدمع للعينين كالصابون للجسد.

مثل قديم

- الكتاب حديقة نحملها في جيوبنا.

مثل عربي

- قال أحد المغنين: "ان فمي ملعب للكلمات."

ك.ن.

- العمر ثمن باهظ ندفعه لنضجنا.

توم ستوبارد (كاتب مسرحي بريطاني)

- على المرء ألا يتوقع أن يكون كل ما في العالم منسجماً مع طموحه.

كارل ساغان

إن الساعة التي يرتديها المرء

في معصمه هي في نظرنا أكثر من مجرّد مقياس للزمن

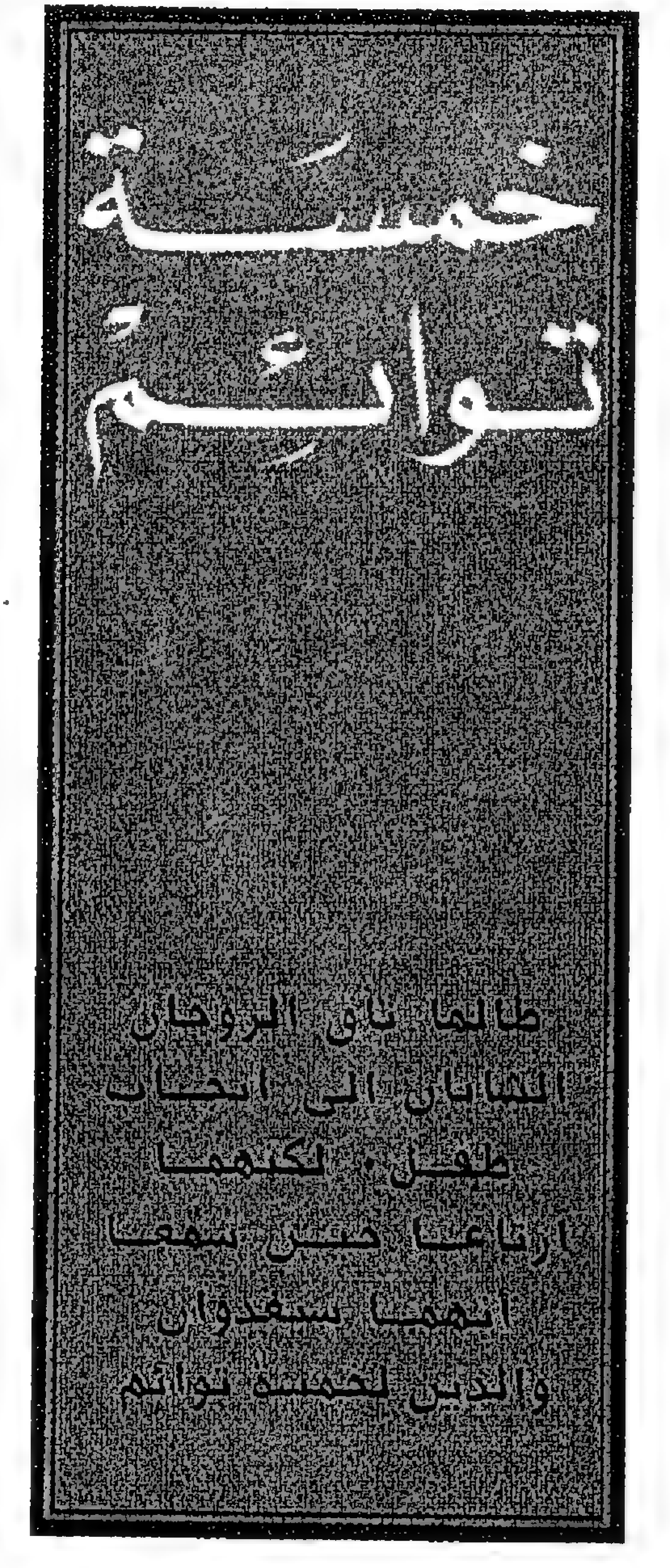
إنها جزء من شخصيته.

رادو دياستار . معدن صلب مقاوم للخدوش وزجاج ياقوتي قيم يسبغان عليها لمعانا دائماً وبريقاً فريداً في نوعه. لذلك تبقى ساعات رادو دياستار على مر الزمن قطعة من الحلي التي تحتفظ بقيمتها دوماً.

رادو مبدعة الساعات المقاومة للخدوش.

RADO رادو
DiaStar

od. dép.
viss Made



استيقظت بام بسنر من نومها مذعورة في مستشفى جامعة جورج واشنطن في العاصمة الامريكية، كانت الساعة تشير الى الاولى من صباح ٢١ يونيو (حزيران) ١٩٨٣، وهي في الشهر السابع من حملها ولا تتوقف عن التفكير في العملية القيصرية التي ستجرى لها في العاشرة من ذلك الصباح. وكانت لاحظت في صباح اليوم الفائت امارات القلق على وجوه الممرضات وهن يقسن ضغط دمها.

كانت بام امرأة قصيرة القامة لا يزيد طولها على ١٦٣ سنتيمتراً، لكن بطنها كان منتفخاً كثيراً لانها لم تكن حاملا بجنين واحد، بل ربما بخمسة أجنة. وهذه الاجنة اضافت ١٣ كيلوغراماً الى جسم الام الناحل الذي بلغ وزنه قبل الحمل ٥١ كيلوغراماً. وقد ادخلت المستشفى قبل اكثر من خمسة اسابيع لتتاح لها الراحة التامة في الفراش. وكان ثمة شريط عريض يحمل عبارة "عيد سعيد" لا يزال معلقاً في الغرفة، فقد احتفلت هي وزوجها دان بعيد زواجهما الثامن قبل اسبوعين. كما كانت عشرات البطاقات ملصقة على الجدار وقد

ارسلت الى دان لمناسبة عيد الآباء قبل يومين. وقد اعجب الزوجان خصوصاً ببطاقة من الممرضات كتب عليها: "والدنا العزيز، عيد سعيد لك. مع كل الحب من أ، ب، ج، د، هـ."

كان دان نائماً على مهجع صغير قرب سرير بام حين نهضت بتؤدة وهتفت بصوت هادىء: "دان، أظنني نزفت شيئاً من الدم." فأخطر للحال طبيب التوليد المقيم الدكتور ستيفن لاكنر.

هرع الدكتور لاكنر الى غرفة بام واجرى فحصاً لعنق الرحم فوجده متسعاً وقد بدأ المخاض. فغادر الغرفة لاستدعاء الدكتور آلن واينغولد رئيس قسم التوليد في المستشفى.

في هذا الوقت اصبح الطلق (التقلصات الرحمية) متواصلا. وما يعرفه دان وبام عن الولادة الطبيعية كان نزراً يسيراً، لأنهما منذ بدء هذا الحمل اقتنعا بأن العملية القيصرية كانت الخيار الواقعي الوحيد. لكن بام ادركت ان التقلصات المنتظمة التي كانت تحسها لم تكن عشوائية، فقالت لدان: "أشعر ان ما أقاسيه يشبه كثيراً المخاض العادي."

في الساعة الاولى والنصف ادخلت بام غرفة التوليد على محفة. هناك أوصل جسمها بأسلاك الى اجهزة مراقبة تسجل ارقاماً مضيئة تدل على الطلق وتقيس ضغط الدم الذي بلغ ١٦٠/٩٠، وهو مستوى عال بالنسبة اليها. وازداد الطلق حدة، ولم يعد ثمة ريب: انها في حال المخاض، وهذا يشكل خطراً عليها وعلى الاجنة الخمسة.

الولادة الطبيعية ستكون مشكلة كبيرة وربما كارثة. فثمة خمسة توائم تتزاحم للخروج، بعضها سيخرج رأسه أولا وبعضها سيخرج قدميه، فتتشابك الاجساد الصغيرة وتعلق في عقدة. وقد تلتف حبال السرة بعضها على بعض فتنشق وتتمزق وتنقطع. وهذه الاجساد الواهية التي عانت الكثير من الضيق داخل الرحم قد لا تقوى على احتمال المزيد من العناء.

خطر الموت - انطلق الدكتور آلن واينغولد مسرعاً على الطرق المبللة بماء المطر لادراكه ضرورة الوصول الى المستشفى في اقرب وقت. فمهما يكن بارعاً في مهنته، فان عملية توليد خمسة توائم تشبه السير على حبل بهلوان فوق شبكة وقاية صغيرة جداً.

كان الدكتور واينغولد حدد موعد العملية القيصرية بعدما لاحظ على جهاز الكشف الصوتي تباطوءاً مطرداً في نمو اثنين من لأجنة، اذ كانت التوائم الخمسة تتقاسم مورداً ضئيلا من التغذية. وهو ادرك انه عند بلوغها الاسبوع الـ٣٣ سيكون لها حظ اكبر في الحياة خارج الرحم.

حين اقترب الدكتور واينغولد من المستشفى اخذ يفرز افكاره. فهو يعد نفسه لهذا اليوم منذ اسابيع. اختار كل المساعدين الذين سيحتاج اليهم من اطباء صحة واطباء توليد واختصاصيين بالعناية بالمواليد الجدد وممرضات غرفة التوليد، وبلغ عدد هؤلاء نحو ٢٥ شخصاً.

وصل الدكتور واينغولد الى

المستشفى قرابة الساعة الثانية والنصف.وكان الطلق يتوالى بفارق دقيقتين فقط. وارتفع ضغط دم بام الى ١٨٤/١١٠ وهو مستوى خطير، فقد أضحى محتملا ان تنشق المشيمة التي تبطن جدران الرحم وتحفظ الأجنة داخلها، فتخرج هذه منها وتموت. واذا تعذر وقف النزف، فقد تموت بام أيضاً.

حزم الدكتور واينغولد أمره خلال عشر دقائق وقال: "سنباشر الجراحة القيصرية، فليحضر الجميع الى هنا." وسيكون الامر افضل اذا استطاع تأجيل العملية حتى يحضر الجميع.

هدية العيد ـ قبل عشر سنين توقف الطمث عند بام، وكانت حينذاك في الثامنة عشرة من العمر. واكتشف الدكتور جاي غرودن، وهو اختصاصي بمعالجة العقم عند النساء، انها مصابة بورم في الغدة النخامية (★). وعلى رغم انه ورم غير خبيث فقد انطوى على اشكالين: الاول انه تسبب في زيادة مقدار البرولاكتين،وهو هرمون ذو علاقة بالاباضة، فمنع انتاج هرمون الاستروجين مما جعل الاباضة الطبيعية مستحيلة، وكان هذا سبب انقطاع الطمث. والثاني ان الحمل قد يؤدي الى انتفاخ الغدة النخامية المتضخمة اصلا، فتضغط على العصب البصري القريب مما يؤدي الى العمى. غير ان ازالة الورم جراحياً كانت ايضاً محفوفة بالخطر.

وفي خريف (١٩٨١) بعد ست سنوات من زواج بام، عزمت على محاولة الانجاب. وكان هذا يعني استئصال الورم من الغدة النخامية. وتبين انه اكبر من المتوقع، لذا كان استئصاله كله خطراً جداً.وهكذا استأصل منه جراح الاعصاب جزءاً لا يترك سوى احتمال ضئيل لخطر تضخم الغدة النخامية في فترة الحمل.

بعد ذلك وصف الدكتورغرودن لبام تناول الـ"برغونال"وهو عقار للاخصاب. وهذا يؤمن تحاشي المشكلات التي تنشأ عن استمرار المستوى العالي من البرولاكتين لدى بام. ولكن اليس هذا هو العقار الذي يؤدي الى تكون الأجنة المتعددة؟ كان الدكتور غرودن اخبرها ان ثمة احتمالا بنسبة واحد الى خمسة بأن يحدث هذا، وان السواد الاعظم من حالات "الولادات الجماعية" كان مقتصراً على توأمين فحسب.

في ١٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٢، وفيما بام تنتظر مقابلة الدكتور غرودن، نظرت الى النقاط الظاهرة على جدول الخصوبة الذي تعده بنفسها. هذه النقاط تحدد أعلى مستويات الحرارة لديها خلال الاسابيع الثلاثة السابقة. وبدا لها ان هذه النقاط تنتشر فوق صفحة الجدول كله. وسلمته الى غرودن وهي تقول: "انه خليط مشوش، أليس كذلك؟".

اجاب الدكتور غرودن: "كلا، انه ممتاز. أتعرفين ماذا أحسبني أرى فيه؟ أني أرى فيه امرأة حبلى."

ذهلت بام وابتهجت. وكانت تلك ليلة عيد، ولكن بسبب المصاريف الطبية الباهظة كان الزوجان قررا

(★) غدة صماء عند قاعدة الدماغ.

الاكتفاء بتبادل البطاقات. وفتح دان البطاقة التي تلقاها من زوجته وقرأ فيها: "أعرف أننا اتفقنا على عدم تبادل الهدايا، لكني لم أقدر على ذلك. فسوف يكون لنا طفل."

وقفز الزوجان فرحاً وتعانقا والدموع تنهمر من أعينهما. ثم انطلقا ليزفا الخبر المفرح الى والديهما ووالدتيهما.

الحب الكبير - في ٢٠ يناير (كانون الثاني) طلب الدكتور غرودن من بام ان تجري تصويراً صوتياً للرحم قائلا: "اظن انك تحملين توأمين."

وفي ذلك الصباح تمددت بام على طاولة الفحص بينما راح الفني يمرر الجهاز الصوتي ذا الذبذبة العالية فوق بطنها. كانت تعرف ان اخذ الصورة الصوتية يستغرق نحو ٢٠ دقيقة. فلماذا استغرق تصويرها هذا الوقت الطويل؟

وتحولت مخاوفها هلعاً حين عاد فني التصوير ليأخذ صورة صوتية اخرى. واخذت تراقبه وهو يتمتم لنفسه أرقاماً. كانت على يقين انه بلغ الخمسة في العد. واجهشت بالبكاء بعدما غادر الغرفة وقالت لدان: "أظن ان في بطني مجموعة جراء."

وعندما رجعا الى عيادة الدكتور غرودن يحملان الصورة الصوتية قالت بام:

"انهم خمسة، أليس كذلك؟"

هز غرودن رأسه ايجاباً وقال: "اجل، انهم خمسة." واخفى عنها ان الصورة لا تجزم تماماً بوجود توأم سادس. وقد ادرك الطبيب ان الزوجين اعتبرا الأجنة الخمسة كارثة اكثر مما هي معجزة. فطلب منهما ان يعودا الى البيت ويبحثا في الامر بينهما.

بمقدار ما كان دان توافقاً الى انجاب هؤلاء الاطفال، كان يدرك ان الاخطار كلها ستكون من نصيب بام وانها تتعذب من توقع ما ستواجهه. وهكذا عزم على الا يحضها على الاحتفاظ بالاجنة. واتصلا بوالديهما ووالدتيهما ليأتوا لزيارتهما ذلك المساء.

حين دخل نورمان وهيلين بسنر منزل ابنهما كان آلن ولينور غوتس والدا بام وصلا قبلا. وكان بام تبكي

بمرارة. اعتقدت ان احتفاظها بالأجنة سيفقدها الحياة التي استمتعت بها حتى ذلك الحين. وكان دان وعدها بأن يسمح لها بالعودة الى وظيفتها ويشاركها في العناية بالطفل الذي كانا يأملان في انجابه. ولكن الآن، كيف يستطيع دان العناية بخمسة اطفال؟ وانهما سيظلان في عوز طوال الزمن. ولم تكن بام واثقة من قدرتها على محض اطفالها الخمسة الحب الكافي.

اما والد بام فكانت تقلقه الاخطار الطبية. واخذ يتساءل ما اذا كانت ابنته تقوى على تخطي مثل هذا الحمل. انها خضعت لجراحة في الدماغ لكي تنجب طفلا، فهل يطلب منها الآن اكثر من ذلك؟ ان الخطر على حياة بام يجعل الاجهاض المسلك الطبيعي الأسلم.

اما نورمان بسنر، الذي كان ميسوراً وان لم يكن ثرياً، فاخذ يهيىء نفسه لتحمل اعالة خمسة اطفال. ووعد قائلا: "لن نستطيع ان نوفر لهم الترف، لكنهم سيحظون بالضروريات حتماً".

وبدا ان هذا الوعد بدد مصاعب قضية واحدة. لكن احتمال الاجهاض ظل يلوح في الافق. وتساءل الجماعة: اذا اجهضت بام، فهل سيمكنها الحمل مرة أخرى؟ أهي فرصتهم الحقيقية الاخيرة لانجاب طفل؟ وكيف يكون الحال اذا ولد واحد او اكثر من الاطفال معاقاً او بعاهة؟

قال نورمان بسنر: "الحياة هي الحياة. وعلى الانسان ان يرضى بقسمته. فالخيار ليس له."

ولم يكن الامر بُتّ حين غادر الأهل منزل الزوجين في تلك الليلة. وبقي دان وبام يتصارعان والاختيارات المتاحة لهما.

وبعد بضع ليال ذهبا الى منزل والدي بام لتناول العشاء. لم يجر على المائدة اي حديث عن الموضوع. ولكن بعد الفراغ من الطعام ذهب الجميع الى غرفة الجلوس للبحث في الامر مرة اخرى. اذا كانت بام تريد اجهاضاً، فعليها ان تحزم امرها اذ لم يعد امامها متسع من الوقت. وكان زوجها ووالداها اوضحوا لها ان القرار مهما يكن سيكون قرارها هي.

وتكلم دان: "اننا فريق متضامن. فقد واجهنا من قبل معضلات وحللناها. ويمكننا ان نعالج هذه المشكلة ايضاً."

ثم قال والد بام لابنته: "تعرفين ان ثمة سبباً وراء قرار الله اعطاءك هذه التوائم الخمسة. فالله حكيم، ولعل هذا شأن ليس للانسان قرار فيه."

أصغت بام الى ما قيل وشعرت ان في تلك الغرفة حباً كبيراً، وادركت انه سيكون هناك الكثير منه لاطفالها الخمسة.

العناية الفائقة - الآن، وفيما بام تنتظر في غرفة المخاض وهي تعاني آلام التقلصات الرحمية، كانت تعرف في أعماق قلبها انها تريد الاطفال الخمسة جميعاً، وتريدهم ان يولدوا احياء وأصحاء.

وقرابة الساعة الثالثة والنصف فجراً اعطيت حقنة صغيرة في غشاء الحبل



بام ودان بسنر وتوائمهما الخمسة ٠

الشوكي وبدأت تفقد الحس في الجزء الاسفل من جسدها٠ وبعد ٤٠ دقيقة وعلى اثر اعطائها جرعة كاملة من المخدر نقلت على المحفة الى غرفة التوليد٠ كان كل شيء جاهزاً: الاوكسيجين والمدفئات الاشعاعية للاسرة ومعدات الاسعاف٠ ووقف دان الى الجهة اليسرى من رأسها٠

خيم الصمت على الغرفة وفتح الدكتور واينفولد جرحاً طوله ١٠ سنتيمترات في بطن بام٠ وقطع المزيد من الانسجة ثم كشف الرحم٠ ورأى جدار الرحم يتحرك، فقد كانت في داخله مرافق وركب صغيرة تدفع الجدار الى الخارج٠ فتح واينفولد شقاً دقيقاً في الرحم ومد يده الى الداخل وأخرج اول الاطفال٠ ثم شق كيس المشيمة وجذب الطفل ورأسه اولا٠ ودوت الغرفة بصوت يقول: "انه صبي!"

الساعة الآن الرابعة والدقيقة السابعة والعشرون٠ كان الطفل نشطاً زهري اللون٠ وسمعت بام صراخ ابنها الصغير٠

غير ان الطفل الثاني الذي اخرجه واينفولد كان ميتاً٠ فأطبق الصمت على الغرفة وقيل: "لقد فقدنا واحداً٠" وقال واينفولد لنفسه: "بعد كل هذا فقدنا واحداً!" لكنه كان يدرك انه رأى خمسة توائم احياء في الصورة الصوتية قبل ايام٠

واستدار واينفولد ليخرج طفلا آخر٠

كان صبياً حياً. فدبت الحماسة ثانية في الغرفة. ثم اخرج الطفل الثالث. انها بنت!

كانت الساعة تشير الى الرابعة والدقيقة التاسعة والعشرين حين وجد واينغولد الطفل الرابع، وكان صبياً آخر. واخذ يفكر في نفسه: "واحد آخر، فليكن ثمة واحد آخر". ومد يده الى الداخل، وفي اقصى جدار الرحم عثر على الصبي الرابع حياً وفي صحة جيدة. وكان الطفل الميت هو الجنين السادس المشكوك في امره.

اخضع المواليد الخمسة لفحص "آبغار" الذي يقيس نبض القلب واللون وجهد التنفس وسلامة العضلات وردة الفعل العصبية. في هذا المعيار يعتبر الرقم ١٠ ممتازاً، وقد سجل كل واحد من اطفال بسنر الرقم ٩. وبلغ وزن الاول الذي سمي ديفن ماتيو ١٤٧٤ غراماً وأيان سكوت ١٣٦١ غراماً وشيرا لي ١٠٧٧ غراماً ومايكل ايفان ١٣٠٤ غرامات واليوت ريتشارد، خامس المواليد، ١١٦٣ غراماً.

نقل الاطفال الى غرفة العناية الفائقة المخصصة بالاطفال. وهناك ربط الاطباء حول معاصمهم اطواقاً صغيرة لقياس ضغط الدم، وأخذوا عينات من دمهم للتحليل، وبدأوا تغذيتهم وريدياً. وأمسكت احدى الممرضات ذراع احد المواليد ولوحت به لجديه وجدتيه الذين وقفوا امام نافذة غرفة الاطفال. وهتفت لينور غوتس فرحة: "ما اجمل هذا العالم! وما اكثر الخير فيه!"

شخصيات مميزة - كان تماثل بام للشفاء عسيراً، وظلت تغرق في غيبوبة ثم تستفيق منها طوال يومين ونصف يوم. وكان اربعة من الاطفال في صحة جيدة، غير ان اليوت اخذ يعاني مرض الغشاء الرئوي الذي ينجم عن عدم اكتمال نمو الرئتين مما يعيق انتفاخهما كما ينبغي.

وفي ٢٦ يوليو (تموز)، على اثر عارض صحي آخر، اجريت جراحة استمرت ساعة لاليوت الصغير. وقالت بام: "لا يعزيني ان يكون لي اربعة اطفال اصحاء. فهذا لا يقلل من خوفي على الصغير العليل". واخيراً خرج الجراح من غرفة العمليات ليزف النبأ. اليوت بخير!

وأخذت الشخصية المميزة لكل من هؤلاء الاطفال في الظهور. ديفن هو الاكبر والاوسم، وهو يستغرق ٤٠ دقيقة كي يشرب زجاجة الحليب التي تحوي ٦٠ سنتيمتراً مكعباً. اما شيرا السمراء القوية، فانها تعب الكمية نفسها في خمس دقائق. اللعوب هو أيان، فهو يحب ان يلامس ويلامس.

مايكل هو "المحدّث" الذي يصدر الاصوات دائماً. انه يشبه شيرا كثيراً. اما اليوت، فعلى رغم مشاكله الصحية يظل هادئ الطبع ويستجيب بسعادة للحب الذي يغدقه عليه ابواه.

وتحب بام ان تستعيد ذكرى زيارة أبيها بعد ولادتها بأيام، حين قال لها: "ان رؤية هؤلاء الاطفال الخمسة تأكيد للحياة. انا لا أصدق اننا فكرنا ذات مرة ان ثمة قراراً علينا اتخاذه في شأنهم".

■ جورج بيكانن


أدرك القبطان أن هبوطه بالطائرة في مياه المحيط الهائجة لن يبقي على حياة أي من الركاب، لكن المحاولة كانت طوق النجاة الأخير

مَهَمَّة مُستحيلة



في الجو طائرة تابعة لسلاح البحرية الامريكية، وهي من طراز "ألفا فوكستروت ٥٨٦" ومن فئة طائرات المراقبة المضادة للغواصات في المحيط. كانت تحلق في مهمة استطلاعية فوق بقعة رمادية قاتمة من شمال المحيط الهادىء، متهادية مرتاحة، مع ان واحداً من محركاتها المروحية التربينية الاربعة لجم لتوفير الوقود. في صبيحة ذلك اليوم الموافق ٢٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨ أقلعت الطائرة من قاعدة "أداك" البحرية في جزر الوشيان وهي تحمل خمسة عشر رجلا. وعلى مدى أربع ساعات لم يصادف الرجال في مهمتهم سوى سفينتين، فتعقبتهما الطائرة والتقطت لهما بعض الصور.

ساء الطقس تدريجاً حتى بلغت سرعة الرياح ٤٣ عقدة (٨٠ كيلومتراً في الساعة). عندئذ قرّر قائد الطائرة الرائد جيري غريغزبي أن يدير تربينة الجناح الأيسر. وفي الوقت نفسه كان مهندس الطيران هارولد ميلر يراقب العداد الذي يسجل دورات المروحة في الدقيقة، فوجد أن عددها ارتفع الى ١٠٣٫٥ في المئة من المعدل الطبيعي. وعلى الفور جذب مقبضاً للطوارىء، فتوقف المحرك، لكن المروحة لم تتوقف. وبدا أنه لم يعد ثمة مجال للسيطرة عليها، واستمرت سرعة دورانها تزداد في مجرى الريح المندفعة. وسجل العداد ١١٠ في المئة ثم ١٢٠ في المئة و١٢٩٫٩ في المئة، وهو أعلى رقم يحمله. وانتاب رجال الطاقم قلق شديد متخوفين من استمرار تلك السرعة، لأن قوة الدوران قد تنتزع


NAVY

المروحة من ركوبتها بوزنها البالغ ٥٤٠ كيلوغراما، وتدفع الطائرة دفعة جنونية لتتحطم وتغرق بمن فيها.

كان غريغزبي طياراً مكتمل التدريب والخبرة، وفي رصيده الالوف من ساعات الطيران. وراح يفكر برباطة جأش في شتى الاحتمالات والخيارات في حال الطوارىء التي كانت تواجهه، ثم شرع يزيد من ارتفاع الطائرة لخفض سرعتها وبالتالي لخفض سرعة دوران المروحة. وبلغت الطائرة ارتفاع ٣٣٠٠ متر، وهو الحدّ الاقصى للأمان، ومع ذلك بقي عدد دورات المروحة ١١٥ في المئة، وهي نسبة مرتفعة وغاية في الخطر.

عبثاً حاول ملاحو الطائرة توقيف المروحة المتمردة باتخاذ شتى الاجراءات. فكان على غريغزبي، والحال هذه، أن يواجه احتمالا مروعاً أخيراً لايقافها والحؤول دون انفلات شفارها القاطعة، وذلك بالهبوط على سطح المياه في تلك المنطقة من الألوشيان التي يبلغ عمقها قرابة ٧٩٠٠ متر. وما من طائرة مثل طائرته تمكنت، على حد علمه، من تحقيق عملية هبوط كهذه أسفرت عن نجاة أي من ركابها.

حريق داخل الطائرة

من خلال كوة على بعد ثلاثة أمتار وراء غريغزبي وقف الملازم ماتيو غيبونز، المنسق التكتيكي، ينظر الى قبة المروحة وقد بدأت تهتز وتترجرج. وأبرق الى قاعدة "إلمندورف" الجوية في آلاسكا يصف أوضاع الطائرة. واستعلمت القاعدة عما اذا كان المقصود من اتصاله الاعلان عن حال طوارىء، فأكد غيبونز ذلك.

وقدر الطيار المساعد الملازم ادوارد كيلور أن المروحة المعطلة كانت على وشك الانفجار. وخفض غريغزبي وكيلور السرعة الى ٢٤ ألف كيلومتر في الساعة، وكان جلياً أن الطائرة لن تتمكن من اجتياز تلك المسافة. فقرر الاثنان تغيير وجهتها نحو الشرق في اتجاه القاعدة الجوية في جزيرة شيميا الكائنة على بعد ٥٤٠ كيلومتراً. وارتدى رجال الطاقم سترات النجاة وأطواق المطاط العازلة للماء بعدما أمر غريغزبي بذلك. وفي الساعة الاولى والدقيقة الثانية والاربعين دوت اشارة انذار تعلن شبوب حريق. وعلى الفور ضغط المهندس ميلر زراً لرش المحرك المتأجج بمسحوق مضاد للنار.

هبط غريغزبي بالطائرة حتى ارتفاع ٣٠٠ متر لتكون قريبة من سطح الماء في حال حدوث انفجار. وفجأة لعلعت صفارة الانذار من جديد. وكانت الساعة الاولى والدقيقة الثانية والخمسين عندما اتصل غيبونز بقاعدة إلمندورف ليعلن: "نحن ننحدر صوب الماء، وعلى متن الطائرة خمسة عشر رجلا وثلاثة أطواف للنجاة."

وانتشر الخبر بسرعة. كانت المنطقة التي تحلق فيها الطائرة حساسة على صعيد الاستخبارات، لذلك نقل النبأ على الفور الى مجلس الامن القومي والى وزارتي الداخلية والدفاع في واشنطن. وفي أداك،

على بعد حوالى ١٣٠٠ كيلومتر، كانت طائـرة استكشـاف أخـرى يقودهـا الملازم باتريك كونواي تستعد للاقلاع لاغاثة الطائرة المنكوبة. وأصدرت الاوامر الى القارب الرقم ١٥٠٠، وهو من قـوارب خفـر السواحـل ومـزود بمروحة نفاثة، للتوجه الى منطقة الطائرة لتقديم المساعدة.

وعلى متن الطائرة "الفا فوكستروت ٥٨٦" كانـت الـدفعة الاخـيـرة مـن المركب الخاص المكافح للنار أخمدت الحريق الثاني. واستمر غريغزبي في الهبـوط ليقتـرب أكثـر مـن صـفحة المحيط، الى ان بلغ ارتفاع ١٥٠ متراً حيث تابعت الطائرة تقدمها بجهد وترنح وهي تتمايل باضطراب، لكنها بقيت موقتاً تحت سيطرة طاقمها. واتصـل غيبونـز بقاعـدة إلمنـدورف ليقول ان حال الطائرة استقرت نسبياً وانهم سيحاولون دفعها للوصول بها الى شيميا.

فـي تلـك الاثنـاء كان ريتشارد غارسيا، وهو مراقب الرادار على متن الطائرة، يحاول البحث عن سفينة تكون في المنطقة التي ستهبط فيها الطائرة لتؤمن لها عمليات الانقاذ. وظهرت علـى شـاشة الـرادار بـقعة صغيـرة كانـت علـى الارجح احـدى السفينتين اللتين مرّت بهما الطائرة في وقت سابق، فاتجه غريغزبي نحوهـا فـوراً فيمـا أعلـم غيبـونـز إلمندورف بالعملية الجديدة.

وانطلقت صفارة الانذار من جديد معلنة اندلاع حريق آخر. وانطلقت من المحرك المعطوب سحب كثيفة من الدخان.

عبر الكوة رأى غيبونز المحيط يقترب شيئاً فشيئاً. فأعلن: "عشرون ثانية للهبوط!" ثم اتصل لاسلكياً بقاعدة إلمندورف ليحدد موقع الطائرة بالتدقيق. وأنهى رسالته بقوله: "هنا الطائرة ٥٨٦، انتهى البث..."

القائد الشجاع

كانت المياه في اندفاعها تعلو لتبلغ ارتفاع ثمانية أمتار. وسعى غريغزبي الى تزليق طائرته على سطح الماء فوق غور بين موجتين عاليتين. وكحصاة ملساء تمخر العباب مترجرجة، اندفعت الطائـرة برفـق واصطدمـت بالمياه، ثم عادت وارتفعت قليلا لتضرب الميـاه ثانـيـة وترتـفع مـن جديد. وانسلخ جناح الطائرة الايمن وانفصلت خزانات الوقود عن هيكلها. وعلى مقربة من ذيل الطائرة تحطم قسم من المؤخر، فتدفقت المياه الى الداخل. وعلى رغم ذلك تمكنت "ألفا فوكستروت ٥٨٦" بعد اندفاع عنيف من التوقف محدثة جلبة قوية. انها لمعجزة حقا، لقد تمكن غريغزبي من الهبوط فـي ظروف يستحيـل فـيهـا منطقياً القيام بمثل هذه العملية.

خرج المهنـدس ادويـن فلـو مـن الطائرة من خلال كوة النجاة في سقف مقصورة القيادة. ولحق به كيلور ثم غريغزبي. لكن هذا لم ينضم فوراً الى الذين نزلوا الى الماء قبله، بل بقي مستقراً على ركبتيه ويديه فوق مقدم الطائرة يراقب رجاله وهم يغادرون واحداً واحداً من مخرجي النجاة الايمن والايسر.

في ذلك الوقت كان غارسيا يفتح

كوة في الجانب الايمن من الطائرة ويفك طوفين للنجاة، واحد كبير وآخر صغير، ويرميهما الى الماء. وبعد ذلك كان دور خمسة من رجال الطاقم في مغادرة الطائرة، وهم غاري هيمر وغيبونز والملازم بروس فورشي والمقدم غارلند شيبارد والملازم جون واغنر.

وفي مؤخر الطائرة غطى الركام ديفيد رينولدز وشل حركته. الا انه تمكن من التحرر وتقدم متثاقلا نحو الكوة اليسرى حيث وجد هاورد مور وراندل رودريغز يبذلان جهوداً حثيثة لفك الطوف الثالث. لكن الطوف بقي عالقاً بمشابكه، فخرج مور ورينولدز ورودريغز تاركين الطوف في مكانه.

في تلك الاثناء كان الملازم جون بول قرب ذيل الطائرة يواجه مشكلة من نوع آخر. فقد علقت قدمه اليسرى في شق في ارض الطائرة. وتملكه الذعر وهو يفكر في انه قد يبقى عالقا في الداخل. فظل يحاول حتى تمكن من تحرير رجله، وزحف بصعوبة مسافة خمسة أمتار يبحث عن أحد مخارج النجاة الغارقة تحت الماء. وفي تلك اللحظة ارتجت الطائرة ومال مقدمها، فشاهد بول ميسرة الطائرة ولاح له باب الكوة اليسرى، فغاص وخرج منه الى سطح الماء حيث شاهد غريغزبي ما زال جالساً فوق مقدّم الطائرة وهو منفرج الساقين. وبعدما اطمأن غريغزبي الى خروج بول نزل الى الماء من الناحية الاخرى. وأدرك بول أن غريغزبي بقي في مكانه يتثبت من خروج رجاله، وكان الاخير في مغادرة الطائرة.

نفخ بول في جيوب سترته الواقية وملأها هواء، ثم سبح في اتجاه الطوف الكبير. وبمساعدة مور ورينولدز رفع زميله غيبونز الى الطوف، عندئذ شاهد غريغزبي يسبح محاولا بلوغ طوفهم. ورمى اليه الرجال مرساة الطوف ليتمسك بها، لكن الحبل كان قصيراً، فأشار غيبونز الى الطوف الثاني مقترحاً على غريغزبي أن يحاول بلوغه. وخلال ثوان خيل الى الرجال ان قائدهم سيصل الى الطوف الثاني، لكن أمواجاً عالية حلت بينهم وبينه فحجبت رؤيته.

سبح غريغزبي وبات على مسافة ثمانية أمتار من الطوف الثاني. وحاول كل من على الطوف مساعدته. فالقى فلو حبلا ليجذب به قائد الطائرة الذي كان يصارع الامواج، لكن الحبل سقط على بعد مترين منه. ثم نزل بعض الرجال الى الماء وحاولوا جر الطوف في اتجاه غريغزبي. لكن التيار الجليدي كان أقوى، فأخفقت محاولتهم. وما هي الا دقائق حتى شاهد الرجال قائدهم ينجرف مع التيار متوغلا في عرض المحيط الساخط.

لم يكن فوق الطوف الكبير الذي يتسع لاثني عشر راكباً غير أربعة رجال هم غيبونز وبول ورينولدز ومور. بدأ بول اطلاق اشارات ضوئية من مسدس خاص، وبمساعدة غيبونز مدّ هوائي جهاز لاسلكي للطوارىء لبث اشارات، علّ احدى الطائرات تلتقطها. ثم عمد الاربعة معاً الى إحكام "سحاب" غطاء الطوف

المصنوع من القماش المشمع ليتقوا أذية الامواج الصاخبة.

وكان الرجال الباقون، وعددهم تسعة، استقروا فوق الطوف الاصغر، وهو مصمم أساساً لحمل سبعة ركاب فقط. وسأل فلو رفقاءه عما إذا شاهد أحدهم ميلر، فجاء الجواب نفياً.

والاطواف التي تتسع لسبعة ركاب ليست مزودة بأغطية مشمعة. ولذا كانت الامواج العالية تهدد بغمر الطوف الصغير وابتلاعه في دقائق. وشرع واغنر ورودريغز وفلو وبرونر ينزحون المياه من جوف الطوف بملاءة معدنية، باذلين في ذلك جهوداً مضنية. ولم يشعروا أنهم خلال انهماكهم وتدافعهم في عملية نزح المياه تسببوا في حل أحد صمامات الهواء في الطوف.

"في البحر أصدقاء"

في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة من بعد الظهر كانت احدى طائرات السلاح الجوي تتحول عن مسارها في مهمة استطلاع سرية، لتتجه نحو الموقع الاخير الذي سجلته أجهزة اللاسلكي للطائرة "الفا فوكستروت ٥٨٦". ولم تعثر الطائرة المستكشفة على أي طوف في تلك المنطقة. عندئذ عمد القبطان كليفورد كارتر الى مناورات التفاف دائري فوق المنطقة بحثاً عن الناجين. كانت الاحوال الجوية مروعة: سحب منخفضة منجرفة في مجرى الريح، أمطار غزيرة، رياح عاتية، رؤية محدودة. وفي الرابعة والدقيقة الثامنة عشرة أبصر الطيار المساعد اشارة ضوئية في السماء على بعد ثلاثة كيلومترات. فتحولت الطائرة على الفور لتجلق فوق تلك البقعة، فلم تعثر في جولتها الاولى على أي طوف. وعاودت الكرة تحليقاً فوق المكان نفسه، عندئذ شاهد رجال الطاقم بقعة برتقالية في قلب المحيط: انه أحد الطوفين. وفي اللحظة نفسها التقط جهاز اللاسلكي في الطائرة اشارة قوية من الجهة اليسرى، فاتجهت الابصار كلها الى تلك الناحية ورأى الرجال الطوف الثاني.

غمر ركاب الطوفين شعور عابر بالبهجة والامل. ان المهمة الاصعب في عمليات التفتيش والاغاثة على اختلافها هي العثور على الاحياء. وما ان سمع كيلور هدير الطائرة حتى أيقن ان طاقمها سوف يعلم السفينة التي كانت في الجوار حين هبطت الطائرة على سطح الماء، مما يعني أن عملية الانقاذ غدت وشيكة. لكنه كان يجهل أن جهاز الراديو في السفينة لم يكن مداراً، وأن ركاب السفينة لم ينتبهوا أصلا الى هبوط الطائرة المصابة في المحيط.

تلاشت البهجة من قلوب الناجين وسط البرد القارس والامطار الغزيرة. لقد مرت عليهم ساعات وهم في اللجة الثائرة يكافحون غضبة الطبيعة ويقاومون الدوار والغثيان، ففقدوا الكثير من نشاطهم وتيقظهم. ومضى على الرجال التسعة في الطوف الصغير وقت طويل قبل أن يلاحظوا أن طوفهم بدأ يغوص تدريجاً. وفجأة صاح واغنر بانفعال: "ان الطوف يرتخي. لا ريب في أن ثمة تسرباً

للهواء في مكان ما." وكان ذلك النبأ بمثابة منبه للرجال الذين اندفعوا للحال يبحثون عن موضع التسرب. ووجد رودريغز الصمام المرتخي وأحكم اقفاله.

بعد تحديد موقع الطوفين الهائمين عادت طائرة الاستكشاف الى قاعدتها وحلت مكانها طائرة من سلاح البحرية أقلعت من أداك. وكان القبطان بات كونواي وأفراد طاقمه يشعرون بتأثر بالغ، فقد كان لكل منهم غير صديق بين رجال الطائرة المنكوبة.

في الطوف الصغير لاحظ هيمر أن المياه بدأت تخترق سترة النجاة التي كان يرتديها، وراح النعاس يغالب جفنيه. وشعر أحد رفقائه بحاله، فربت خوذته يحاول منعه من الاستسلام للنعاس.

أما برونر، وهو أحد الرجال الذين نزلوا الى الماء لمساعدة غريغزبي، فكان هو الآخر مرهقاً. وبدأ ينزلق ويغوص في مياه الطوف التي غمرته الا رأسه. وفي تلك الاثناء كانت البرودة الشديدة تسيطر تدريجاً على قلبه ورئتيه وصدره. وسمعه كيلور يئن فرفعه وأعاده الى مستقره. واقترح فورشي أن يلجأ الجميع الى الغناء للمحافظة على اليقظة والنشاط. لكن برونر لم يستطع سوى العويل. وراح فورشي وواغنر يحدثانه ويهزان جسده ويضربان خديه من دون جدوى، فقد بقيت ردود فعله شبه منعدمة.

في الثامنة والدقيقة الثامنة والثلاثين مساء انطلق قارب لخفر السواحل يقوده الملازم بيل بورتر، في الوقت الذي كانت طائرة كونوي تحاول العثور بالرادار على سفن تقدم العون الى الطوفين. وظهرت على الشاشة نقطة تشير الى سفينة على بعد خمسة وأربعين كيلومتراً من موضع الطوفين. فتوجهت الطائرة نحوها، لكن محاولات القائد الاتصال بها ذهبت سدى. فلم يستجب في السفينة الى أي من وسائل الاتصال المعهودة بما فيها اشارات "المورس" التي بثتها الطائرة بواسطة مصابيحها.

انخفض مستوى الوقود في خزانات الطائرة المستكشفة، فكان عليها أن تعود الى شيميا تاركة لقارب خفر السواحل مهمة الاتصال بالسفينة. وأخيرا تم الاتصال اللاسلكي بين القارب والسفينة التي أعلنت أنها سفينة الصيد السوفييتية "سينيافين". وعلى الفور أعلم خفر السواحل طاقمها بوجود رجال في الماء يحتاجون الى مساعدة عاجلة، وحدد موقعهم. وسأل المتحدث في السفينة عن هوية الرجال، فتردد بورتر في الاجابة خوفاً من ان يمتنع السوفييت عن الهروع الى الانقاذ اذا علموا أن الناجين هم من رجال البحرية الامريكية. لذلك اكتفى بالقول: "في البحر أصدقاء يحتاجون الى مساعدة." وأجاب السوفييتي: "حسناً، لقد فهمت."

الانقاذ

عثر طاقم السفينة "سينيافين" على الطوفين بعد منتصف الليل. فأضاؤوا جميع مصابيحها وأطلقوا

صفاراتها الخاصة بالضباب. وقال واغنر بحماسة بالغة: "انها سفينة! سفينة قادمة لنجدتنا." ونقر شيبارد نقراً خفيفاً على خوذة هيمر واستمر فلو وفورشي وكيلور يهزون برونر، لكن هذا بقي بلا حراك.

كان السوفييت الذين هبوا للنجدة بحارة ذوي خبرة وجرأة وعرضوا حياتهم للخطر في عملية انقاذ رجال الطائرة الامريكيين، أوقفوا سفينتهم في وضع يشكل حاجزاً في وجه الرياح ثم أنزلوا الى الماء قارباً لصيد الحيتان طوله تسعة أمتار، فكاد ان ينقلب فور بلوغه سطح الماء.

في وهج الاضواء الكاشفة انتشل البحارة السوفييت رجال البحرية الاربعة الذين كانوا في الطوف الكبير، ونقلوهم الى قارب الصيد وقدموا اليهم معاطف ليستدفئوا بها. وعندما بلغوا الطوف الصغير وجدوا الرجال فيه وقد تصلبت أطرافهم بسبب جلوسهم القرفصاء ساعات طويلة، فنقلوهم الى قارب الصيد وهم أشباه مشلولين. ورفع رجال الانقاذ جثث برونر وورودريغز وغارسيا.

حملت السفينة الناجين العشرة الى مرفأ بتروبافلوفسك السوفييتي وأدخلوا أحد المستشفيات لتلقي الاسعافات الضرورية، ثم نقلوا الى اليابان ومن هناك الى موفيت فيلد في سان فرنسيسكو. وكان وصولهم الى القاعدة في الرابع من نوفمبر (تشرين الثاني). أما ميلر فيرجح انه بقي على متن الطائرة المتحطمة فغرق قبل أن يتمكن من مغادرتها.

بعد أيام قصد قائد السرب بيتر كريسي منزل غريغزبي بالقرب من موفيت فيلد ليقابل زوجته ووالديه وليحدثهم عن ساعات جيري الاخيرة. ولم يكن موت الطيار الشاب بالامر العجب، ففي كل من الاجيال الاربعة الاخيرة قدمت عائلة غريغزبي شهيداً من أبنائها في الخدمة العسكرية. وأخبرهم كريسي عن بطولة غريغزبي فقال: "كان الهبوط بالطائرة في بحر غاضب وفي تلك الظروف حدثاً لا مثيل له. ولم يغادر جيري حطام طائرته الا بعدما تثبت من أن رجاله جميعاً نزلوا الى الماء." ثم تهدّج صوت كريسي وكاد أن يجهش بالبكاء. وكانت والدة غريغزبي تصغي، فقالت له بحنو: "دعني أحدثك قليلا عن جيري. عندما كان في الثانية عشرة، قبل أربع وعشرين سنة، كاد ان يغرق في حوض للسباحة، فانتشلناه وأنعشناه. وبعد ذلك عشنا معه أربعاً وعشرين من السنوات الطيبة السعيدة. وخصصناه بالعناية والتربية والارشاد حتى صار رجلا. ثم سنحت له الفرصة لكي ينقذ حياة عشرة رجال آخرين، وهذا أمر يثلج صدورنا. لقد فطر موته قلوبنا جميعاً، لكننا في الوقت نفسه نشعر بأننا انتصرنا معه."

في ربيع ١٩٧٩ قلدت البحرية أفراد طاقم "ألفا فوكستروت ٥٨٦" ورجال كونواي أوسمة طيران. ومنح ماتيو غيبونز ميدالية تكريم إضافية وادوارد كيلور ميدالية تقدير. كما منح جيري غريغزبي واحداً من أرفع الاوسمة العسكرية تقديرا لبطولته الخارقة التي تتخطى الواجب.

■ إيرل وميريام سلبي

حتى وقت قريب كان الامل ضئيلا في معالجة الامراض الفيروسية، بدءاً بالزكام وانتهاء بالقوباء، اما اليوم فثمة مركبات على رفوف الصيدليات تبشر بضرب فيروسات عدة

العقاقير العجيبة



حمل ولد في الثامنة من عمره على جناح السرعة الى مستشفى مساتشوستس العمومي في بوسطن وهو يعاني ارتفاعاً في الحرارة وتلجلجاً في النطق، ومعه اثبات مخبري جازم بأنه مصاب بالقوباء الدماغية. وينجم هذا المرض عن فيروس القوباء الذي ينتقل من طريق الاعصاب الى الدماغ، وهو يؤدي الى وفاة ٧٠ في المئة من المرضى ويسبب عطباً دماغياً في ما يزيد على ٩٠ في المئة من الذين يبرأون منه.

عمد الاطباء الى حقن المريض عقاراً وافقت على استعماله ادارة الغذاء والدواء الامريكية. وفي غضون اسبوعين بدا جلياً ان جهازالمناعة في الصبي اخذ يتغلب على العدوى. وبعد انقضاء سنة شفي تماماً وأصبح المجلي في صفه في المدرسة.

● في روشستر، ولاية نيويورك، سهر والدان يراقبان ابنتهما البالغة

الشهر السادس في المستشفى. وكانت عدوى فيروسية في القسم الاسفل من الجهاز التنفسي ضيقت مدى اتساع رئتي الطفلة وأدت الى انخفاض مستوى الاوكسيجين في جسمها. مثل هذه الحال يمكن ان تكون قاضية بالنسبة الى الاطفال والمسنين الضعفاء. ولكن بعد ثلاثة ايام فقط من المعالجة بعقار تجريبي جديد، تماثلت الصغيرة للشفاء وعادت الى بيتها بعد اسبوعين.

● تفشت في جامعة تكساس وافدة انفلونزا شملت النوعين "أ" و"ب" من فيروس هذا الوباء، واصابت نصف عدد التلاميذ وأدت الى تغيبهم عن الصفوف. وكان معظم المصابين يقاسون من الوهن الناجم عن هذا المرض الذي اقعدهم مدة تراوح بين خمسة ايام وسبعة. الا ان مجموعة من ٢٥ طالباً تطوعوا لتجربة عقار جديد وشفوا تماماً من الحمى خلال ٢٤ ساعة او ٣٦ ساعة. واختفت كذلك اعراض الداء الاخرى في المدة نفسها تقريباً.

التحسن الطارىء في كل من هذه الحالات جاء نتيجة استخدام طائفة جديدة من المركبات الصيدلية: المضادات الفيروسية. فهل يعني هذا اننا ولجنا عصر "العقاقير العجيبة" في مكافحة الامراض الفيروسية؟

الامر ليس كذلك اذا نظرنا اليه من ناحية استخدام المضادات الحيوية للشفاء من العدوى الجرثومية. العقاقير المضادة للفيروس المتوافرة الآن، وتلك التي ستوافق عليها ادارة الغذاء والدواء الامريكية في المستقبل القريب، مصممة فقط للتحكم بالعدوى من طريق عدم السماح للفيروس بالتنامي.

فالبنيسيلين وامثاله من الادوية تؤدي واجبها من طريق القضاء على البكتيريا ذات الخلية الواحدة التي تسبح في مجرى الدم وتسبب العدوى. ولكن يتعذر القضاء على الفيروس من دون الحاق ضرر بخلايا الجسم، لأن الفيروس لا يمكنه ان يعيش خارج الخلية "المضيفة". وبين عدوى واخرى تكون هذه الفيروسات مجرد هباءات كيميائية خامدة. فمن أجل انتاج عوامل العدوى يتعين على الفيروسات ان تتسلل داخل خلية سليمة فتخرب الجهاز الجيني فيها وتحولها مصنعاً لانتاج فيروسات مماثلة.

يقول الدكتور جورج غالاسو المسؤول عن اعداد المضادات الفيروسية في المعهد الوطني للصحة في بيثيسدا، ولاية ماريلاند: "ان تدمير الخلية الصحيحة من اجل قتل الفيروسات النشيطة يشبه نسف غرفة النوم من اجل التخلص من عدد قليل من البعوض المزعج. وعوضاً عن ذلك نجد مفتاح السيطرة على العدوى الفيروسية في وقف عملية تكاثرها." اذا امكن تحقيق هذا في وقت مبكر، اي قبل انطلاق الوف الفيروسات النشيطة لتخريب الخلايا الصحيحة، فان جهاز المناعة في الجسم نفسه يستطيع ابقاء العدوى تحت سيطرته.

ان مجرد السيطرة على مرض فيروسي يؤدي الى نتائج مدهشة بالنسبة الى المصابين الذين يعانون

اشكالا من هذا المرض تقعدهم او تهدد حياتهم. وتبرز صحة هذا الواقع على نحو خاص في مرضى السرطان او المرضى الذين تزرع لهم اعضاء. فهؤلاء الذين تخمد لديهم المناعة بسبب المعالجة الكيميائية يصبحون معرضين أكثر للعدوى.

بيد ان الذين يفيدون من هذه المركبات ليسوا من مرضى السرطان فحسب، اذ توجد الآن خمسة عقاقير مضادة للفيروس موافق على استخدامها وتوصف في اشكال مختلفة (مرهم، حبوب، حقن)، وهناك سادس يلوح في الأفق:

١. أمانتادين. عام ١٩٦٦ وافقت ادارة الغذاء والدواء الامريكية على استخدام هذا المركب المضاد للفيروس كدواء وقائي ضد الانفلونزا الآسيوية لدى المرضى من اصحاب "الخطورة العالية" المسنين والذين اخمدت لديهم المناعة. وفي ١٩٧٦، بعد سلسلة من التجارب السريرية، رخص باستعماله على نطاق واسع ضد النوع "أ" من فيروس الانفلونزا الذي يسبب تفشيات وبائية خطرة. والآن اضحى العقار "أمانتادين" سلاحاً طبياً مهماً ليس فقط في الوقاية من الانفلونزا لدى الاشخاص ذوي الخطورة العالية ومكافحة الانتشار الوبائي في المدارس والثكنات العسكرية، بل كذلك في معالجة هذا المرض.

٢. ايدوكسوريدين. كان هذا اول مرهم مضاد للفيروس رخصت به ادارة الغذاء والدواء الامريكية عام ١٩٦٤ ليستخدم في معالجة التهابات العيون، وبنوع خاص مرض التعظم القوبائي الذي يسبب تخدش قرنية العين ويؤدي احياناً الى العمى. وهو ينشأ من العامل نفسه المسؤول عن البثور الباردة والتقرحات القوبائية في الاعضاء التناسلية التي تنتقل عدواها الى العين عبر مجاري الاعصاب او عرضاً من طريق الاصابع. وهذا العقار يمنع تناسخ الفيروس بولوجه داخل الخلية المضيفة ومنع تصنيع الحمض النووي «DNA» الذي يحمل الخصائص الوراثية.

ويقول الدكتور هربرت كوفمان من مركز طب العيون في جامعة لويزيانا: "هذا يعني ان الخلية قد تتضرر او يقضى عليها. لكن تفادي العمى يجعل هذه المقايضة مقبولة." وخلال السنوات الاخيرة رخص بعقارين جديدين هما النوعان المحليان من الفيدارابين والتريفلوريدين.

٣. فيدارابين. لفت هذا العقار الباحثين في الستينات كعامل محتمل في مكافحة السرطان. وسرعان ما اكتشفوا انه يتمتع بفاعلية أبعد مدى في منع تناسخ بعض انواع الفيروس. وظهر ان الفيدارابين فعال ضد القوباء الدماغية، مع انه قد يحدث ردود فعل في الجهاز العصبي المركزي. وفي ١٩٧٧ رخص باستعماله في معالجة هذا الداء (موضعياً فقط)، ثم في معالجةداء القوباء المنطقية لدى الاشخاص الذين اخمدت فيهم المناعة.

٤ • **تريفلوريدين** • برهن هذا العقار عن انه فعال في معالجة العدوى التعظمية اكثر من الايدوكسوريدين او الفيدارابين • وهو يقطر في العين لذلك لا يغشي النظر ، بينما يستعمل العقاران السابقان في شكل مرهم كثيف •

٥ • **آسيكلوفير** • يثير هذا العقار اهتماماً خاصا لانه يستطيع السيطرة على القوباء في الاعضاء التناسلية او حتى منع حدوثها • والقوباء التناسلية مرض مؤلم ينتقل بالاتصال الجنسي ويصيب ملايين الناس في انحاء العالم • وفي حين ان السواد الاعظم من الناس نادراً ما يصابون به ، او انهم يصابون به في احيان متباعدة ، فان عدداً كبيراً من الناس يعاني اعراضه مرة كل بضعة اسابيع • والنساء الحوامل يتحملن من جرائه عبئاً ثقيلا ، لأن العدوى النشيطة منه وقت الولادة قد تنتقل من المهبل الى المولود الجديد • ومع ان هذا لا يحدث الا لماماً ، فانه قد يسبب عطباً في العين او الدماغ كما يؤدي الى الوفاة في ٥٠ في المئة من الحالات •

ويستعمل الوف الناس عقار آسيكلوفير للتخفيف من حدة الاصابة الاولية بالقوباء التناسلية او اختصار مدتها • ويستخدم هذا العقار في شكل محلول يحقن وريدياً في المستشفيات لمعالجة الالتهابات الحادة لدى الاشخاص الذين اخمدت المناعة لديهم •

ويبشر الآن بالآسيكلوفير كفتح جديد في العلاج المضاد للفيروس •

وفي حين تحمل معظم العقاقير الاخرى المرخص بها احتمالات اعراض جانبية - وان تكن عارضة وخفيفة - فيبدو ان الآسيكلوفير هو دونها سمية بالنسبة الى الخلايا الصحيحة • وبسبب فاعلية هذا العقار رخصت ادارة الغذاء والدواء الامريكية باستخدامه بعد ثمانية اشهر فقط من اتمام التجارب السريرية عليه (تستغرق المراجعة في الاحوال العادية ما معدله ٣٠ شهراً) •

٦ • **ريبافيرين** • اكثر من ١٠ في المئة من الالتهابات في مجاري التنفس السفلى التي تصيب آلوف الاطفال في كل فصل شتاء ، وتتميز بالسعال المؤلم والحرارة المرتفعة والوهن الظاهر ، تنجم عن فيروس تنفسي خاص • ويوجد الآن عقار يدعى ريبافيرين ، لم يرخص به حتى الآن لدى ادارة الغذاء والدواء الامريكية ، يبدو انه قادر على كبح هذه الغزوات الفيروسية •

وقد تبين من التجارب ان هذا المركب هو وسيلة ناجعة لاختصار مدة الاصابة بالانفلونزا ، كما تبين في بعض الدراسات انه فعال ضد مجموعة متنوعة من الفيروسات ، الامر الذي يجعله فريداً بين هذه العقاقير •

وثمة عائلة اخرى من العقاقير لم يرخص باستعمالها بعد ، لكنها تبشر بأمل كبير ، وهي الانترفيرونات • وقد برهنت هذه في بعض الدراسات عن فاعليتها كواقية صحية من الفيروسات التي تخترق الخلايا وتحمل

نوعاً من داء القوباء، كما برهنت في مواقف ابقيت فيها قيد المراقبة انها مفيدة في منع الزكام العادي.

يقول الدكتور مارتن هيرش الاستاذ المساعد في كلية الطب في جامعة هارفارد في كامبردج ورئيس علم الفيروسات في مستشفى مساتشوستس العمومي في بوسطن: "يقف العلاج بالمضادات الفيروسية اليوم عند النقطة نفسها التي كان فيها تطوير المضادات الحيوية في اواخر الاربعينات." فبعد سنوات من الابحاث حقق الطب بعض الانجازات المهمة. وتوجد في السوق اليوم بضعة عقاقير، وثمة عدد آخر في الانتظار، لكن الخبراء يتفقون على ان افضلها لا يزال في طريقه الينا.

ويضيف الدكتور هيرش: "في غضون عشر سنين فقط تحولت معالجة الالتهابات الفيروسية من الظلام الى الرجاء. ومع ان ثمة مقداراً كبيراً من الجهد يجب بذله، فلا ريب أننا ولجنا عصر المضادات الفيروسية."

■ ستانلي انغلبارت

لا يرد له أمر

ذات ليلة غشاها الضباب، شاهد ربان سفينة ما ظنه أنوار سفينة اخرى تتقدم نحوه. وطلب من المسؤول عن الاشارة ان يوجه أنواره نحوها معبراً بالضوء عن الآتي: "بدلوا اتجاهكم عشر درجات جنوباً." وأتاه الجواب: "بل بدلوا اتجاهكم أنتم عشر درجات شمالا."

وعندئذ أجاب الربان نفسه: "بما اني قبطان، ينبغي أن تطيعني وتغير اتجاه سفينتك عشر درجات الى الجنوب."

وجاءه الآتي: "وأنا بحار من الفئة الاولى. لذلك عليك ان تطيعني وتغير اتجاهك عشر درجات الى الشمال."

وجن جنون القبطان الذي عاد يقول الآتي: "اني قائد سفينة حربية. وها أنا آمرك بتعديل اتجاهك."

وجاءه هذا الجواب: "أما أنا فقائد منارة بحرية. ولهذا أحثك على التقيد بأمري فوراً."

د.ب.

الطبيب الشاعر

الشاعر الامريكي وليم كارلوس وليمس كان، في الوقت نفسه، طبيباً. وطالما سئل عن طريقة جمعه بين الشعر والطب. وكان تفسيره كالآتي: "علمتني الخبرة أن معاملة المريض كشيء، عوضاً عن معاملته كشخص، لا تجديه كثيراً، على رغم العقاقير والعمليات التي قد تجرى له. أما معاملته كشخص أو كعمل فني فهي أجدى كثيراً من الناحيتين الطبية والانسانية."

ن.د.



الضحك خير دواء

معطف الفرو

دخلت امرأة محلا لبيع الفرو مع زوجها وطفلتهما ، وراحت البائعة تغريها بشراء معطف بقولها انه "يفعل العجائب ويجعل الجسم يبدو ناحلا ، والواقع انه كان واسعاً وثقيل الوزن، الا ان الطفلة ذات السنوات الأربع انقذت الموقف بقولها : "انه جميل يا ماما ، فأنت تبدين مثل الغوريلا ."

ج.ب.

أرقام غاليفر

في مصعد مزدحم، سأل رجل صديقه: "كيف حال تجارتك؟"
ـ عظيمة جداً. ففي العام الماضي بعنا ٥٠٠ الف منزل و٧٠٠ الف مزرعة و٧٥٠ الف مدرسة. ونأمل ان نبيع اكثر هذه السنة، اضافة الى مليون و٩٠٠ الف مرأب.
وران صمت عميق، الى ان قال احدهم: "سيدي، اني زميل في المهنة، واسمح لي ان اقول ان ارقامك مغلوطة جملة وتفصيلا ، ولا يمكن ان يقبلها العقل."
والواقع ان الشخص المحتج لم يعرف حقيقة الأمر، وهي ان التاجر الآخر هو مدير شركة كبرى لبيع الألعاب.

ر.ب.

تفاحة آدم وحواء

طرح استاذ السؤال الآتي على تلاميذه: "كم بقي آدم وحواء في الجنة؟" فأجابه احد الأولاد على الفور: "حتى الخامس عشر من يوليو (تموز)."
ـ وما تفسيرك لهذا التاريخ؟
"لأن التفاح لا ينضج قبل ذلك الوقت."

ر.ج.

غرام الشوكولاتة

الجملة الاولى في كتيب إعلاني عن الشوكولاتة: "لقد أثبتت الابحاث العلمية أن ١٤ شخصا من كل عشرة يحبون الشوكولاتة."

س.ب.

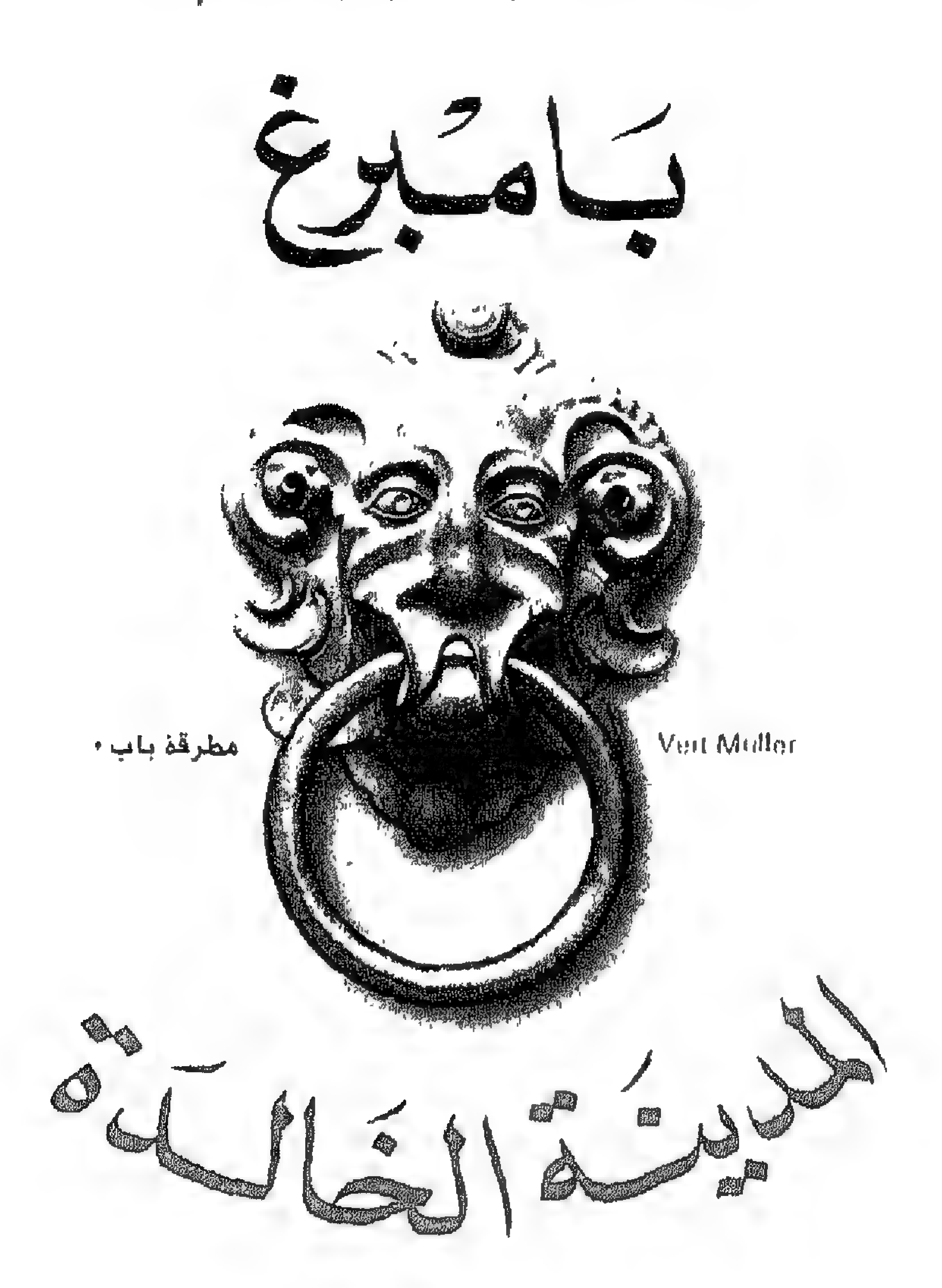
رجع الصدى

صرخ طبيب الأسنان بعدما عاين مريضاً جديداً: "يا الهي! هذا اكبر تجويف رأيته!... اكبر تجويف رأيته!"
فقال المريض غاضباً: "ولماذا تكرر العبارة؟"
فأجاب الطبيب: "انا لم اكرر شيئاً... انه الصدى."

ك.م.

هذه المدينة الخالدة فوق الهضاب السبع
دعيت مرة "مركز العالم"

بامبرغ



مطرقة باب ·

Veit Muller

المدينة الخالدة



نظرت الى أسفل فرأيت المدينة المشيدة على سبع تلال منبسطة بسطوحها القديمة التي تشكل مزيجاً من الوان حمر ورمادية· وشاهدت كنائس ذات قباب مستدقة ترتفع عالياً نحو السماء· وكانت شمس الصباح ترسل أشعتها على النهر الذي يجري عبر الابنية الجليلة كشريط من اللجين· إنها مدينة يرقى تاريخها الى ما يزيد على ألف سنة، وقد كانت ذات مرة مقراً لأحد الاباطرة·

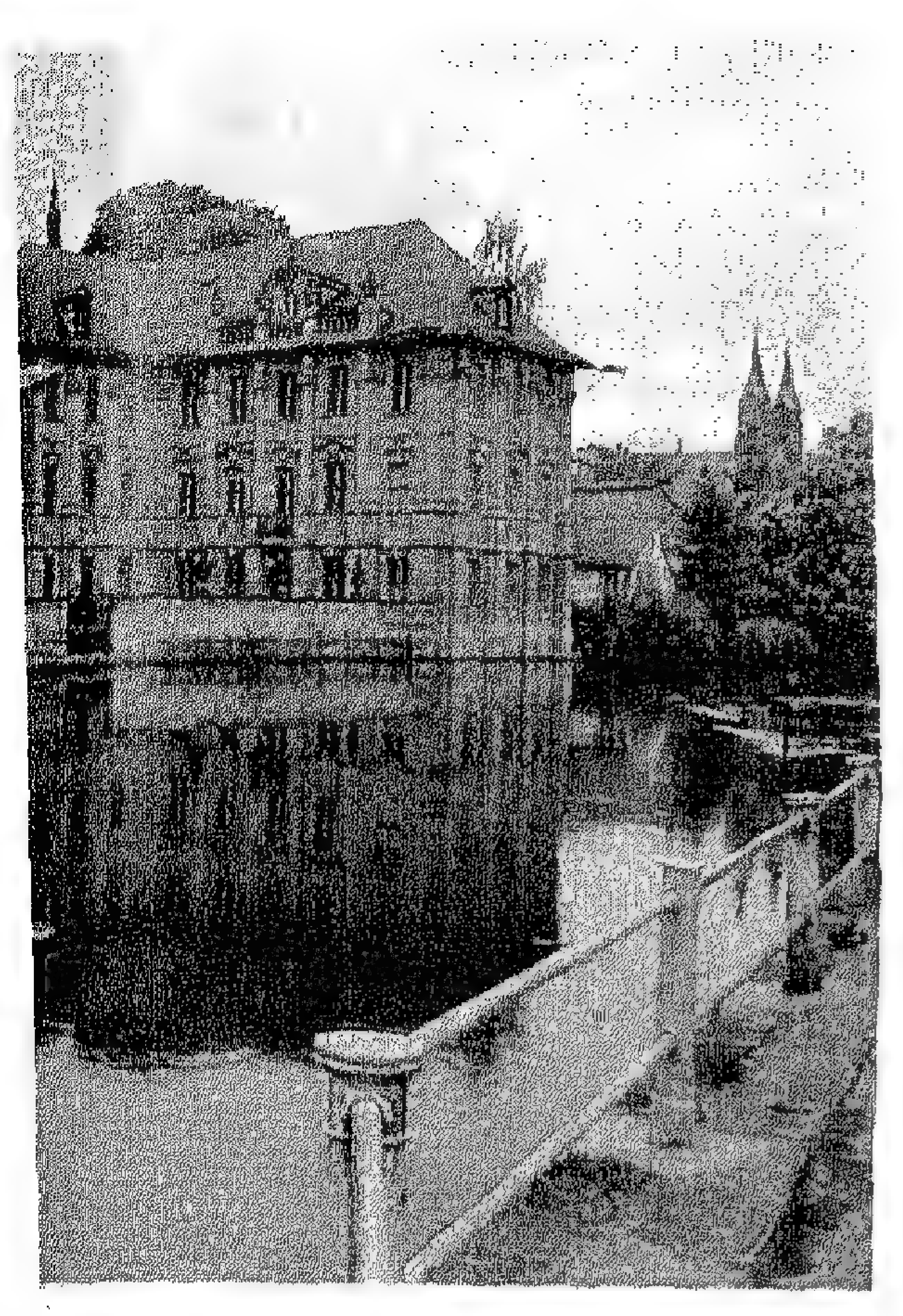
أهي روما؟ لا، بل هي بامبرغ، البلدة الالمانية القائمة في مقاطعة فركونيا الشهيرة بكرومها والتابعة لمنطقة بافاريا· وقد شيدت بامبرغ

Photo credit for panorama Veit Muller for inset Toni Schneiders / Joachim Kinkelin



قصر البلدة القديمة وسط نهر ريغنتز، ويبدو في أسفل الصفحة تمثال فارس بامبرغ الموجود في الكاتدرائية.

من اليمين: قلعة كونكورديا على صفحة مياه ريغنتز، الكاتدرائية ذات القباب الاربع.



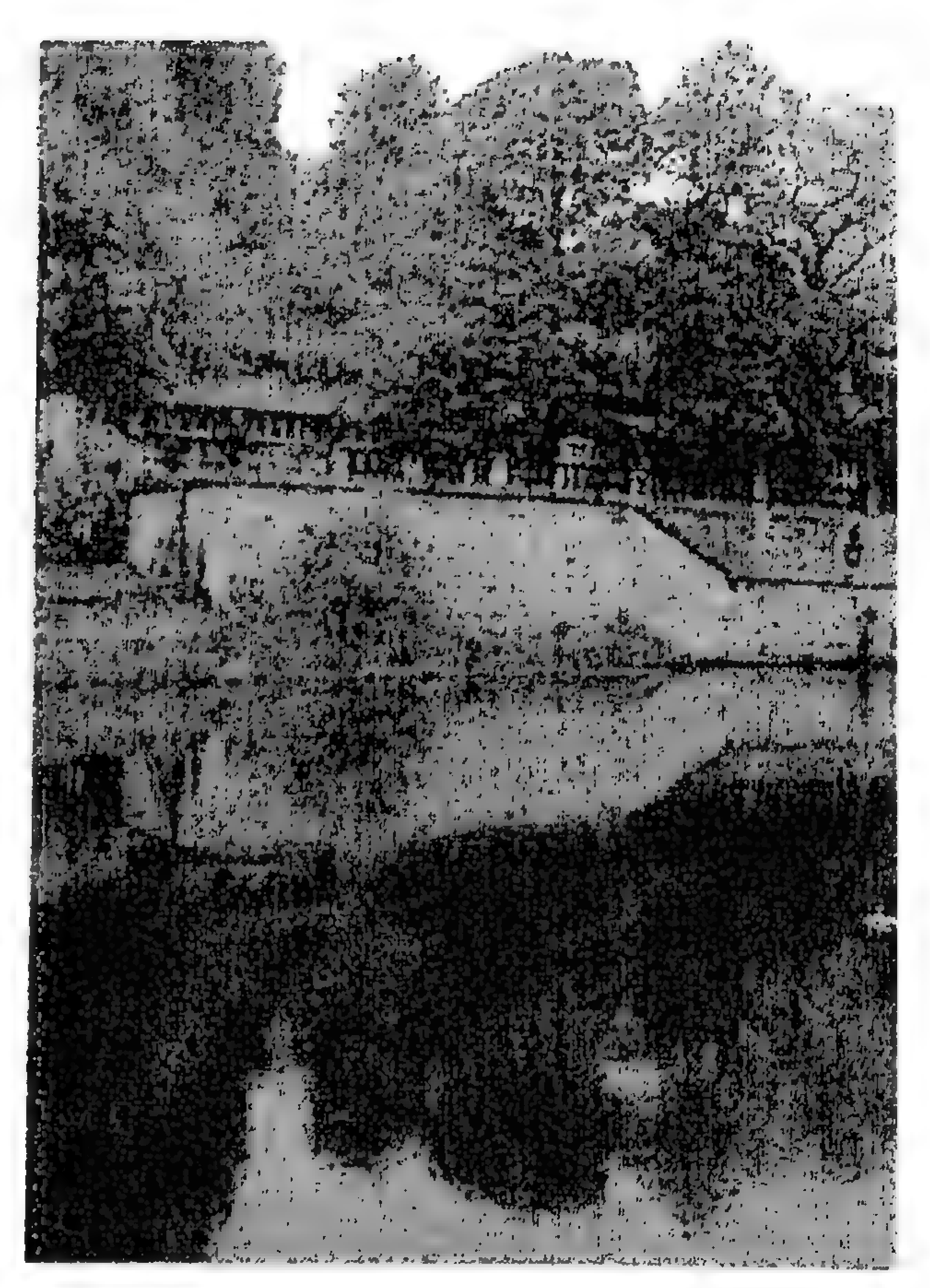
على مثال المدينة الخالدة فوق هضاب سبع ودعيت ذات مرة "كابوت أوربيس" أي مركز العالم. كان ذلك في مطلع القرن الحادي عشر حين باتت بامبرغ لفترة قصيرة العاصمة غير الرسمية للامبراطورية الرومانية التي أسسها شارلمان. وقد نصب عمود في ساحة الكاتدرائية للاشارة الى حيث يقع "مركز العالم".

تمتد بامبرغ القديمة اليوم على مساحة ٢٥٠ هكتاراً، وهي تفوق كل مدينة ألمانية أخرى بعدد أبنيتها التاريخية. وقد أتيح لي وأنا على برج غايرسورث ان اعرف ما الذي حدا الكاتب رودولف بورتنر على القول إن بامبرغ هي "أكمل مثال لجميع المدن التي لا تزال قائمة حتى الآن." فأبنيتها مثل سمفونية في فن العمارة، عناصرها مزيج من الانماط الرومانسكية والقوطية والباروكية ونمط عصر النهضة. أما بساتينها وحقولها الموزعة بين البيوت فهي أقرب الى نغمة ريفية.

غير أن ما لفت نظري أكثر من سواه هو الابنية التي بدت في حال من الكمال كأن الايام لم تغير فيها شيئاً. لذلك لم يكن غريباً ان يصار الى تكريم أهل بامبرغ في العام ١٩٧٥، وهو عام المحافظة على الابنية القديمة في اوروبا، بسبب صيانتهم التي قل نظيرها لبيوتهم القديمة. وفي العام ١٩٧٧ عقد مؤتمر دولي ضم مشاهير المهندسين المعماريين



من اليمين: بائعة بقول، واجهة فندق "مسرشميت" من الطراز الباروكي، تمثال القصصي هوفمان.
Veit Muller




MESSERSCHMITT

والخبراء في الفن. وفي نهاية المؤتمر تقرر منح بامبرغ ميدالية أوروبا الذهبية لكونها أفضل المدن الاوروبية في المحافظة على أبنيتها التاريخية وترميمها. وفي الوقت الحاضر لم يعد ممكناً عقد حلقة دراسية أو مؤتمر حول هذا الموضوع من دون الرجوع الى هذه المدينة.

خطر داهم – واجهت بامبرغ في بداية الستينات خطراً حقيقياً كاد ان يقضي على مركزها التاريخي، إذ تبين انه من الاسهل كثيراً هدم المنازل القديمة وتشييد مئات الابنية الحديثة المكونة من الزجاج والاسمنت. وعندما دق المواطنون المعنيون ناقوس الخطر كانت الجرافات هدمت في بامبرغ عدداً من الابنية يفوق ما دمر منها في أثناء الحرب العالمية الثانية. ويقول الطبيب المحلي فيكتور هارث: "ان مدينتنا القديمة تشبه سواراً مرصعاً بالجواهر، فاذا نزعنا منه جوهرة واحدة شوهناه برمته. فالحفاظ على جمال السوار يقتضي المحافظة حتى على صغار الحجار الكريمة."

بصفته رئيساً لجمعية المحافظة على بلدة بامبرغ القديمة، بدأ هارث ينظم مناظرات وأسواقاً خيرية وحفلات موسيقية ويرسل بعض أعضاء الجمعية للبحث عن آثار الخراب في أبنية البلدة، أو عما هو أسوأ، أي مشاريع "تجديد" تلك الابنية على نحو يبتعد بها عن الاصل. وهب أعضاء آخرون الى نشر نشاطاتهم بين أصحاب البيوت، وجعلوا يكتبون على الابنية التاريخية أسماء بناتها الاصليين. كما أنشأوا صندوقاً لمساعدة الاهالي الذين يحتاجون الى مبالغ صغيرة لترميم بيوتهم وصيانتها، ومنحوا جوائز لأفضل أعمال الترميم.

المواطن الفخور – لم يمض زمن طويل حتى غدا موضوع المحافظة على الابنية التاريخية أبرز الموضوعات المحلية في بامبرغ. فبعدما كان الانطلاق في أعمال الترميم بطيئاً أصبح الآن مجموع ما تنفقه الدولة الالمانية ومنطقة بافاريا ومدينة بامبرغ نفسها على هذه الاعمال يبلغ نحو عشرة ملايين مارك (٣٫٥ ملايين دولار) في السنة. وقد ارتفع هذا المبلغ الى نحو عشرين مليون مارك (٧ ملايين دولار) بمساهمة المتبرعين من الافراد والمؤسسات الدينية وسواها. وما تبقى اليوم في بامبرغ من الابنية التي ترقى الى اكثر من ٢٠٠ سنة والتي تحتاج الى ترميم يقل عن نصف عددها الاجمالي البالغ ١٤٠٠ بناء.

غير أن إصلاح هذه الابنية يثقل اصحابها بأعباء مالية كبيرة. مثال ذلك ان فولفغانغ فونش قائد الفرقة الموسيقية في الكاتدرائية أنفق ٣٥٠ ألف مارك (١٢٥ ألف دولار) لترميم بيت اشتراه في مقابل أغنية عام ١٩٧٤. وقد بني هذا البيت على النمط القوطي قبل ٦٠٠ سنة. وقال لي فونش: "كنت أمر به في طريقي الى العمل، ومع أنه كان خالياً ويكاد يتداعى فقد أحببته من

النظرة الاولى." واقتضى إصلاحه على نحو كامل إنفاق ٨٠٠ ألف مارك اضافية جمعت من التبرعات. وها هو اليوم بطبقاته البيضاء الاربع وموقعه على ضفة النهر وشرفاته الخشبية واحداً من أجمل بيوت بامبرغ. ويقول فونش: "سوف احتاج الى عشرين سنة أخرى كي انتهي من إصلاحه والى ثلاثين سنة لأفك رهوني وأفي ديني للمصرف. لكن الامر جدير بذلك، ويغمرني كمواطن شعور بالفخر."

لقد عاد الصندوق بالنفع على ٨٠٠ شخص من مواطني بامبرغ حتى الآن. ويقول هارث: "ان المنفعة شملت أيضاً المجموعة كلها، لأن حشر الناس في مدن قبيحة لا طابع معيناً لها يكلف اغلى كثيراً من الناحية الاجتماعية. فحاجة الروح الانسانية الى الجمال لا تقل عن حاجة الجسم الى الطعام، ولا شك في ان للسكن في بيئة جميلة أثراً إيجابياً في السكان." وجاء في مقال لاحدى المجلات الاسبوعية عام ١٩٨١ ان سكان بامبرغ هم أسعد المواطنين في ألمانيا الغربية.

مركز حضاري – ترجع تسمية المدينة الى عائلة بابنبرغ التي حكمت الاقليم المحيط بها في العصور المظلمة (القرون الوسطى). وفي القرن الحادي عشر اتخذ الامبراطور هنري الثاني، وريث امبراطورية شارلمان، مدينة بامبرغ مقراً له، وأقام فيها كاتدرائية عظيمة وكنيسة وديراً كي تنافس في روعتها مدينة روما. ولما كان هذا الامبراطور شديد الورع، فقد جعل بامبرغ أسقفية ووهبها أراضي تمتد جنوباً الى فريولي في شمال شرق إيطاليا. وعاونه في حكم المدينة الاسقف ابرهارد، مستشاره السابق الذي جمع خلفاؤه في ما بعد بين السلطتين الدينية والزمنية وباتوا يعرفون في المدينة بالاساقفة الامراء. ودامت هذهالحال حتى العام ١٨٠٣ عندما أضحى حكم بامبرغ مدنياً في أعقاب غزوات نابليون.

وفي عهد الامبراطور هنري أصبحت بامبرغ أيضاً مركزاً ثقافياً وحضارياً مهماً، إذ كانت فيها مكتبة تضم ألفي مخطوطة ومدرسة تابعة للكاتدرائية تدرب المتخصصين بالدراسات الكنسية والديبلوماسيين. وفي العام ١٦٤٨ أسست جامعة في بامبرغ وأصبحت المدينة الثانية بعد هامبورغ ينشأ فيها مستشفى. وكان الفنانون والباحثون والعلماء يفدون اليها أفواجاً. وحل الرسام البرخت دورير ذات مرة ضيفاً في قصرها القديم. وأمضى فيها الفيلسوف هيغل بضع سنوات يعمل في الصحيفة المحلية "بامبرغر زينونغ". أما الكاتب القصصي الشهير هوفمان فعمل مديراً لمسرح المدينة.

وبامبرغ حافلة بالبيوت الرائعة كبيت بوتنغر الغني بزخرفته وقصر كونكورديا الواقع على ضفة النهر وقصر البلدة القديمة الذي يجثم كالسفينة في وسط نهر ريغنتز.

فطور لا ينسى – في القرن الخامس عشر كان أهل بامبرغ منقسمين فئتين، إحداهما كنسية والاخرى

مدنية. وكان النهر يفصل بينهما. ولما كانت كل فئة منهما تريد ان يبنى في أرضها قصر في أعلاه برج، فقد وجد الاسقف الامير حلا يقضي ببناء القصر في وسط النهر.

الا أن المدينة لم تبلغ ذروة مجدها إلا بكاتدرائيتها ذات القباب الاربع. وتحوي هذه الكاتدرائية كنوزاً أشهرها تمثال ("فارس بامبرغ") المصنوع من الحجر والذي يصور فارساً متوجاً. ويرى معظم الباحثين أنه يرمز الى الحاكم المثالي في القرون الوسطى، ذلك الحاكم الذي يحدق الى الآفاق الروحية والمادية في آن.

في الجهة الغربية لساحة الكاتدرائية نشاهد القصر القديم الذي يمثل فن العمارة في عصر النهضة. وهو ذو سقوف عالية علقت بها طنوف جميلة. وكانت توضع فيه الحبوب واللحوم المجففة ومنتوجات أخرى كان المزارعون المحليون يدفعونها كضرائب. وفي الجهة المقابلة واجهة تمثل بوضوح النمط الباروكي، وهي جزء من المقر الجديد الذي بناه في نهاية القرن السابع عشر يوهان ليونارد دينتسنهوفر، المهندس المعماري الشهير.

وعلى رغم غنى بامبرغ بأنماطها المعمارية وكنوزها الفنية، فانها تبقى في المقام الاول مكاناً "للناس". ويبلغ عدد سكانها ٧١ ألف نسمة، ويندمج زائرها من فورة في حياتها المريحة. وقد قال لي رئيس المجلس البلدي بول رومز عندما زرته: "إننا لا نتمنى البتة ان تصبح بامبرغ شبيهة بمدينة والت ديزني."

واشتهرت بامبرغ باعداد بعض الوان الطعام الشهية ومن بينها الهليون والبصل المطبوخ باللحم. لكن أشهرها جميعاً كعكة الـ"هورنلا" أو "كرواسان" بامبرغ. وعلى رغم ادعاء أهل فيينا انهم اخترعوا الـ"كرواسان" (★) في القرن السادس عشر فقد كان خبازو بامبرغ يبيعون الـ"هورنلا" قبل ذلك بقرن كامل، وهم قدموا الى أجيال من الاوروبيين فطوراً لا ينسى.

الجمال العظيم - إذا افترضنا ان التعبير عن الابتهاج يحتاج الى مناسبة، فان في بامبرغ فائضاً من هذه المناسبات. ومن بين الاسباب التي تحدو على إقامة الاحتفالات في بامبرغ ذكرى تشييد الكنائس. وأعظم هذه الاحتفالات هو "ساندكيرفا". ويدوم إحياؤه أربعة أيام وتقام فيه نزهات ليلية في النهر بمراكب مضاءة. وفي الخامس عشر من يوليو (تموز) يحتفل بعيد القديس هنري ويطوف المحتفلون في شوارع بامبرغ القديمة. أما في عيد القديس يوحنا الذي هو أطول ايام السنة فيجتمع الناس في الهواء الطلق ويضرمون النار على التلال حول المدينة.

اشتهرت بامبرغ بعد الحرب بفرقتها الموسيقية التي يبلغ عدد أفرادها ١٠٢. وقد تألفت من أعضاء الاوركسترا السمفونية الالمانية الذين اتخذوا مدينة براغ مقراً لهم بعدما

(★) كعكة محلاة هلالية الشكل.

هربوا غرباً عام ١٩٤٥ في أثر زحف الجيش الروسي الى تشيكوسلوفاكيا٠ ولم يكن معهم حين وصلوا الى بامبرغ سوى فراشي أسنانهم وآلاتهم الموسيقية٠ لذلك واجهوا مشكلة ليلة افتتاح حفلاتهم هناك٠ فقد ذهب أعضاء من الفرقة الى الحاكم العسكري الامريكي النقيب الراحل ناتان برستون وأبلغوه اعتذارهم قائلين: "ليس في وسعنا العزف بثيابنا العادية، فنحن نحتاج الى ثياب سوداء٠"

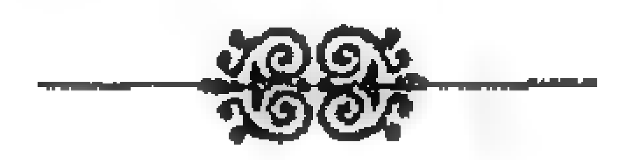
وقد قال لي برستون في يوليو (تموز) ١٩٨٢: "كان ايجاد هذا العدد من الثياب السوداء في نهاية الحرب أشبه بالبحث عن الدببة القطبية في الصحراء٠ لكننا حصلنا عليها وان كان بعضها غير ملائم طبعاً٠"

واشهر فنادق بامبرغ هو "شرنكرلاس" الذي افتتح عام ١٦٧٨٠ فالمرء يرى خارجه الرياحين في أصص النوافذ، وداخله السقوف المنخفضة وقد علقت فيها مصابيح من قرون الوعول٠

وفيما كنت ذات مرة جالساً في الفندق الى طاولة من الخشب كبيرة، والى جانبي أحد سكان بامبرغ، أخذ جليسي يستعيد ذكرياته قائلا: "عندما أتيت الى هنا للمرة الاولى قبل سنوات كنت أظن المدينة خاملة مملة٠ لكني ما زلت أذكر اللحظة التي بت مولعاً بها٠ حدث ذلك في يوم من أيام الربيع، وكانت أشجار الكستناء أزهرت٠ وفجأة غمرني إحساس بالجمال العظيم الذي نما هنا على مر القرون٠ وأنا واثق الآن اني أفضل السكن في هذه المدينة عليه في أي مدينة ألمانية أخرى٠"

ورفعت له كأسي٠٠٠ قد أكون أنا أيضاً أصبحت مولعاً بهذا المكان الفاتن٠

■ كريستوفر ماتيوز



رعب هيتشكوك

بادر صحافي" يوماً المخرج الكبير ألفرد هيتشكوك: "انك لا تحضر البتة عرض أفلامك مع الجمهور٠ ألا يُفقدك هذا الامر ردود فعلهم من خوف ورعب وصراخ؟"
فأجابه هيتشكوك: "كلا٠ فأنا أرى رعبهم وأسمع صراخهم خلال اعداد الفيلم٠"

ك٠ا٠م٠

شهية العصافير

الذين يقولون عمن خف" أكله انه "يأكل كعصفور" يجهلون كم هي شهية العصافير كبيرة٠ فهي تلتهم الطعام على نحو لا يصدق٠ وقد أنفق مختبر جامعي تسعة أطنان من بزور دوار الشمس طعاماً لعصافيره خلال أحد فصول الشتاء٠ وفي مكان اختباري آخر، لوحظ أحد العصافير يلتهم مئة حبة من دوار الشمس خلال ٢٥ دقيقة٠

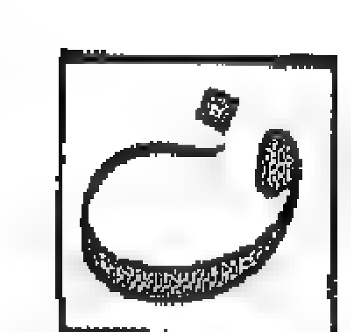
ج٠د٠

عَاشَ الملكُ !
عَاشتْ سيلفيا!



الملك كارل السادس عشر غوستاف والملكة سيلفيا يوم زفافهما .

تغيرت أسوج (السويد) كثيراً منذ ما أحب ملك البلاد ـ والأمة بأسرها ـ فتاة المانية من عامة الشعب



في تمام الثانية عشرة ظهر التاسع عشر من شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٦، كانت حسناء قاتمة الشعر ترتقي درجات فرشت بسجادة حمراء، لتدخل كاتدرائية ستوركيركان في استوكهولم التي يرجع عهدها الى القرن الثالث عشر. وعلى مدخل الكاتدرائية تقدمت مبتسمة، رابطة الجأش، وأمسكت يد كارل السادس عشر غوستاف، ملك أسوج (السويد) البالغ من العمر يومئذ ثلاثين عاما. وتقدم الاثنان ببطء عبر الممشى الطويل ووقفا أمام المذبح الذي غطته ورود حمراء زاهية.

استغرقت مراسم الزواج خمساً وأربعين دقيقة أمام حشد من المدعوين بلغ عددهم سبعمئة، وفيهم الملوك والامراء والرؤساء ورؤساء الوزراء، وأمام عدسات التلفزيون التي نقلت وقائع الاحتفال الى ملايين المشاهدين. وخرج الملك وعروسه من الكنيسة ليجدا مئة وخمسين ألفاً من الرعايا اصطفوا على جوانب الطرق ليهتفوا بحياتهما. في تلك اللحظة كانت شابة في الثانية والثلاثين من عمرها، ترتدي ثياب عرس كأنها حيكت في الاساطير، تنتقل من صفوف العامة لتصبح ملكة أسوج.

وفي مأدبة العرس التي أقيمت في القصر الملكي في استوكهولم وقف الامير برتيل، عم الملك، ورفع كأسه يشرب نخب الشابة الجالسة بجانب الملك، وقال باسمه وباسم الامة: "اننا معجبون بحكمتك وبفتنتك، وواثقون بأنك ستؤدين واجبك على أكمل وجه. ان الشعب الاسوجي، وأفراد عائلتي جميعاً، يرحبون بك، بملكتهم الجديدة".

وفعلا كان ترحيب الشعب الاسوجي

بالملكة الجديدة صرخة عاطفة ملكية أدهشت الكثيرين في ذلك البلد الذي يعيش مواطنوه مؤمنين بمبدأ المساواة. وعلى رغم ان الحكومة الاسوجية المتمسكة بمبادىء الاشتراكية نجحت في تجريد الملك من معظم سلطاته السياسية، فقد بدا جلياً أن الكثيرين من المواطنين، ويبلغ عددهم ثمانية ملايين، ما زالوا اليوم يعزون النظام الملكي. ففي العام ١٩٨١ أجري استفتاء للوقوف على آراء المواطنين، كانت نتيجته ان ٧٤ في المئة من السكان يحبذون وجود شخصية ملكية على رأس الدولة، في حين كانت هذه النسبة ٦٩ في المئة فقط عام ١٩٦٢. وعندما سئل الاسوجيون عن الشخصية التي توحي اليهم بالثقة أكثر من اي شخصية أخرى، ملكية كانت او سياسية، احتلت الملكة سيلفيا مكان الصدارة، اذ حصلت على ٤٩ في المئة من مجموع الاصوات. أما المقابلة التلفزيونية التي أجريت مع الملك والملكة في رأس السنة الجديدة عام ١٩٨٣ فقد حظيت بعدد مذهل من المشاهدين قدر بخمسة ملايين.

قصة حب - ولدت سيلفيا رينات سوميرلات في هايدلبرغ في ألمانيا، في ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٣، من أم برازيلية وأب هو رجل أعمال ألماني. وترعرعت مع أشقائها الثلاثة، وهم أكبر منها سناً، في سان باولو في البرازيل، حيث استقر وولتر سوميرلات مع عائلته بعد الحرب العالمية الثانية، وكان مديرا لشركة "أوديهولم" الاسوجية لصناعة الصلب. وكان الاولاد يمضون أيام عطلهم في مزرعة للبن تملكها العائلة، حيث كانت سيلفيا تتمتع بركوب الخيل والسباحة وألعاب الجمباز، وتنعم برفقة قردها العزيز ميكي. ويوم عادت العائلة الى ألمانيا عام ١٩٥٧، وقفت سيلفيا على أرض المطار تلوح مودعة رفيقات مدرستها بقلب متفطر، وكانت آنذاك في الرابعة عشرة من عمرها.

استقرت عائلة سوميرلات في دوسيلدورف. وفي ١٩٦٣ حازت سيلفيا شهادة أبيتور (نهاية المرحلة الدراسية) والتحقت بمعهد الترجمة في ميونيخ. وفي ١٩٦٩ حصلت على شهادة في اللغة الاسبانية. وعملت بعد ذلك مدة سنتين في القنصلية الارجنتينية في ميونيخ. وفي ١٩٧١ اختيرت لتكون واحدة من ثماني مضيفات مهمتهن اختيار مضيفات أخريات وتدريبهن لدورة الالعاب الاولمبية عام ١٩٧٢. وقبيل افتتاح الدورة رقيت سيلفيا الى مركز مساعدة لرئيس اللجنة التنظيمية، وكانت احدى مهماتها يومذاك استقبال الشخصيات البارزة.

وشاءت الاقدار أن يكون أحد هؤلاء الضيوف المشاهير ولي عهد أسوج، كارل غوستاف، الذي رأى سيلفيا للمرة الاولى خلال حفلة استقبال. فدعاها الى حفلة راقصة كان سيقيمها، ومنذ ذلك الحين أصبحت المرأة الوحيدة في حياة الملك.

في التاسع عشر من سبتمبر (ايلول) ١٩٧٣، بعد وفاة الملك

غوستاف السادس أدولف، جلس كارل غوستاف على عرش أسوج وهو في السابعة والعشرين. وكانت سيلفيا وقعت عقداً للعمل في ادارة الالعاب الاولمبية الشتوية في انسبروك عام ١٩٧٦. فقرر الاثنان أن تبقى قصة حبهما سرية. وكثيراً ما كانت سيلفيا تسافر متنكرة الى استوكهولم. الا أن أحد المصورين شاهد الحبيبين مرة في احدى محطات الوقود، فبدأت الاشاعات تروج بسرعة.

تمّ اعلان الخطبة رسمياً في الثاني عشر من مارس (آذار) ١٩٧٦، بعد انتهاء الالعاب الاولمبية. وفي ذاك اليوم عينه ظهر الملك مبتهجاً على شاشة التلفزيون ليقدم خطيبته الى حشد متلهف من المشاهدين. فكانت تلك اللحظة بداية لقصة حبّ ثانية بين الاسوجيين وملكتهم المقبلة. ويستعيد لارس اوروب ذكرى تلك المناسبة، وهو من قدامى المعلقين التلفزيونيين: "لقد بدت سعيدة، ووجهت الى المشاهدين بضع كلمات بالاسوجية. وعلى الفور احتلت قلوب المواطنين جميعاً."

وكون الملكة سيلفيا تتمتع بهذه الشعبية الواسعة لا يدعو في الواقع الى العجب. فهي رائعة الجمال، لها عينان بنيتان ثاقبتان وملامح بديعة التكوين وبشرة مخملية ناعمة. وهي بطبيعتها ودّية وغير متحفظة، فكانت شخصيتها هذه مكملة لشخصية كارل غوستاف الخجول الذي ينزع الى الانطواء على نفسه. وتقول الملكة في هذا المجال: "انّ كلا منا يساعد الآخر، وهذا شيء رائع."

وعلى رغم ان نظراتها الاخاذة تجذب اليها الاهتمام والاضواء، فهي لا تنسى أبدا أنها زوجة ملك. وقد علق على هذه الظاهرة جون اريك ستروم، وهو وزير سابق للتربية والثقافة رافق الملك والملكة في زيارتهما الى تنزانيا والمكسيك، فقال: "انها تحرص دائماً على أن يبقى هو متقدماً، وهي تراعي منصبه وتنتظر دورها في الحديث والكلام."

ملكة المفاجآت - تتصرف سيلفيا مع الصحافة بمهارة فائقة بفضل شخصيتها الهادئة ورباطة جأشها. ونذكر على سبيل المثال أن صحيفة "داغنز نايهيتر"، وهي اهم صحيفة صباحية يومية في البلاد، تحدت الملكة ذات مرة حين طلبت منها أن تشرح سبب امتناعها عن مساندة الحركة المناهضة للتسلح النووي مساندة عملية. فأعطت الملكة جواباً ذكياً ورصيناً، وقالت أنها بالطبع من دعاة انتشار السلام في العالم، ولكن ينبغي أن تبقى الملكية بعيدة عن الخوض المباشر في السياسة. وأضافت: "اذا اتخذنا من الاحداث مواقف علنية منحازة، نظر الناس الينا وكأننا فريق في قضية، والفريق له خصوم."

تتمتع الملكة بمقدرة فائقة في اللغات، وهذا عامل ساعدها الى حدّ بعيد في خوض حياتها الاجتماعية برشاقة ومهارة. فهي تتقن خمس لغات: البرتغالية والالمانية والاسبانية والانكليزية والفرنسية، كما تتكلم الاسوجية بطلاقة مع زوجها وأولادها.

وقد يحدث أحياناً أن تطلق بعض النكات بالاسوجية في مقابلاتها التلفزيونية. والاسوجيون يحبون تصرفها هذا حباً عظيماً. وهم كذلك يقدرون ملكتهم لأنها تراعي مشاعر الآخرين في كل ظرف.

في نهاية زيارة قام بها الزوجان الملكيان الى غوتلاند في ربيع ١٩٧٨، كان الحر شديداً. وكان الملكان ركبا سيارتهما استعداداً للسفر عندما شاهدت الملكة جماعة من المسنين وقفوا تحت الشمس المحرقة وعلى وجوههم ملامح السأم. فترجلت من السيارة وتوجهت نحو الجماعة المبتهجين وتجاذبت معهم الحديث. وقد قال بوبي أندستروم، وهو صحافي يرافق الملك والملكة في الكثير من زياراتهما: "ان أموراً كهذه تحدث باستمرار. فقد تشاهد الملكة بين الحشود طفلا أو عاجزاً أو شخصاً منعزلا بعيداً عن أي اهتمام، فتتوجه اليه لتصافحه أو لتتقدم اليه كلمة تشجيع أو عزاء."

وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨١ ظهرت سيلفيا على شاشة التلفزيون في برنامج للمعاقين. وعندما سئلت عما تعرفه عن حال المعاق ومشاعره أجابت ببساطة مذهلة معبرة بلغة الاشارات، وكانت الملكة لفترة خلت استقدمت معلماً متخصصاً بلغة الاشارات أعطاها دروساً أسبوعية. وكان معظم معاونيها المقربين يجهلون هذا الامر كلياً.

وانهالت على القصر رسائل المشاهدين المعجبين وبطاقاتهم وبرقياتهم. وفي احدى هذه الرسائل قالت فتاة في العاشرة من عمرها إن والديها أصمان يتخاطبان بلغة الاشارات، وانها كانت حتى الساعة تشعر بحرج في استعمال الاشارات أمام الغرباء. وأردفت الفتاة: "أما الآن، وقد شاهدتك تستعملين لغة الاشارات، فلم أعد أشعر بأي حرج."

الزيارات الملكية - كثيراً ما يشاهد المواطنون ملكتهم تتسوق في محلات المدينة، أو تطوف أرجاء جزيرة أولاند صيفاً، او تتنزه بعد ظهر أيام الاحد في متنزه دروتننغهولم خلف القصر برفقة ولية العهد الاميرة فكتوريا (ولدت في ١٤ يوليو/ تموز ١٩٧٧) والامير فيليب (ولد في ١٣ مايو/ أيار ١٩٧٩) وصغرى أولادهما مادلين (ولدت في ١٠ يونيو/ حزيران ١٩٨٢). والملك والملكة، على غرار الآباء والامهات جميعاً، يقودان أحياناً سيارتهما ليوصلا ولديهما الكبيرين الى دار للحضانة في ضاحية فاستيرلد القريبة.

وتقول سيلفيا مشيرة الى هذه المظاهر: "ان المواطنين يرتاحون لمشاهدتنا نتصرف هكذا كالسكان العاديين. وهم يسألون تكراراً اذا كنا، من وقت الى آخر، نحضر طعامنا بأنفسنا، أو نغير حفاضات أطفالنا، أو نرتب أسرتنا بأيدينا (والحقيقة أن الزوجين الملكيين يقومان فعلا بهذه الاعمال). لكن المواطنين يريدوننا أيضاً أن نكون ملكاً وملكة يمثلان أسوج تمثيلا لائقاً في المناسبات. فيتوجب علينا أن نكون مواطنين عاديين تارة وملكين تارة أخرى."

أما الزيارات الرسمية الخارجية فتبقى أصعب هذه المهمات قاطبة. فالزوجان الملكيان قاما بثلاث عشرة زيارة الى الخارج خلال السنوات السبع الاخيرة.

والاستعدادات لمثل هذه الزيارات تكون دائماً دقيقة وجهيدة. فتكب الملكة على صفحات وصفحات من المعلومات، وتستشير الخبراء لتلم بكل مظهر من مظاهر الحياة في البلد الذي ستزوره مع الملك. فتتعرف هكذا الى حضارة البلد وثقافة شعبه والى لغته أحياناً.

الجوهر باق - على صعيد الحياة العائلية استطاعت سيلفيا أن تحيط كارل غوستاف بالحنان والعطف اللذين طالما افتقر اليهما. فوالده قتل في حادث طيران عام ١٩٤٧ بعد سنة واحدة من ولادته. وفي ١٩٥٠، عندما اعتلى جده غوستاف أدولف عرش أسوج، كان عمر كارل غوستاف أربع سنوات ونصف سنة، فاصبح في تلك السن ولياً للعهد. وترعرع في بلاط يرتاده أناس من جيل جده، ونشأ في ظل ملك مخلص ومحبوب عاش تسعين عاماً.

وعندما اصبح كارل غوستاف ملك الاسوجيين، كان الحزب الديموقراطي الاجتماعي الحاكم ماضياً في تحجيم الملكية والحدّ من صلاحياتها. وقد وضع دستور جديد أصبح سارياً عام ١٩٧٥ وجعل دور الملك دوراً احتفالياً ورمزياً الى حد بعيد. ويبقى الغاء الملكية جزءاً لا يتجزأ من برنامج عمل الحزب الديموقراطي الاجتماعي، لكن هذه القضية همدت بمجيء الملكة الجديدة. ويقول يان - اريك ويكستروم: "منذ ما جاءت سيلفيا الى أسوج تلاشت كل رغبة في الحديث عن هذه القضية."

وتتقبل الملكة سيلفيا متطلبات مركزها بواقعية. وهي قالت في هذا الصدد: "اني أقبلت على هذا الوضع بوعي كلي. وساعدتني خبرتي العملية لسنوات طويلة في الاستعداد نفسياً لما يخبئه المستقبل." وهي تؤكد انها لا تختلف اليوم كثيراً عما كانت قبل أن تصبح ملكة، فتقول: "ان ما طرأ علي من تغيير لحق بالمظهر والخارج، أما الجوهر فبقي على حاله." وهي ما زالت تحفظ لأصدقائها مودّة صادقة، وتقول: "الصداقة الحقيقية تدوم، وان أبعدت الظروف بين الاصدقاء وحرمتهم اللقاءات المتكررة."

لقد بقي الجوهر على حاله كذلك ايمانها العميق الذي احتفظت به منذ حداثتها. وتقول الملكة: "الايمان الراسخ يهب الانسان قوة باطنية، ويساعده في أن يكون متسامحاً ومنفتحاً ومتفهماً لمشاكل الناس وقادراً على ادخال البهجة حياة الآخرين. أوليس هذا جوهر المؤمن؟"

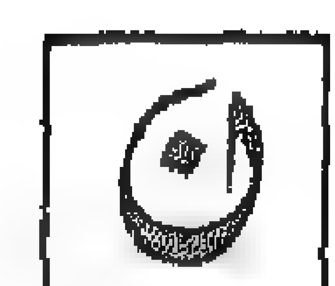
وبعد، فاذا كان أي انسان يرتاب في عاطفة الاسوجيين نحو ملكتهم، فما عليه الا أن يقصد أي بلدة صغيرة يزورها الزوجان الملكيان ليصغي الى السكان يهتفون وقد تغاضوا عن أصول البروتوكول: "عاش الملك! عاشت سيلفيا!"

■ ديبورا كاولي

اصبح هذا العشب البحري الحقير
صناعة تتعامل بمليارات الدولارات



الغابات البحرية



النصب التذكارية التي تخلد النساء والاجانب نادرة في اليابان. ومع ذلك فهناك لوحة برونزية تذكارية تشرف على خليج آرياكا لتخليد اسم الدكتورة كاثلين ماري درو، العالمة البريطانية في حقل النباتات البحرية. فكيف نالت درو هذا التكريم غير المألوف؟ انها استحقته لابحاثها في نبات متواضع لا نلقي اليه بالا وندعوه الطحلب.

وفيما يواجه العالم اليوم تناقضاً في الاغذية التقليدية والكيميائيات الصناعية، فان هذا النبات "الحقير" اخذ يبرز كفلتة شوط في السباق فكأن الاعشاب أصبحت فجأة المحصول الاجدى.

هذا الوضع البارز لنبات لا يحمل ازهاراً ولا ثماراً ولا ينفث عطراً غريباً لا يلهم احداً بالتغني بحسناته.

والواقع ان العشب البحري المتكوم على الشاطىء في فصل الصيف والحشرات تئز حوله لا يبدو ملهماً في اي حال. ولكن هل نحكم على شجرة صنوبر باسقة على اساس غصن مكسور منها نراه طافياً على وجه الماء؟

نظرتي الشخصية الى العشب البحري تبدلت فجأة بينما كنت أغوص قبالة شاطىء كاليفورنيا. فقد شجعني اصدقائي على الغوص بين "غابات" الطحالب البنية. هناك رأيت النباتات التي تتكوم متقلصة على الشاطىء تنبسط تحت الماء في دوال يراوح ارتفاعها بين ١٥ و١٨ متراً وتتمايل في تناسق مع تحرك العباب. وبدت لي هذه الحركة الصامتة مفزعة في اول الامر، لكن هذا الشعور الغامض تلاشى تدريجاً. وكان الطحلب الذي يشكل مظلة كثيفة

Douglas Foulke / The Stock Shop



على سطح البحر ينقسم تحت الماء اعمدة كجذوع الشجر. الطحلب البني الذي يبدو قاتماً على الشاطىء كان يلتمع بلون ذهبي تحت أشعة الشمس المتسربة اليه من خلال المظلة. ليس ثمة غابة زاهية بألوان الخريف يمكن ان تضاهي هذا التألق تحت سطح البحر.


Photofile, Ltd.

غواص يستكشف غابة طحلب تحت الماء.

وطفت تحت الماء كما يحلق الصقر في ريح صيفية، واخذت اراقب أسراب السمك تمر بي وكأنها شآبيب من المطر. واندفعت فقمة نحوي كأنها صاروخ ثم انحرفت عني في دورة انقلابية كلمح البصر. وانقضت بجعة من السماء في شلال من الفقاقيع الفضية وابتلعت ملء منقارها من السمك الصغير. منذ ذلك اليوم بت افضل الغابات الغارقة تحت الماء حيث لا اخشى تجرح قدمي. وبين رحلاتي في غابات الطحلب حاولت ان اتعلم المزيد.

وفي حين تبدو هذه الطحالب شبيهة بالنباتات التي تنمو على اليابسة، فليس لها جذوع او جذور او اوراق حقيقية. بعض انواعها يطفو هائماً، لكن لبعض الطحالب الضخمة "مراسي" تشبه الجذور تشدها الى قاع البحر. كما ان ما يشبه الاوراق يتدلى من اماليد تشبه الاغصان. ولبعض انواعها فروع دقيقة تلمع كاللآلىء في مياه البحر. وينعكس جمالها في الاسماء التي تطلق عليها: شعر عروس البحر، خز اللؤلؤ، الافعى المريشة، زبدة الحوريات.

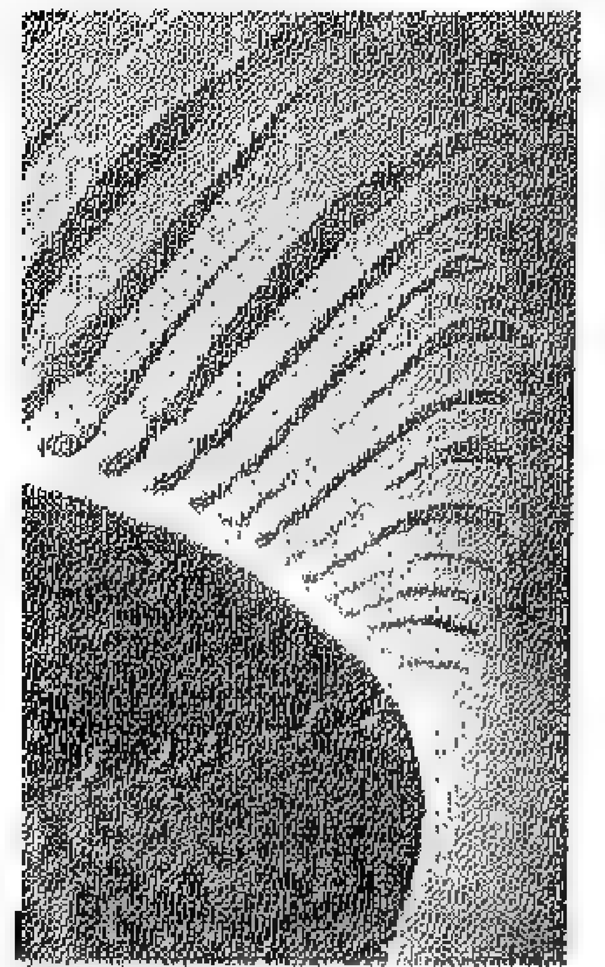
والطحلب العملاق الذي يؤلف الغابات البحرية التي أحبها هو اضخم انواع الطحالب. وقد تزن نبتته ١٣٥ كيلوغراماً ويزيد ارتفاعها على ٣٠ متراً. وعند قاعدة كل ورقة انتفاخ مليء بالغاز يمكن هذه النباتات الثقيلة من العوم (في صغري كنت ألقي هذه الانتفاخات في النار فتنفجر مدوية كالمفرقعات.) وتنمو بعض الطحالب المتعرشة الضخمة في اتجاه سطح البحر المغمور باشعة الشمس بسرعة ٦٠ سنتيمتراً يومياً. وما من نبتة اخرى تنمو بمثل هذه السرعة.

ثروة صناعية - توفر النباتات البحرية الغذاء والملاذ للكائنات التي تعيش في البحار، وهكذا تغدو حلقة

ذات اهمية حيوية في النظام البيئي في البحر. وتؤوي غابات الطحلب ثلاثة اضعاف ما تؤويه الصخور المغمورة في الماء من المخلوقات البحرية. وقد تعيش ٩٠ الف سمكة صغيرة في مساحة تقل عن نصف هكتار من غابة الطحلب. وحتى في مماتها، تساعد هذه النباتات البحرية في استمرار الحياة. فالطحالب الهائمة في الماء سرعان ما تكتسي باعداد كبيرة من الكائنات الصغيرة فتصبح مصدراً غذائياً اساسياً للمخلوقات التي تقتات من قاع البحر وللحيوانات التي تعيش على الشاطىء.

ولكي تفهم كيف تحصل الطحالب البحرية على الطاقة، عليك ان تنظر الى علم النبات البري مقلوباً. فالاوراق تستمد الطاقة من نور الشمس وتمتص الغذاء من الماء المحيط بها بدلا من قاع البحر. وينتقل الغذاء نزولا عبر العروق الدقيقة ليصل الى القاعدة السفلى التي تشد النبتة الى القاع. وثمة اوراق خاصة عند قاعدة الطحلبة تطلق مليارات البوغات (البذور) الصغيرة التي تتعلق نسبة ضئيلة منها بقاع البحر لتنمو وتصبح نباتات بالغة.

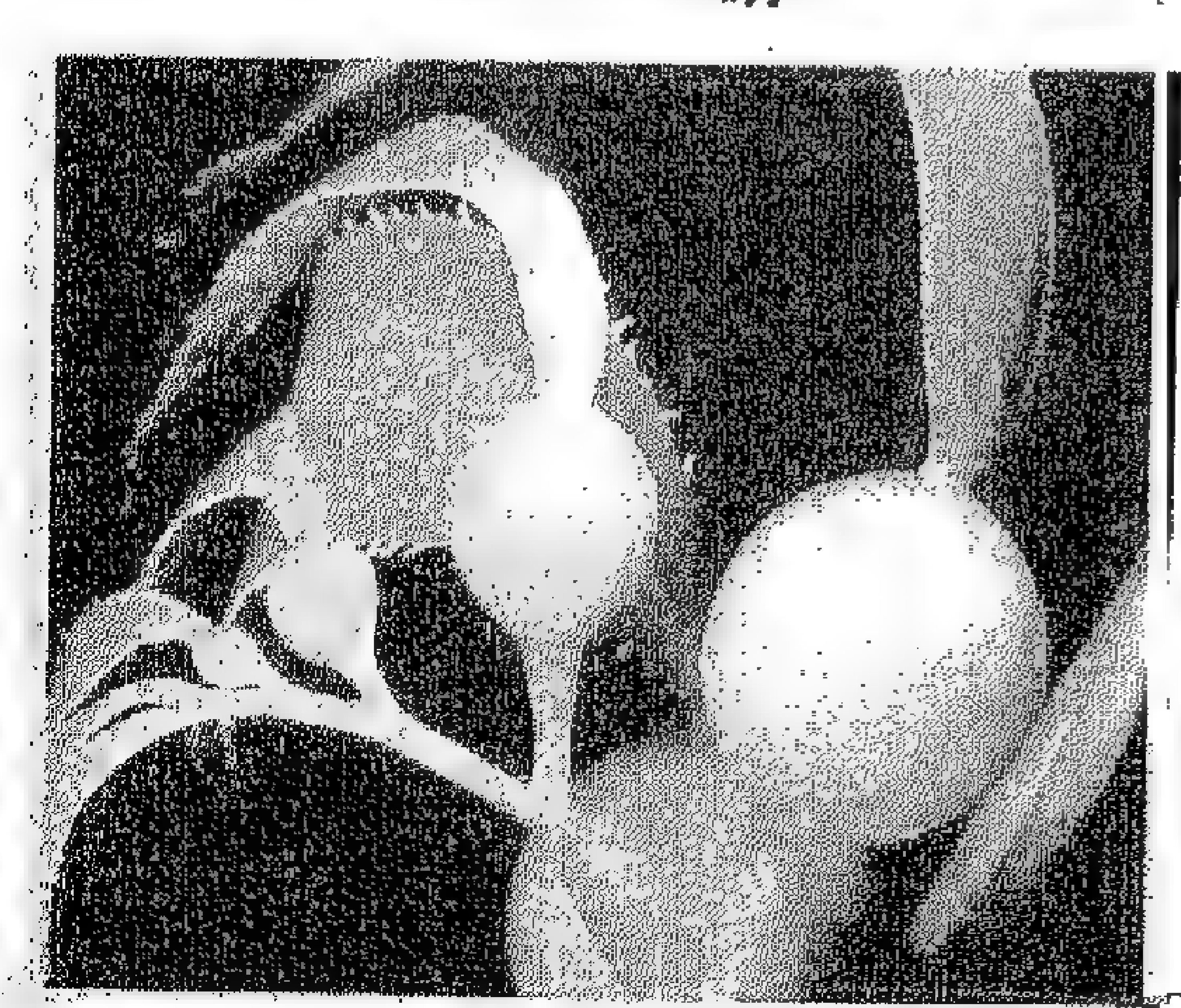
الامكانات التجارية الكامنة في معظم انواع الطحالب لم يبدأ استدرارها الا قبل أمد وجيز، ومع ذلك فانها غدت صناعة تتداول فيها مليارات الدولارات. ففي اجزاء متعددة من العالم يحصد الطحلب البني ويصنع ليصبح مسحوقاً طحيني اللون يدعى "ألجين" (★). وملء ملعقة صغيرة من الآلجين - وهو مادة هلامية او صمغية - يكثف مقدار ليتر من الماء ليغدو لزجاً كالعسل. وكمادة كيميائية غروية يحفظ الآلجين الرطوبة في المأكولات المصنعة والادوية، ويمنع المنتجات الصناعية من الانفصام او التفتت، ويبقي الزينة على قالب الحلوى والرغوة على البيرة من دون ان يؤثر في مذاقهما او لونهما.



سعفة الطحلب العملاق.

وهناك مواد غروية اخرى نافعة في النباتات البحرية، مثل الكاراجينان المستخرج من الطحلب الايرلندي. هل تذكر انه عليك ان تحرّك مزيج الحليب والشوكولاته في القنينة قبل ان تشربه؟ الآن يحفظ الكاراجينان الشوكولاته والحليب متمازجين دائماً.

في رأس السعفة انتفاخات غازيّة تعوّم الوريقات الجديدة.



(★) algin نسبة الى alga اي الطحلب.

Photos: Richard C. Murphy / After Image, Inc.

كما انه يمنع معجون الاسنان و"ماسكارا" العين من السيلان.

وثمة طحلب آخر صغير احمر اللون يدعى "جيليديوم"، وهذا ينتج أثمن الغرويات الكيميائية الذي يدعى "آغار". وهو هلام طحلبي يستخدم في زرع البكتيريا للاغراض الطبية. وقبل الحرب العالمية الثانية كانت اليابان تحتكر تجارة الآغار. وكانت النساء اليابانيات اللواتي اشتهرن بالغوص وعرفن باسم "آما" الرائدات في حصاد الطحالب البحرية التي يستخرج منها افضل الآغار. اما اليوم، فبفضل حقول الطحالب حول جزر الآزور وشاطىء المغرب، اصبحت اسبانيا والبرتغال المنتجتين الرئيسيتين للآغار.

وتحصد الارجنتين وتشيلي وجنوب افريقيا كميات وفيرة من الطحالب لتصديرها الى البلدان الصناعية. وتستخرج فرنسا وانكلترا الآلجين من طحلب بني أصفر يدعى "لاميناريا" استخدم اولا كمصدر للسماد وعلف المواشي واليود. اما الدنمارك فلها صناعتها الخاصة لانتاج الكاراجينان المستخرج من طحلب ينمو في مياهها ويدعى "فورسيلاريا".

وتستخدم اليابان نوعاً من الطحلب الصغير الاحمر يدعى "غلويوبلتيس" كمصدر لغراء ممتاز يستعمل لاصقاً للانسجة الحريرية الناعمة والاقمشة الاخرى وللبلاط وملاط الجدران، وتنتج نحو نصف مليون كيلوغرام من معجونه سنوياً. وفي تايوان يجمع الفلاحون طحالب "غراسيلاريا" عن الشواطىء المهجورة. هذه الطحالب يقذفها المد داخل حظائر معدة أصلا لتربية الاسماك. وتلتقط الشباك هذه الطحالب ثم تسمد بروث الحيوانات لتنمو وتصبح نباتات بالغة تجنى كطعام او تصدر لانتاج الآغار.

تصورات مثيرة – كثيرون من الناس، خصوصاً ابناء الحضارات الآسيوية والبولينيزية، يفضلون تناول الاعشاب البحرية كطعام. وفي هذا العالم الذي يتجاوز بسرعة مصادر الغذاء المألوفة المتوافرة، يقدر الخبراء ان الطحالب سوف تمثل دوراً خطيراً في التغذية العالمية. وقد لا يستهويك أكل هذه الطحالب التي "تلوث" شواطئنا. انا كذلك لم تستهوني الى ان تعرفت على الـ"بوكي" وهي أكلة شعبية تقدم في الولائم في جزر هاواي. تصنع البوكي من سمك الطون الذي ترش عليه مادة مطيبة حمراء تدعى "أوغو"، وهي طحلب "غراسيلاريا" الصغير ذو الطعم اللذيذ الشبيه بطعم الكرفس. وتزاحم اوعية الاوغو صناديق الخس بين معروضات البقالين في جزر هاواي.

استخدم سكان هاواي القدماء اكثر من ٢٠ نوعاً من الـ"ليمو"، وهي الكلمة المحلية التي تعني الطحلب الصالح للاكل. وهذه الانواع غنية بالمعادن والعناصر الاساسية التي يحتاج اليها السكان لاغناء طعامهم الذي يتألف من السمك والـ"بوي" الذي يصنع من جذور النبات، ويشتمل كذلك على الـ"كوهو" المحبب في هوايي. (تذوقت قليلا من الكوهو الحرّيف اللاذع فصدمني صدمة قوية).

ان ولع اليابانيين بالطحالب يضاهي ولع اهل هاواي. وقبل ان تصبح عبارة "الزراعة المائية" شائعة بزمن طويل كان القرويون اليابانيون على السواحل يتعلمون زراعة الـ"نوري" وهو طحلب يباع غالباً في شكل صحائف ارجوانية مكبوسة. وكان رواد الزراعة البحرية هؤلاء ينمون النباتات الصغيرة على اوتاد من قصب الخيزران ثم ينقلونها الى شباك تشد افقياً فوق قاع البحر الضحل.

في العام ١٩٤٩ اكتشفت الدكتورة درو مرحلة انتاج البوغ (البذور) في نبتة الـ"بورفيرا" التي يصنع منها النوري. واتاح هذا الاكتشاف لليابانيين ان "يبذروا" شباكهم ويمدوا حقول الانتاج الى المياه الاعمق والاقل تلوثاً. وفي ١٩٤٧ انتجت اليابان نحو ٨٦٠ مليون صحيفة من النوري. اما الآن، وبفضل يعود جزئياً الى ابحاث الدكتورة درو، فتنتج اليابان سبعة مليارات صحيفة نوري سنوياً. وتمثل زراعة النوري اكبر مشروع بحري منفرد في اليابان، وتشكل صناعة بمليار دولار سنوياً. ونتيجة للجهود في زراعة الطحلب البني الذي يدعى "لاميناريا" أصبحت الصين اليوم المنتج الاكبر للطحالب في العالم، بحسب تقدير منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة. وهي تنتج نحو ١،٦ مليون طن سنوياً.

ويتمتع زرّاع الطحلب البحري بميزة رئيسية على نظرائهم زرّاع الارض. فليس عليهم ان يقلقوا من انجراف التربة والجفاف وتقسيم الارض، كما انهم لا يحتاجون الى اسمدة باهظة الثمن، فالبحر يوفر المواد المغذية الاساسية.

اما نبتة الطحلب التي كشفت لي للمرة الاولى مفاتن الاعشاب البحرية، فانها الآن تلهم تصورات مثيرة لمزارع للطاقة في المحيط. فمعهد ابحاث الغاز في شيكاغو، بدعم من شركات الغاز الطبيعي الخاصة، يدرس الطحالب العملاقة كأحد الموارد المحتملة للوقود العضوي. كما يرعى المعهد مزارع تجريبية للطحالب قبالة ساحل كاليفورنيا.

التوسع الطحلبي – من دواعي العجب انه في الوقت الذي بدأت مزارع الطحلب تتسع، أخذت بعض فضائل الطحلب المتوطنة او الطبيعية تتضاءل جذرياً. ومنذ فترة وجيزة تناقصت بعض غابات الطحلب المعروفة في جنوب كاليفورنيا فقلصت نشاط الصيادين والغطاسين وصناعة جني الطحالب. فقد استنفد الصيادون البحريون والبريون الحيوانات التي كانت تحد من تكاثر القنافذ البحرية (التوتياء) وسواها من الكائنات التي تقتات بالطحالب. كما ان تفريغ مياه المجاري في البحر قد يكون انقص مقدار ما يتسرب الى الاوراق من اشعة الشمس، مما ادى الى اختناق طحالب قاع البحر.

وثمة عدد من المناطق، بما فيها اليابان وهاواي، اصبحت مهددة بتضاؤل طحالبها الطبيعية. فبعض قاطفي الطحلب يقتلعون النبتة

بكاملها فيقضون على قدرة غابة الطحلب على التجدد. ولذا فان الموظفين المهتمين بحماية الطحالب في هاواي يشجعون قاطفي هذه الاعشاب على الاكتفاء بقطع الجزء الاعلى من النبتة. وفي كاليفورنيا لا يسمح لقاطفي الطحلب بقطع النبتة على مستوى اعمق من ١٢٢ سنتيمتراً.

من جهة اخرى اصبح الخوف من غزو الاعشاب البحرية غير المرغوب فيها قضية في ذاتها. ففي ١٩٧٣ كان المعهد العلمي والتقني للصيد البحري في فرنسا يجري تجارب على الطحلب العملاق المستورد في شواطىء مقاطعة بريتاني. وقد سعى المعهد الى ادخال هذا الطحلب في تطوير مصدر رئيسي جديد للآلجينات. بيد أن الخوف ساور العلماء البريطانيين من امكان انتشار الطحلب البري العملاق الى سواحل بريطانيا، فيقضي على الطحلب المتوطن هناك ويضر بالنظام البيئي البحري الطبيعي. كما خشيت البحرية البريطانية ان يشكل هذا الطحلب خطراً جديداً على الملاحة.

وقد شككت مجموعات علمية دولية في صواب اقتراح المعهد، ورفض وزير الدولة لشؤون البيئة في فرنسا السماح باي نشاطات اخرى تتعلق بالطحلب العملاق. وجاء في دراسة رفعها جيرالد بولش من جمعية البيولوجيا البحرية في بريطانيا الى الندوة الدولية للاعشاب البحرية التي عقدت في أسوج (السويد) عام ١٩٨٠: "ان الوثائق عن الاماكن التي ادخل الانسان فيها نباتات بحرية من منطقة الى أخرى، تثبت كلها ان النباتات الدخيلة خرجت عن كل سيطرة وسببت مشاكل جديدة."

وفي معهد علم البحار في جامعة كاليفورنيا في سانتا بربارة عمل الدكتور مايكل نيوشول على تطوير نوع من الطحلب الهجين ذي محصول عال. والنباتات الهجينة عاقرة عموماً ويمكنها وقف الانتشار غير المحدود للنباتات الدخيلة او "الاجنبية".

وتقدم عالمة بحرية في جامعة كاليفورنيا في سانتا كروز مثالا على آفاق التوسع الطحلبي. فالدكتورة جوديث هانسن تعمل على انعاش حقول الطحلب البني الصغير التي بولغ في استهلاكها في خليج سان فرنسيسكو، كما تعمل ايضاً على زراعة الـ"جيليديوم" في اماكن مقفلة، وهو الطحلب الذي أدى تناقص محاصيله الطبيعية الى ارتفاع اسعار الآغار الصالح للاغراض الطبية. وتقول الدكتوره هانسن: "نستطيع من طريق اختيار الانواع ان نزيد سرعة نمو الجيليديوم البطيئة نسبياً. وقد وجدنا ان انتاجية هذه النبتة في الاماكن المقفلة توازي عشرة اضعاف انتاجيتها في الطبيعة."

غاباتنا في البحار، على غرار غاباتنا على اليابسة، يمكن ان تدوم الى الأبد اذا اوليناها العناية المناسبة. وإرثنا الطحلبي العظيم من غابات طبيعية في البحار ومزارع غذاء وطاقة في المحيطات قد يصبح جزءاً مهماً من مستقبلنا على هذا الكوكب المائي.

■ ويسلي ماركس



حبوب منع الحمل

لا يزال الخبراء ينظرون الى حبوب منع الحمل كوسيلة إيجابية وسلبية في الوقت نفسه. أما ايجابيتها فآتية من فعاليتها، إلا ان ثلاثة تقارير أولية نشرتها مجلة الاتحاد الطبي الامريكي في مارس (آذار) ١٩٨٣ من شأنها إعادة النظر في علاقة حبوب منع الحمل ببعض أنواع السرطان الذي يصيب الاعضاء التناسلية. والتقارير المذكورة هي نتيجة دراسة أجراها مركز مكافحة الامراض في اطلنطا (ولاية جورجيا) على بضعة آلاف من النساء المصابات بالسرطان واللواتي تراوح أعمارهن بين العشرين والرابعة والخمسين. وقد قسمت النساء مجموعتين، إحداهما تتناول حبوب منع الحمل والاخرى لا تتناولها. ومن النتائج ما يأتي:

☐ النساء اللواتي تناولن أنواعا من الحبوب تجمع مادتي الاستروجين والبروجستين لمدة سنة واكثر هن أقل عرضة لسرطان بطانة الرحم من اولئك اللواتي لم يتناولن أي نوع من الحبوب.

☐ النساء اللواتي أخذن الحبوب وقتا أطول هن أقل تعرضا لسرطان المبيض. وهذه المناعة تبقى لديهن سنوات طويلة بعد الانقطاع عن الحبوب. ويظن العلماء أن وقف الاباضة يبعد الالتهاب والسرطان عن المبيضين.

☐ على رغم أن حبوب منع الحمل لا تقي المرأة من سرطان الثدي، فان هذا النوع من السرطان ليس وقفا على النساء اللواتي يتناولن الحبوب، حتى لفترة طويلة.

لكن هذا لا يعني أن حبوب منع الحمل خالية من الاخطار. فعلاقتها بالسكتات الدماغية والنوبات القلبية وتخثر الدم شبه أكيدة. وبما أن هذه الاخطار تكثر لدى المدخنات واللواتي تجاوزن الخامسة والثلاثين، فالاطباء ينصحونهن باللجوء الى طرائق اخرى لمنع الحمل.

مجلة "نيورويك"

حقنة للانحراف الفقري

وافقت ادارة الغذاء والدواء الامريكية على استخدام الكيموبابين، وهي خميرة مستخرجة من شجر البابايا الامريكي الاستوائي، ضمن حقن لمعالجة الانحراف الفقري (الديسك) في أسفل الظهر. ويقول الجراح التقويمي الدكتور يوجين نوردبي رئيس اللجنة التي ابتكرت العلاج ان "هذه الحقنة المستحدثة قد تكون ثورة في معالجة الانحراف الفقري".

ويخضع مئات ألوف المرضى حول العالم سنوياً لعمليات تعرف بالتصفيح، غايتها تقويم هذا الانحراف المؤلم. لكن العلاج الجديد قد يلغي الحاجة الى الجراحة بنسبة ٧٥ في المئة. وهو يقوم على حقن الخميرة في الجزء الهلامي من الفقرة مما يؤدي الى اذابة التصلب الضاغط على الاعصاب الشوكية. وقد بينت الاختبارات التي أجريت على أكثر من ١٥ ألف مريض بين ١٩٦٤ و١٩٧٤ أن العلاج بالحقن يساوي الجراحة من حيث تسكين الالم.
غير أن ادارة الغذاء والدواء تريثت في اقرارها العلاج المذكور بعدما تبين أن بعض المرضى أعانته الحقن الوهمية الخالية من الدواء على التخلص من الالم.
أما الجراحون فلا يزالون عند رأيهم أن العلاج بالحقن، الذي لا يلجأ اليه الا في الحالات القصوى، هو أقل جدوى من الجراحة. وفي ٩٥ في المئة من الاصابات يمكن تسكين الالم بملازمة السرير وتناول الاسبرين. وفي أحيان نادرة، ولكن لا يمكن توقعها، تسفر الخميرة عن نوبة حساسية قد تؤدي الى انهيار قاتل في جهاز التنفس والاوعية الدموية. ولكن تجدر الاشارة الى أن هذه الحالة لم تتجاوز الواحد في المئة من مجموع الاختبارات الاخيرة وعددها ١٤٠٠، توفي خلالها اثنان فقط على غرار ما يحصل في الجراحة.

مجلة "تايم"

الحمية والبروتيين

طالما ظن دعاة الحمية ان السبيل الافضل الى انقاص الوزن هو اعتماد المغذيات الغنية بالبروتيين والفقيرة بالكاربوهيدرات، اي المواد النشوية والسكرية. لكن هذا النظام الغذائي قد لا يكون صائباً.

وقد امضى العلماء في كلية الطب التابعة لجامعة فرجينيا الامريكية ثمانية اسابيع يطعمون مجموعتين من الجرذان البالغة طعاماً يحتوي على كمية واحدة من السعرات الحرارية. لكن احدى المجموعتين اعطيت طعاماً تبلغ كمية البروتيين فيه خمسة اضعاف ما هي لدى المجموعة الاخرى. وفي نهاية الاختبار وجد ان وزن الجرذان التي تلقت كمية اكبر من البروتيين يفوق وزن الجرذان الاخرى بنسبة ٢٢ في المئة. أما اثر المواد الدهنية في وزن الفئة الاولى فكان ٢٤ في المئة، في مقابل ١٥،٨ في المئة لدى الفئة الثانية.

مجلة "سجل التربية العالية"

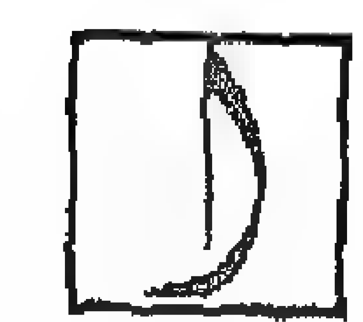
كله تبغ!

هناك شكلان لاستعمال التبغ يشهدان ازدياداً في عدد الاتباع، ولاسيما الشباب، بحجة انهما أقل ضرراً من التدخين التقليدي الشائع، وهما التبغ الممضوغ والسعوط (العطوس). الا ان مقالا نشرته "مجلة نيو انفلند الطبية" بيّن ان هذين النوعين من تعاطي التبغ قد يؤديان الى سرطان الفم والحنجرة.
وهذا التحذير قائم على تقرير من ولاية كارولينا الشمالية الامريكية حيث تبلغ نسبة النساء اللواتي يتنشقن السعوط ٣٠ في المئة. ويذهب التقرير الى ان نسبة سرطان الفم والحنجرة بين اولئك النساء تتجاوز المعدل في الولايات المتحدة ككل بما يراوح بين أربعة اضعاف وخمسين ضعفاً.
وهذه المشكلة ليست حديثة العهد في بلدان كالهند والصين وتايلاند، حيث تنشّق التبغ ومضغه عادة شائعة وحيث سجلت الوفيات الناجمة عن سرطان الفم والحنجرة أرقاماً قياسية.

صحيفة "واشنطن بوست"

كيف تبدو الارض من الفضاء؟ هنا يروي جوزف آلن جوانب من خبرته، وهو الفيزيائي الذي كان أحد رواد المكوك الفضائي "كولومبيا" في ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٢

بساط الريح



إذا أتيح لك ركوب المكوك الفضائي "كولومبيا"، فلسوف تختبر انتقال المرء من السكون الى سرعة ٢٨٠٠٠ كيلومتر في الساعة في أقل من تسع دقائق. غير انك لا تتفوه بكلام. ذلك ان قوانين الاطلاق تقتضي ألا تقول شيئاً البتة. لكنك تقبع في مكانك وتنتظر مخابرات في أوقات محددة وتكرر الكلمات نفسها كل مرة. وهي لم تتبدل حرفاً واحداً خلال رحلات المكوك الخمس. وفي الرحلة الاولى عمد المسؤول عن الاتصال في الكبسولة، دان براندنشتاين، الى لبس ربطة عنق طبعت عليها المخابرات مقلوبة لكي يتمكن من قراءتها وهو يحني رأسه.

ويتوقف الصوت فجأة بعد حدوث الاحتراق وانطلاق الصاروخ.

ها نحن الآن ننطلق بفعل المحركات الثلاثة الرئيسية التي تعمل على الهيدروجين والاوكسيجين السائلين. والحق أن هذه أهدأ مركبة فضائية عرفتها، ومن الحيف أن تسمى صاروخاً. والفضل يعود الى الغاز السائل. فالمحركات التي تعمل

Condensed from The Washington Post (February 13, 1983).

بالمواد الصلبة تحدث جيشاناً هو أشبه بالانفجار الدائم. اما تلك التي تعمل بالسوائل فهي من الهدوء بحيث يكاد لا يُسمع لها صوت. وهذه السكينة وهذا والسلام الداخلي هما أهمّ ما يميز الدوران حول الارض داخل "كولومبيا". وحتى العمل على المحركات لتبديل مدار المركبة لا يكسر ذلك الهدوء والصمت. والطريقة الوحيدة للتحقّق من ازدياد سرعة المركبة هي أن تحمل شيئاً أمامك ثم تدعه من يدك. فهو يعود نحوك بسبب الدفع المفاجيء الى الامام.

ثمة جلال يميز شكل الارض وأنت تنظر اليها من "كولومبيا". وهذا يختلف عن النظر من طائرة الى الطريق الرقم ١٠ في ولاية تكساس وانت تحمل خريطة أمامك. فالطريق من الطائرة تبدو مسطحة كما هي على الخريطة. أما وأنت تنظر من "كولومبيا"، فسوف ترى الطريق عينها، لكنك تراها متعرجة ضمن الولاية. وتبصر المسافة من خليج المكسيك حتى خليج كامبيتش.

وتدرك أن الارض مستديرة لأنك ترى الاستدارة بأم العين. وفوق هذا، تجد أن للارض بُعداً ثالثاً، كونك تشاهد الاشياء مرتبة في طبقات. كما ترى الغيوم المتعالية وظلالها فوق السهول التي تشرق عليها الشمس. وفي الوقت نفسه يلوح لك اثر خلفته سفينة في المحيط الهندي، ونيران الادغال في افريقيا، ثم ترى عاصفة برق وهي تعبر ١٦٠٠ كيلومتر فوق اوستراليا.

أما ليل الفضاء فيأتيك على غرّة تأخذ أنفاسك. وكنت أظن أن الارض لن تختفي عن ناظري، حتى وسط الظلام. أجل، كان ظني أن ذلك ممكن بفعل أنوارها الاصطناعية أو نور الشمس التي ستبزغ قريباً. إلا أني، عوض ذلك، رأيتني وسط أحلك ظلام عرفته. والطريقة التي تتعرف بها على الارض في الظلام هي أن تتقفى النجوم حتى تختفي، إذ اختفاؤها يعني أن الارض حجبتها.

شروق وغروب - تعرف، وأنت في الفضاء، كيف تأتي الشمس كعاصفة رعد. فكل شروق وغروب يستغرق وقتاً قصيراً بفعل سرعة "كولومبيا" العظيمة. لكنك، خلال ذلك الوقت، تبصر ما لا يقلّ عن ثمانية ألوان يلي أحدها الآخر، من الاحمر اللامع حتى الازرق القاتم والفاقع. ويبدأ الشروق بألوان باهتة، تليها سريعاً تلك الالوان التي تستدق كالهلال وتؤول الى سواد عند شعبتي الافق. ثم تظهر الشمس من جديد فوق الافق حيث طوق الالوان في عرضه الاقصى، لتختفي بعد هنيهات. إلا أن كل شروق وغروب يتميزان عن كل شروق وغروب آخرين. وأنت ترى الشمس تشرق وتغرب ثماني مرّات خلال اثنتي عشرة ساعة.

وتشعر، في يومك الفضائي الاول، كأنك غزال صغير على الثلج. وتختفي قدماك من تحتك وتصطدم بكل ما حولك، وتراودك حاجة الى التحرك مثل "سوبرمان" وقد مددت ذراعيك أمامك. وهذا كله يولد لديك انطباعاً بأنك في عالم أحلام تحت الماء،

حيث الاشياء كلها تتحرك ببطء٠

وتكيف نفسك لانعدام الوزن عبر تغاضيك عن هذا الامر ومحاولتك طرائق عدّة للحراك٠ والفيزيائيون يفسرون هذا بقولهم إن المرء يدفع نفسه عبر "مركز الكتلة"، الامر الذي يعني،بلغة "كولومبيا"،أنك اذا ضغطت إصبعاً في المكان المناسب أمكنك الارتفاع بجسمك الى أن توقف الحركة بيدك٠ وأحياناً تحس حاجة الى تثبيت قدميك بالسقف وتدلية رأسك نحو الارض٠ غير أنك لا تفكر البتة في أن الارض هي السقف٠ وأنت تتأكد من ذلك٠ إذا حاولت التمدد على السقف للنوم٠

وتتم العودة الى الارض بانقاص سرعة المركبة حتى تبلغ نقطة بين مدار الارض وجوها الاعلى٠وفجأة تسمع صوتاً لا يلبث أن يستحيل هديراً٠ إنه الهواء يترجح حول المركبة٠ ثم ترى، من حيث لا تدري، لوناً على النوافذ يبدأ بمسحة حمراء زهرية ويتدرّج إشراقاً حتى يغدو أحمر فاتحاً فبرتقالياً ضئيلا فأبيض٠ وتخال أنك وسط لوحة نيون مضاءة٠٠

وما أن أصبحنا على مسافة ١٢،٠٠٠ متر من الارض حتى تسلم قائد المركبة، فانس براند، زمامها٠ وبسرعة أدنى قليلا من سرعة الصوت، اخترقنا دثاراً من السحب أفضى بنا الى جبل من الغيم يرتفع ٤٥٠٠ متر عن الارض٠ ولما تجاوزناه رأينا المدرج٠ وبسرعة ٣٧٠ كيلومتراً في الساعة، لامسنا الارض بهدوء جعل رفيقنا الرائد بوب اوفرماير يخاطب المركز مازحاً: "هيوستن! هل وصلنا؟"

ولا غرو أن "كولومبيا "هي أروع آلة صنعت حتى اليوم٠ لقد قطعت، في رحلتها تلك، مسافة ثلاثة ملايين كيلومتر ودارت بنا ٨٣ دورة حول الارض، على نحو صامت ومريح يعجز عنه حتى بساط الريح٠

■ جوزف آلن وتوماس اوتول

ꟷꟷꟷ

خرافات تاريخية

راح استاذ أدب القرون الوسطى في اوروبا يتكلم عن المؤرخ بيد وسواه من كبار مؤرخي تلك المرحلة٠ وقال: "انه مؤلف ثقة٠ ولقد كتب في أواخر القرن التاسع عشر عن ظهور تنين٠"

واذ انفجر الطلاب ضحكاً، أضاف الاستاذ: "أعرف أن ذلك يبدو غريباً اليوم٠ والمرجح ان هذا التنين ما هو الا صحن طائر٠"

ج٠ب٠

دائرة الطبخ

تلقى شرطي مخابرة هاتفية من امرأة مجهولة سألته عن طريقة طهو الديك الرومي٠ وذهل أول الامر، لكنه وصف الطريقة بدقة كونه طباخاً ماهراً٠ ولما انتهى قال: "ولكن لماذا تخابرين دائرة الشرطة لطرح هذا السؤال؟"

وبعد تردد أجابت السيدة: "المهم انك عرفت الجواب:" ثم اقفلت الخط٠

ب٠ك٠

ستفوت اوروبا فرصة منافسة اليابان والولايات المتحدة ما لم تتعلم كيف تجمع مواردها وتوظف اموالها بمجازفة اكبر في صناعات المستقبل

التَحّدي الأوروبيّ

ع

علامات الخطر ظاهرة في كل مكان. ففي بريطانيا تسعة من كل عشرة متسوقين يشترون مسجلات "فيديو" يابانية. وفي فرنسا تحمل سبعة من كل عشرة ادمغة الكترونية فردية شارات امريكية. وفي العام ١٩٨٣ اشترت الشركات في انحاء اوروبا الغربية معظم حاجاتها من المواد شبه الموصلة من شركات مراكزها الرئيسية في الخارج. وفي اقل من ١٥ سنة سيطرت الولايات المتحدة واليابان على حقل التقنية العالية الذي تتداول فيه مليارات الدولارات، فيما بقيت المعرفة العلمية الاوروبية متخلفة بمدى سنوات. هذه الفجوة المتمادية في الاتساع تهدد مصير مليوني وظيفة عمل في اوروبا الغربية، وبحلول نهاية هذا القرن قد تسلب الصناعة الاوروبية قدرتها على المنافسة في الاسواق العالمية.

ولكن من حسن الحظ ان الاوروبيين لا يزالون يخوضون السباق. فال"ايرباص" الاوروبي يزاحم شركة "بوينغ" الامريكية في سوق الطيران التجاري، والآلات الايطالية التي تنتجها شركة "فيات" يستخدمها صانعو السيارات في اوروبا والولايات المتحدة. كما ان الطائرة النفاثة

البريطانية "هاريير" والدبابة الالمانية "ليبارد" تحتلان مركز القيادة في حقليهما ·

لكن هذا كله لا يشكل سوى جزء ضئيل من سوق التقنية العالية· وثمة عقبات هائلة تعترض طريق التقدم· وصناعة التقنية العالية في اوروبا غالباً ما تعاني نقصاً في المهندسين المدربين والعلماء· ويواجه المقاولون صعوبة في الحصول من المجتمع المالي الاوروبي الحذر على رأسمال للمشاريع غير المأمونة التي يخططون لها· والشركات التي تملك افكاراً جيدة غالباً ما تسوق منتجاتها على نحو هزيل· وربما الاهم من كل ذلك ان الشركات الاوروبية لم تكن قادرة على توحيد مواردها في مجمعات ضخمة هي ضرورية لمنافسة الامريكيين واليابانيين السباقين·

والصلات عبر الحدود التي تحاول الشركات الاوروبية اقامتها غالبا ما تنسفها الحكومات التي تحاذر السماح لشركاتها بتقاسم مواردها مع منافسين اجانب· والخلافات السياسية كثيراً ما تطيح المشاريع كذلك· فمديرو الشركات المحافظون في ألمانيا الغربية يترددون في مشاركة مؤسسات أممتها حكومة فرنسا الاشتراكية· ومثل هذه الخلافات لا تخدم سوى مصالح اليابانيين والامريكيين·

وفي غالب الاحيان تكون افضل المنتجات من صنع شركات امريكية او يابانية· فشركة "اوستن روفر" التي هي فرع من شركة "ليلاند" البريطانية اقامت شراكة مع "هوندا" اليابانية لتصميم سيارة فخمة وتصنيعها· وشركة "طومسون - برانت" الالكترونية الكبرى التي تملكها الدولة في فرنسا تستورد مسجلات الفيديو من شركة "فيكتور" اليابانية· وحتى فترة وجيزة كانت شركة "سورين بيومديكا"، وهي شركة ايطالية تنتج صمامات القلب ومنظمات النبض الاصطناعية، تتبادل الابحاث العلمية مع مؤسسة مختبرات "بنتلي"، ومركزها كاليفورنيا، التي تسيطر على اكثر من ثلث السوق العالمية لآلات القلب والرئة·

رابع المستحيلات - يقول كثير من الاوروبيين ان لا مناص لهم من التنسيق مع الخصوم· ويقول رولان سانغينيتي الناطق باسم شركة "ماترا"، وهي شركة فرنسية تعمل في حقلي الدفاع والتنقية العالية: "اذا لم تكن لديك التقنية، فأمامك حلان لا ثالث لهما· فاما ان تخترع العالم من جديد، وحين تفرغ من ذلك تكون منتجاتك اصبحت قديمة تخطاها الزمن، واما ان تقول: من يصنع افضل المنتجات في العالم؟ سأعقد صفقة معه·"

بيد ان شركات اخرى لا تشعر بالارتياح في المشاركات الخارجية· وما يقلق الكثير من الاوروبيين هو ان الشركات الامريكية واليابانية قد تواصل الترخيص لمنتجاتها او تدخل مشاريع مشتركة الى ان تقيم قاعدة داخلية لها في اوروبا· ويقول توماس وودارد احد الشركاء في شركة "ماكنسي"، وهي مؤسسة استشارية

دولية في لندن: "قد تستطيع تحقيق المساواة، لكنك لا تستطيع أبداً ان تشق طريقك الى التفوق التقني من طريق الحصول على الرخص. فاليابانيون والامريكيون مصممون على دخول اوروبا. ولكن من المؤسف ان هذه الزيجات التي أملتها الضرورة تنتهي بالطلاق بعد بضع سنوات."

وتعتقد بعض الشركات الاوروبية ان الخطة هي، بكل بساطة، شراء الشركات المنافسة وراء البحار. وفي العام ١٩٧٨ كسبت شركة "فيليبس" الهولندية موطىء قدم لها في سوق جهاز فرز الكلمات الالكتروني من طريق شراء شركة "ميكوم" الكندية المجددة. وفي ١٩٧٩ عمدت شركة "شلومبرغر المحدودة"، وهي تجمع دولي متفرع عن المؤسسة الفرنسية للتنقيب عن النفط ومركزها جُزر الانتيل الهولندية، الى شراء شركة "فيرتشايلد" لآلات التصوير، وهي واحدة من اكبر الشركات التي تصنع الرقائق الالكترونية في امريكا. لكن ثمة حدوداً لهذا، فحتى شركة اوروبية كبرى مثل "سيمنس" في ألمانيا الغربية لا يمكن ان تفكر في احتواء المنافسة الامريكية. يقول الناطق باسم "سيمنس": "عليك ان تتذكر ان شركة "آي بي ام" تحقق من الارباح اربعة اضعاف ما نحققه في مبيعات الادمغة الالكترونية."

وتواجه معظم الشركات الاوروبية ورجال الاعمال الاوروبيين صعوبة في الحصول على التمويل الكافي للانطلاق. ويقول برونو لامبورغيني مدير الابحاث الاقتصادية في شركة "أوليفيتي": "ان المحيط عسير جداً على الشركات الصغيرة للتقنية العالية. فهذه ليس لديها الدعم المالي الكافي وتفتقر الى وسائل الحصول على الخبرة والمعرفة اللتين تحتاج اليهما."

بعض رجال الاعمال، مثل فولكر دولش ساحر الالكترونيات في المانيا الغربية، يتعين عليه ان يذهب الى الولايات المتحدة للحصول على رأسمال لتحقيق مشاريعه. ويقول دولش: "هناك يتوافر المال لرجل يسعى الى تحقيق فكرة. فمن رابع المستحيلات ان تحصل على الكفاف في اوروبا." وفي ١٩٨٣ حققت شركته "آلات دولش لوجيك "مايربو على٦٠ مليون مارك ألماني (٢٢،٦ مليون دولار) من مبيعات اجهزة فحص الكترونية متطورة.

والتمويل مشكلة يعرفها جيداً السير كلايف سنكلير (٤٣ سنة) أبرز المقاولين البريطانيين في حقل التقنية العالية. فعندما كان في الثانية والعشرين من عمره حوّل متجراً لأجهزة الترانزيستور المستعملة مؤسسة رابحة تلبي الطلبات بالبريد. ولكن حين حاول دخول سوق الالكترونيات باختراعات جريئة، تعثر بأشكال التمويل والتسويق ومشكلات المنافسة.

وحين طلع سنكلير بجهاز تلفزيون جيب مبتكر، لم يتمكن من ايجاد ممول خاص يرضى بتمويل ابحاثه. وعلى رغم الدعم الحكومي الذي يلغ ٧،٨ ملايين جنيه استرليني (١١ مليون دولار) فقد وقعت شركته في متاعب خطيرة.

وحاول سنكلير منحى مختلفاً عام ١٩٨٠ حين ابدع ارخص دماغ ألكتروني صغير في السوق الاوروبية. وبدلا من ان يتولى بنفسه مهمات الانتاج والتوزيع، أجرى ترتيبات مع شركة "تايمكس" للساعات لتصنيع الادمغة الالكترونية التي ابتكرها في مصنع الشركة في اسكوتلندا ويبدو ان الخطة نجحت. فقد باع اكثر من مليون جهاز في السنوات الاربع المنصرمة. ومما يلفت ان انتاجه هذا أضحى دماغ الكتروني اوروبي يحرز مبيعات جيدة في الولايات المتحدة الامريكية.

الهدف المتحرك ــ على رغم قصص النجاح المتفرقة هذه، وحتى لو هبطت النعمة فجأة على الاوروبيين بالحصول على رأس المال الفائض للمشاريع، فانهم سيواجهون النقص في المهندسين والعلماء المدربين، ففي بريطانيا الحقت التخفيضات في الموازنات الحكومية المرصدة للتعليم العالي ضرراً بالغاً بمناهج العلوم التطبيقية. وفي فرنسا يقدر موريس آليغر مدير التطوير العلمي في وزارة الابحاث والصناعة ان البلاد تحتاج الى ٤٠٠٠ مهندس اضافي كل سنة.

وتفتقر شركات التقنية العالية في اوروبا كذلك الى العلاقات العملية الحميمة التي تتمتع بها الشركات الامريكية واليابانية مع الجامعات ومراكز الابحاث. يقول الدكتور جيورجيو سيريلي احد كبار العلماء في المجلس الوطني للابحاث في ايطاليا: "يعتبر الكثير من العلماء الايطاليين ان العمل في الصناعة هو دون مستواهم."

وتشكو الشركات الاوروبية دائماً من ان العلماء ماهرون في البحث العلمي المجرد لكنهم عاجزون عن تطوير نتائج ابحاثهم الى منتجات تنافسية. والواقع ان الشركات الاوروبية نفسها كثيراً ما تفتقر الى المعرفة او الخبرة التجارية. فشركة "فيليبس" مثلا هي التي طورت مسجلة الفيديو، لكنها سمحت لليابانيين بالاستيلاء على السوق العالمية. ويقول جايمس بروس استاذ الهندسة الالكترونية في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا في بوسطن: "ان لدى الاوروبيين افكاراً جيدة، لكن ملاحقة هذه الافكار حتى تحقيقها ليست على المستوى المنشود."

وتحاول معظم الحكومات الاوروبية مساعدة شركات التقنية العالية فيها. وبدا ان الفرنسيين كانوا اكثر الناس اندفاعاً في هذا المجال. وتخطط حكومة الرئيس فرنسوا ميتران والشركات الخاصة لانفاق ١٤٠ مليار فرنك فرنسي (١٧ مليار دولار) على صناعة الالكترونيات حتى العام ١٩٨٧. وفي ١٩٨٣ وضعت ألمانيا الغربية برنامجاً من ١٠٠ مليون مارك (٣٥ مليون دولار) لدعم الشركات الجديدة. وتغدق الحكومات ايضاً الاموال على المبادرات الاوروبية المشتركة. وفي ١٩٨٠ أرصدت السوق الاوروبية المشتركة ٤٠ مليون وحدة من العملة الاوروبية (★) لابحاث

(★) وحدة العملة الاوروبية تعادل ١،٣٩ دولار.

المواد الالكترونية شملت اكثر من عشر شركات اوروبية كبرى. وثمة مشروع للسوق من مليار ونصف مليار وحدة اوروبية يهدف الى مساعدة صناعات التقنية العالية الاوروبية في تحقيق "المساواة مع المنافسين العالميين خلال عشر سنين."

ومهما بذل الاوروبيون من جهد للتغلب على منافسيهم وراء البحار، فانهم يصوبون سلاحهم الى هدف متحرك. فالشركات في الولايات المتحدة واليابان تنفق اموالا طائلة للبقاء متقدمة على اوروبا وللحاق بعضها ببعض. والواقع ان اليابانيين والاميركيين لا يعتبرون اوروبا منافساً يخشى خطره في بضعة مجالات رئيسية في التقنية العالية. ويقول احد المسؤولين في شركة امريكية للادمغة الالكترونية: "ان المجالات الاوروبية اصبحت ميتة. ولا أرى اي ظروف يمكن ان تغدو فيها اوروبا قوة رئيسية في السوق."

بعض المسؤولين اليابانيين يقولون ان سوء الصناعة هو في الغالب علة اوروبا، وهم لا يشعرون باي شفقة تجاه الشركات المتعثرة وراءهم. وربما خفف تبادل التقنيات من هذه التوترات وافاد اوروبا واليابان كلتيهما. لكن الاوروبيين سيتمكنون من الانطلاق على نحو افضل في سباق التقنية العالية اذا امكنهم ان يعملوا معاً. وقد قال ميشال جوبير وزير التجارة الخارجية السابق في فرنسا: "سيدهش المؤرخون عندما يرون ان الاوروبيين خلال هذه الفترة وجدوا صعوبة بالغة في اثبات وجودهم كأوروبيين في القضايا الاقتصادية."

ومن سوء حظ اوروبا ان التاريخ قد يثبت أنه كان على حق.

■ "نيوزويك"



النجوم والاطفال

ركضت طفلة نحو نجم سينمائي لامع وطلبت منه أن يوقع اسمه على دفترها. وبادرته بنعومة وبراءة: "هل لك، يا سيدي، ان تهبني توقيعك؟" وما أن همّ بالتوقيع حتى قاطعته بهذا السؤال البسيط: "ما اسمك يا سيدي؟"

واغتاظ النجم الشهير وانقلبت سحنته، ثمّ صرخ في وجه الفتاة: "اذا كنتِ لا تعرفين اسمي، فلماذا تسألينني أن أمنحك امضائي؟"

أما هي فسألته بدورها: "ولمَ لا؟ وهل تعرف انت اسمي؟"

وحار النجم اللامع جواباً. وأخذ الدفتر مرة اخرى من يد الفتاةوكتب اسمه وأتبعه بامضائه.

ب.س.

ما احب الاقرار بالخطأ

أجدني الاول على الدوام الى الاقرار بأخطائي، على رغم ان هذا الامر ليس سهلا جداً في حال وجود زوجة وثلاثة أطفال وحماة ورب عمل.

ا.ك.ك.

ثمة شواهد قوية على حاجة الرجل الى تأدية
أعمال خاصة به، الامر الذي يعزز سعادة الجنسين

ماذا يريد الرجل من المرأة؟



هل لاحظت أن الاختلاف بين الرجال والنساء لم يبق كما كان؟ فالنساء اليوم يرتدين ثياب الجراحين وبزات رواد الفضاء، فيما الرجال باتوا يرعون الاطفال ويؤدون الخدمات المنزلية أكثر من ذي قبل.

ويبدو أن غالبية النساء تحب صورة عالم تسوده المساواة، باستثناء، أمر واحد، وهو أن العديد من رجال هذا العصر يفتقر الى الحيوية والاندفاع والكبرياء التي ميزت الذكورة يوماً. وقد كثر الحديث في المجالس النسائية عن ندرة هذا النوع من الرجال. وكتبت بيتي فريدمان وهي من دعاة المساواة بين الجنسين في الولايات المتحدة: "أذهب الى مدينة ما لالقاء محاضرة، فأسمع الكثير عن نسائها اللواتي تولين مناصب مرموقة في مختلف الميادين. إلا أن النسوة اللواتي أقابلهن، من جميع الاعمار، يشكين من خمول الرجال وتفاهتهم."

ولكن مهما يكن رأي دعاة المساواة، فهناك شواهد قوية على أن الرجال يحتاجون، أكثر كثيراً من النساء، الى مفهوم واضح يبين الفوارق بين الجنسين. والحضارات التي نعرفها أقامت هذا النوع من

التمييز حتى يومنا هذا، وهو تمييز تناول نشاطات الجنسين ولباسهما وسلوكهما.

وتقول عالمة الاجتماع المرموقة مارغريت ميد، في كتابها الشهير "الذكر والانثى" الصادر عام ١٩٤٩، ان ثمة مبدأ بيولوجياً واحداً ثابتاً في هذا النطاق، ألا وهو أن دور النساء في جميع المجتمعات يشمل حمل الاطفال وتغذيتهم وحضانتهم في مرحلة طفولتهم الاولى. أما الادوار الاخرى فيتوزعها الرجال والنساء على نحو أو آخر.

وتتابع ميد: "في كل مجتمع بشري معروف يمكننا أن نلاحظ حاجة الذكر الى الانجاز. وربما لجأ الرجال الى الطبخ والحياكة وسوى ذلك، حتى إذا أصبحت هذه الامور من أدوار الرجال عدّها المجتمع مهمة. أما اذا ادت النساء الادوار عينها، فانها تبدو أقل أهمية في نظر المجتمع. وفي مجتمعات كثيرة نجد مفهوم الذكورة مرتبطاً في ذهن الرجل بحقه أو قدرته على ممارسة نشاطات محظورة على النساء. وهذا يعني أن مفهوم الذكورة ينطوي على حرمان النساء ممارسة بعض الاعمال."

إلا أن الكثير من مجتمعاتنا المعاصرة يرفض هذا العزل. فهناك ظلم، للمجتمع وللنساء معاً، في وقف مواهب المرأة عن التفتح في أي حقل تريده. غير أننا، في حماستنا للمساواة، تعامينا عن حاجات الرجل الحقيقية التي كانت في أساس التمييز التقليدي.

ان حاجة الرجل الى دور يختلف بوضوح عن دور المرأة يمكن ردّها الى فوارق أساسية ثلاثة بين الجنسين:

١. الطفل الذكر مختلف عن امه

عندما يبدأ المولود الذكر تمييز نفسه عن امه، يدرك أيضاً أنه يختلف عنها. وإذا استعرنا كلمات مارغريت ميد، قلنا انه، "فيما يكتشف انفصاله عن أقرب الناس إليه، يجد أنه ذكر وليس انثى." على الصبي، إذاً، أن يبتعد عن امه ليجد نفسه. وهو يحتاج لهذا الغرض الى مُثُل يحتذيها لتأكيد ذكورته، تكون من الجاذبية والقوة بحيث تنسيه سيطرة امه الكبيرة عليه.

وحاجة الصبي الى تمييز نفسه عن امه ذات أثر في علاقاته اللاحقة وهو في طور البلوغ. فالرجل يحتاج الى الخروج، الى العمل أو رفقة الرجال، لتأكيد حسه بالرجولة. لكن المشكلة اليوم أنه يجد المرأة أينما ذهب. وهو بات يشعر بالذنب إذا اقتصر معشره على الرجال. وفي رأي ريتشارد روبرتيلو، وهو محلل نفسي من نيويورك، أن الرجل "يحتاج الى رفقة الرجال لتأكيد رجولته."

٢. الرجال لا يمكنهم الانجاب

ينظر الذكر باجلال الى عملية الحمل والانجاب. فهي أمر تستطيعه النساء ويعجز هو عنه. لذلك يترقب طور البلوغ كيما يستطيع، بدوره، أن يفعل شيئاً تعجز عنه النساء.

هذا الشيء، بالطبع، يجب أن يكون اجتماعياً أو حضارياً، لا

بيولوجياً، الامر الذي يعني أن على الرجل أن يصنعه، لا أن ينتظر حدوثه كما تنتظر الفتاة أن تصبح أُماً. من هنا أهمية الانجاز بالنسبة الى الرجل. فهي، بمعنى، الامر الذي يمنحه دوراً مميزاً. لذلك هو يرفض منافسة النساء له في ميادين الانجاز، هذه المنافسة التي تعني أن في استطاعة الانثى أن تنجب وأن تؤدي الادوار الحضارية نفسها. وهي منافسة تسلبه حتميته.

أما الابوة فليست كالامومة. من هنا كان على المرأة أن تترك للرجل دوره الاجتماعي أو الحضاري الذي يختص به وحده، والذي تقدره المرأة وتحجم عن تقليده في الوقت نفسه.

٣. معظم الرجال أقوى بنية وأكثر عنفاً من غالبية النساء

هذه حقيقة بيولوجية عوّلت عليها معظم الحضارات في منحها الرجال أدواراً مميزة. وقوة البنية والعنف يظهران لدى الذكر في مرحلة باكرة من طفولته. لذلك نجد الصبيان يمارسون ألعاباً تتميز بالخشونة، بينما تظهر مهارات الفتيات الكلامية والاجتماعية باكراً. والعديد من الباحثين يعزو هذه الفوارق الى الهرمون الذكري المسمى "تستوستيرون". وينمو معظم الصبيان ولديهم شغف بالنشاطات التي تظهر التفوق الجسدي واختبارات الشجاعة والقوة التي تبرهن تفوقهم على الاناث.

وفي كتاب مارغريت ميد المذكور أنه "يحتمل أن يكون لدى الذكر اليافع حاجة بيولوجية الى تأكيد ذاته جسدياً. وفي القديم كان الصيد والحرب أهم الوسائل لبلوغ هذا الهدف." وبما أن المجتمعات الاولى لجأت الى الصيد والحرب من أجل بقائها، فقد نظرت الى هذين النشاطين باجلال، الامر الذي أمد الرجال بالكبرياء. أما في يومنا هذا، فالصيد والحرب كلاهما يهددان البقاء، كون النشاط الاول يعني استغلال الطبيعة والثاني السباق الى التسلح النووي الهدام.

وفي إمكان المرأة مساعدة الرجل على تقوية رجولته بالسماح له أن يقضي بعض الوقت في صحبة الرجال وبفهمها العلاقة الخاصة بين الوالد والابن، حتى وإن حصل طلاق بين الزوجين. ويقول ريتشارد روبرتيلو: "الرجل يحتاج الى المرأة التي تؤكد رجولته وتقدرها وتقويها وتفيد منها، عوضاً عن أن تحسده على تلك المزية وتحاول تحطيمها."

ولئن كانت المجتمعات البدائية ولت الى غير رجعة، ففي إمكان الرجل أن يستعير منها بعض قيم الذكورة مع شيء من التعديل. ومن الامثلة على هذه القيم ما يأتي:

الحرب — كل رجل يحتاج الى أن يعرف أن لديه الشجاعة للدفاع عن زوجته وأولاده وبيته ومواقفه ومثله العليا. هذه المعرفة لا تعني سعي الرجل الى منازلة الآخرين، ولكن تلزمها بعض البراهين الجسدية، مثل قدرة الذكر على الدفاع عن نفسه وتسلق الجبال أو النجاة بقاربه من

تيار جامح. واذا وُجدت هذه الثقة لدى الرجل، تحولت مع الوقت موقفاً نفسياً هو نقيض الخوف وصنو الجرأة.

الرياضة - تعود الالعاب الرياضية المختلفة، في أصولها، الى تأكيد البراعة الجسدية من أجل الدفاع عن مجال الفرد الحيوي. وهذه البراعة أعانت الناس على البقاء وعززت ايمان الرجال برجولتهم.

الفروسية - عندما يفتح الرجل باباً للمرأة، فكأنما هو يقول لها بطريقة رمزية انه على استعداد لتسخير تفوقه الجسدي لمساعدتها والدفاع عنها، وليس لكي يؤذيها. هذا التفوق هو سر الرجال. وما لم يُترجم اجتماعياً، فإن الرجل سيشعر أنه ضعيف وعاجز ولا حاجة إليه.

ولقد صادفت رجل مدينة أخبرني عن المتعة التي يستمدها من قطع الاخشاب وشقعها في منزله الريفي. وقطع الخشب يؤكد قدرته الجسدية ويدخل في عداد الاعمال التي تساعد أفراد عائلته. وبعد ملاحظته أكواماً من الخشب أمام عدد كبير من بيوت الريف، أدرك أن وراء كل كومة رجلا يقول: "انظروا ما صنعت".

وربما كان في هذا النشاط مثل على ما يمكن أن يفعله الرجال في عالمنا المعاصر لتأكيد رجولتهم من غير تعطيل الادوار الجديدة التي اكتسبتها النساء. ولا بدّ من إضافة مزيتين اكتسبهما الرجال في العقد الاخير من الزمن، وهما: القدرة على مصادقة النساء ومزاملتهن، والقدرة على رفقة الرجال المنفتحة.

ثمة نقاط تشابُه هائلة بين الجنسين. فالذكاء والموهبة والجرأة والطموح ورعاية الاولاد ورهافة الشعور هي كلها شؤون مشتركة بين الرجال والنساء. وإذا استطاع كلا الجنسين طبع هذه المزايا بطابعه الخاص، فلا بدّ من أن تأتي النتيجة إغناء لخبرتنا الانسانية.

■ أني غوتليب

حسن الضيافة

حُسنُ الضيافة ليس مسألة حجم أو كمية. واذا كان القلب كبيراً بما فيه الكفاية، فهكذا تكون المائدة ويكون البيت.

م.ه.

وليّ التقدير

في مسرحية روبرت بولت الشهيرة "رجل لجميع الفصول" يحث السير توماس مور شاباً لا يقرّ له قرار على أن يصبح معلماً حسناً. فيسأله هذا: "واذا غدوت كذلك، فمن يدري أو يقدر؟"

فأجاب مور: "أنت وتلاميذك وأصدقاؤك والله تعالى... أفلا يكفيك هذا التقدير؟"

منشورات "راندوم هاوس"

مهما يكن الجسد ضعيفاً، ففي استطاعة النفس أن تثابر، وأن تتغلب أحياناً



شجاعة النفس

انتظرت حتى أنهى الرجل كلامه وغرقت بصمت في مقعدها. لقد سماها "عجيبة". إلا أنها لم تبكِ بل حدّقت الى ذلك الرجل البدين الأحمر الوجه الذي يعمل في السيرك، وهو يقترح عليها بلطف أن تنضم الى فرقته المتجولة. وحين أدرك الرجل أنه جرح شعور الفتاة، سألها بتعجّب: "ألستِ تعرفين غرابة منظرك؟"

وأجابته على الفور: "أجل، أعرف هذا، إذ لدي مرآة."

كانت ميغ كايسي آنذاك في الحادية عشرة. ولم تدرِ، حتى تلك الامسية الحارة من صيف ١٩٦٧، وهي في بلدتها ميلفورد في ولاية كونتيكت الامريكية، كيف ينظر بعض الناس

Condensed from Hartford Courant (April 27, '83), (c) 1983 by The Hartford Courant, Hartford, Conn. Photo: Whitney Lane

إليها. وهي تقول: "للمرة الاولى وجدتني أسلم بأن ثمة شيئاً غريباً حولي. وعلى رغم ضآلة جسمي، فقد شئت أن يدعوني الجميع جميلة."

وطول ميغ اليوم ١٢٢ سنتيمترا ووزنها ١٨ كيلوغراماً. وهي تضع شعراً أشقر مستعاراً على رأسها الاصلع. وهناك التواء في عمودها الفقري وفي أسنانها التي تنتأ من فم صغير جداً. وصدرها غائر من ناحية، وذراعها اليسرى أقصر من اليمنى. وهي تمشي بصعوبة وتكلف، ويسيل لعابها أحياناً وهي تبتلع الطعام بمشقة.

وهي، فوق هذا كله، غير جميلة.

إن ميغ ضحية مرض نادر اسمه "هتشينسون - غيلفورد"، وهو يبلي الجسم بالشيخوخة المبكرة. وهذا المرض يعوق النمو الطبيعي ويؤدي الى انحلال العظام والعضلات ويسبب الصلع وانتفاخ العينين ويمني ضحيته بالشيخوخة قبل أوانها.

ويظن الاطباء، أن وراء الاعراض المذكورة سبباً وراثياً، لكنهم لا يعرفون ماهيته ولا يعرفون بالتالي كيف يوقفون تقدمه. ومن أسباب جهلهم أن حالات هذا المرض التي تم تشخيصها طبياً لم تتجاوز المئة حول العالم منذ ما تم اكتشافه على يد الطبيب البريطاني جوناثان هتشينسون عام ١٨٨٦.

وغالباً ما يقضي هذا المرض على ضحيته في سن البلوغ. غير أن ميغ كايسي احتفلت، في الاول من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٣، بعيد ميلادها الثامن والعشرين. ويظن أنها اطول ضحايا هذا المرض عمراً في العالم، الامر الذي حيّر الاطباء كما حيّر الاشخاص الذين، على غرار رجل السيرك، ظنوا أنها ليست سوى ظاهرة شاذة.

تشخيص كئيب - وُلدت ميغ في بلدة بريدجبورت من أعمال ولاية كونتيكت. وهي الطفل السابع والابنة الوحيدة لوالديها جون ومارغريت كايسي. وفي صورة أُخذت لها وهي في شهرها الخامس، تبدو ميغ طبيعية كسائر الاطفال. ولكن ما أن بلغت شهرها الثامن عشر حتى لاحظت امها أمراً غريباً في نموها.

وتبدأ أعراض الشيخوخة الباكرة خلال السنتين الاوليين من الحياة، فينقص معدل النمو ويخف الوزن وتبرز الشرايين في الجبين فوق العينين ويكف الفك الاسفل عن النمو وتتهافت عظام الترقوة.

ومع الوقت يزول الشبه بين الطفل ووالديه ويكتسب ملامح الاطفال الآخرين الذين ابتُلوا بهذا المرض، وعدد الاحياء منهم اليوم سبعة عشر.

وقلقت مارغريت للامر، وحملت ابنتها الى أطباء الاطفال في مستشفى غريس - نيوهافن. واذ حاروا في أمرها، أخذتها أمها الى مستشفى الاطفال في بوسطن وهي على عتبة عامها الثالث. وقال أطباء بوسطن للام إن ابنتها تعاني مرضاً وراثياً يعوق نمو بعض العظام، وانه لا خوف من هذا المرض على حياة المصاب.

إلا أن طبيب الاسنان الذي كان

يعاين ميغ رفض ذلك التشخيص، معتمداً دراسته في طب الاسنان الخاص بالاطفال التي أطلعته على بعض العلل. وأخبر مارغريت أن ابنتها تمثل مرض الشيخوخة الباكرة خير تمثيل.

وعادت الام مراراً الى مستشفى غريس - نيوهافن وهي تحمل تلك المعلومات. ولدى بلوغ ميغ السادسة، أكدت فحوص الاختصاصيين ما اقترحه طبيب الاسنان الدكتور الياس فاس. وأعلنوا أسفهم أمام مارغريت وهم يخبرونها أن ذلك المرض قاتل، وان ابنتها ستقضي قبل سنها الثامنة.

طفلة خاصة - أصغت مارغريت حسناً، ثم عادت الى البيت وفي نيتها أن تبرهن خطأ تقدير الاطباء. وقررت ألا تخبر ميغ البتة عن التشخيص. وإذا كان الاطباء مخطئين حول مرض الفتاة، فمن الممكن أن يخطئوا حول أي شيء.

ووضعت سريراً لها بجانب سرير ميغ، وظلت تنام فيه الى أن دخلت ابنتها المدرسة الثانوية. وتقول مارغريت انها لجأت الى ذلك خوفاً من أن تموت ميغ وهي بعيدة عنها.

وذات ليلة سمعت لهاثها. ولمست جسدها فإذا هو بارد. وهلعت مارغريت للامر، ولفت ابنتها بحرام صوف والتفت به هي أيضاً، وراحت تصلي بحرارة وهي تدلك جسد الطفلة. وأخيراً نظرت ميغ الى امها وقالت: "كان متوقعاً أن أموت. أليس كذلك؟"

والواقع أن مرض ميغ جعل من طفولتها الاولى مرحلة سعيدة. وهي أدركت أنها كانت طفلة خاصة، مدللة، أو "أميرة" كما دعاها أبواها وألبساها كما لو كانت دمية، خالعين عليها المعاطف المخملية وأثواب الحرير، وعلى رأسها قالبا من شعر أشقر معقوص. وتقول ميغ: "كنت أظن نفسي بالغة الجمال. ولكم هو جميل أن يبدو الطفل مختلفاً عن الآخرين وهو في الخامسة."

وكان الكل يعاملها معاملة خاصة: الاصدقاء والبائعون والمدرسون. وتنافس الصبيان على مراقصتها في مدرسة الرقص، وهرعت الفتيات للفوز بالجلوس الى جانبها في فترات الاستراحة المدرسية.

أما في البيت فكانت سيرتها مختلفة، إذ صمم جون ومارغريت على معاملتها كأي طفل طبيعي. صحيح أنها ناحلة الجسم وسهلة المكسر، ولكن في إمكانها ان تحمل بيدها خرقة وتمسح الغبار عن قطع الاثاث. ولم يمنعها ضعف بنيتها عن الكلام بصوت مرتفع ومتابعة دروس خاصة في الرقص والبيانو والتزلج. وعندما بدأت تطرح الاسئلة على ذويها حول منظرها، اكتفوا بالقول انها صغيرة وناعمة.

ولكن ما أن أصبحت ميغ في الصف السادس من المدرسة الابتدائية حتى باتت حياتها خارج البيت أكثر صعوبة. وأخذت الفتيات يتجاهلنها وهن ينزوين للكلام على الفتيان. ثم جاءت مرحلة الدراسة الثانوية لتواجهها بصعوبات جديدة في ذلك

المجال، وهي تقول: "حتى أكثر الاشخاص خمولا ابتعدوا عني."

على الشاطىء ـ في تلك الاثناء كانت تولدت لدى ميغ كبرياء شديدة حول نفسها،وكلما واجهت صعوبة لاذت بالسخرية وسترت ألمها بالترفع، وأقسى ما في الامر كان رحلاتها الى المستشفى، فكونها الحالة الوحيدة من حالات الشيخوخة الباكرة، نظر إليها الاطباء كموضوع جديد بالدراسة، ومرة أجلسها طبيب التجبير تحت الانوار وسط غرفة مظلمة جمع فيها طلابه، ثم انتزع قميصها وشعرها المستعار وراح يشير الى غرائب تكوينها، فما كان منها إلا أن فرّت من تلك الغرفة باكية مذعورة.

ولم تكن تعرف علتها آنذاك، ولكن بعد أيام من عيد ميلادها السادس عشر جاءها قريب صغير واخذ يشهق ويبكي أمامها، وأخبرها أنه سمع الانسباء يقولون إنها لن تعيش سنة اخرى، وأضاف: "قولي لي ان ذلك كذب، وانك لن تموتي." وهدأت ميغ روع قريبها، لكنها لم تتمكن، لشدة خوفها، من طرح أي سؤال على الآخرين حول مرضها.

وأنهت ميغ دراستها الثانوية عام ١٩٧٣ وقد حصلت على علامات مرتفعة، وأدركت أن حالها الجسدية لا تسمح لها بدخول الجامعة، وهي، في أي حال، لم تشأ أن تكون منبوذة من أقرانها وأخذت دروساً في الرسم وباتت تبيع لوحاتها المرسومة بالحبر أو بالالوان المائية.

وفي ذلك الصيف أقنعت ميغ والديها بالسماح لها بالذهاب الى منزل العائلة الصيفي على شاطىء البحر، وكان عسيراً أن تعيش بمفردها، فيداها وأصابعها من النحول والضعف بحيث لا تستطيع صنع شطيرة لتأكلها إلا بمشقة، لكنها سُرت بحريتها، وغالباً ما كانت تسهر الليل بطوله وهي تنتظر بزوغ الشمس من الماء.

وكان والدها يزورها في نهاية الاسبوع، فتتمدد على الرمل وتراقبه بفرح وهو يبحث عن الاصداف بين صخور الشاطىء، وهي تقول اليوم إن فصول الصيف تلك كانت أسعد أيام حياتها.

ولا تتذكر ميغ متى بدأت تدرك أن والدها على وشك الموت، بل تتذكر أنه بدأ أكثر وسامة في عينيها حين أخذ وزنه ينقص، غير أن وزنه لم يتوقف عن النقصان، وفي العام ١٩٧٧ قالت مارغريت لابنتها: "ان أباك مصاب بورم خبيث، وليس في استطاعة الاطباء إجراء جراحة له." ومات جون كايسي في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨.

وما برحت ميغ تصرّ بعد وفاة والدها على العيش وحدها، وبعد جدل طويل مع والدتها حول ذلك الامر، قرّ الرأي على استخدام المبلغ الذي جنته العائلة من تأمين جون على حياته لهدم الكوخ البحري الصغير وبناء منزل مكانه لاقامة الفتاة.

وبعد ذلك بحثت ميغ عمن يعيش معها هناك ويساعدها في النفقات وفي الامور التي لا تستطيعها

بنفسها، مثل الاعمال المنزلية وحتى وضع حذائها في قدميها. واتفق ان جودي غاري، صديقة أحد أشقائها، كانت تبحث عن مكان لاقامتها. وهكذا انتقلت تلك الطالبة الجامعية الطويلة الشقراء الى منزل ميغ. وتقول جودي بتحبب: "إن ميغ كثيرة الضجة وقاسية في الكلام مع امها. لكن شخصيتها غير مبتذلة."

شركاء مصير – على رغم أن ميغ تعلمت أن ترضخ لمحدودياتها، فانها لم تعرف اسم مرضها قبل العام ١٩٨٠، عندما قال لها طبيب متمرن ان العلة التي تعانيها في قدميها هي من أعراض الشيخوخة الباكرة. وسألته ميغ: "أهذا هو مرضي؟" إلا أن الخوف منعها من متابعة الاسئلة.

وجاءتها المعلومات الاضافية من طريق جودي بعد قراءتها مقالا عن فتى في الثامنة في جنوب افريقيا ابتلي بالداء نفسه. وظن الفتى أنه الضحية الوحيدة لذلك المرض في العالم وانه سيقضي قريباً. ووضعت جودي ذلك المقال في يد ميغ وسألتها: "ماذا ستفعلين لهذا الفتى البائس؟"

وأجابتها فوراً: "وماذا تريدينني أن أفعل؟ أتظنين أني جان دارك؟"

إلا أن قصة ذلك الفتى تبعتها قصص عن آخرين، بينهم صبي في التاسعة من ولاية تكساس وفتاة في الحادية عشرة من كاليفورنيا. ونشرت الصحف أن اجتماعاً قُرر عقده في بلدة "ديزني لاند" السياحية للاولاد المصابين بذلك المرض. وطارت ميغ الى كاليفورنيا وخاطبت الاطفال، وأخبرتهم ان الاطباء قالوا لذويها هي أيضاً انها لن تعيش حياة طبيعية. غير انها أتمت دراستها الثانوية، وها هي تعيش وحدها.

والواقع أن ميغ باتت مستعدة للاطلاع على مرضها والكلام عنه بعدما أخبرها الاطباء كل شيء حوله. ولم يقتصر حديثها على المخاطبة الشفوية، بل نشرت مقالات في عدد كبير من الصحف الامريكية وظهرت في برنامج تلفزيوني يقدمه فيل دوناهو. وباشرت كتابة زاوية اسبوعية في صحيفة البلدة التي تسكنها. وطلبت من بلدية ميلفورد تخصيص مكان لها لمساعدة المتخلفين. ولنيل المزيد من الحرية، عبرت عن رغبتها في الحصول على سيارة خاصة يمكن أن تقودها بنفسها.

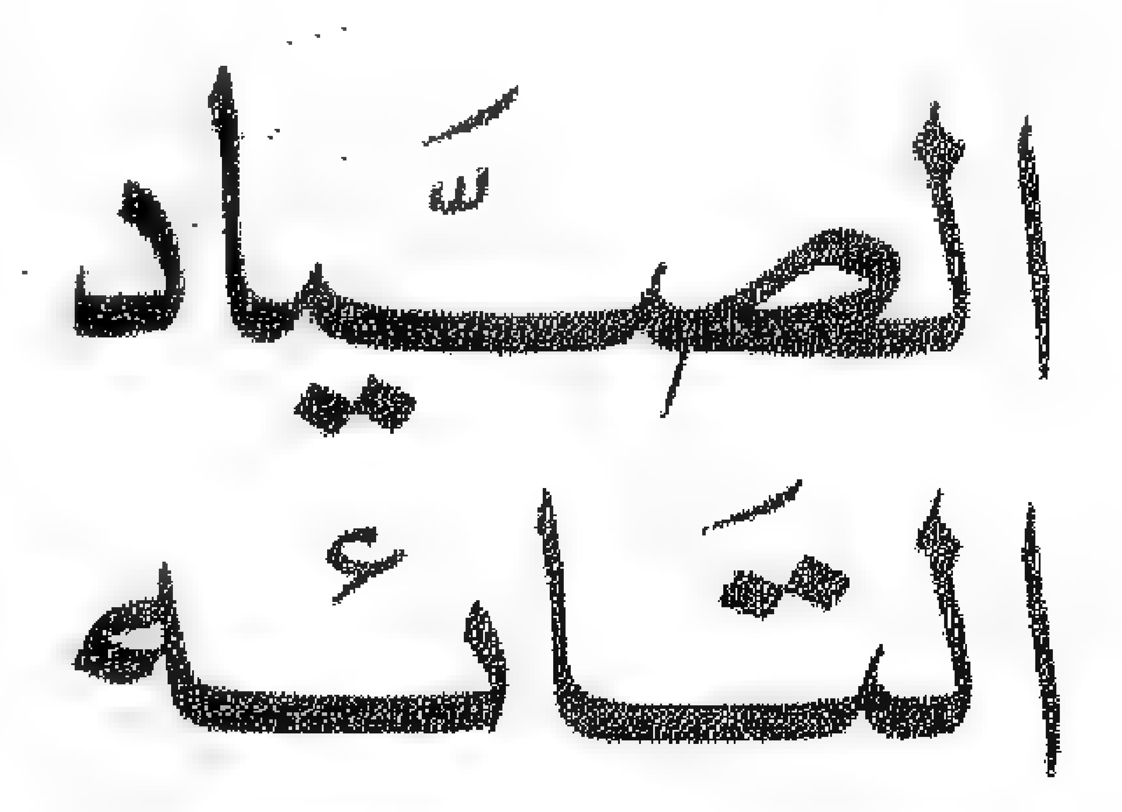
والحق أن ميغ برمة بأولئك الذين يشكون من مصائبهم. وقالت لواحد من ذوي العاهات أن يكف عن التذمر ويراقب العالم من نافذته، "حيث الشمس الرائعة."

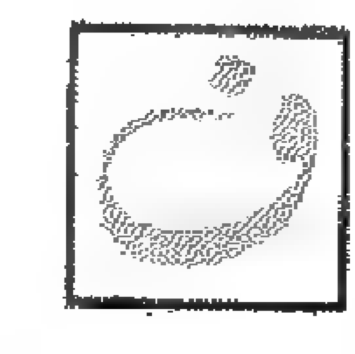
وتقول ميغ: "صدقوا أني لا أظن نفسي قبيحة. والامر الوحيد الذي يؤذيني هو حياتي العاطفية، إذ لا أستطيع الوصول الى الآخرين أو اجتذابهم إلي كما تفعل الآخريات." وهي تحلم أن تجد يوماً الرجل الذي يغض النظر عن ضعفاتها. أما الموت فتخشاه ميغ أكثر فأكثر، علماً أن نفسها يضيق وعظمها يتقلص مع الايام. وتقول: "لا أريد أن أقضي بهذا المرض."

■ نانسي ترايسي

مأساة واقعية

فقد فريق الانقاذ الامل في العثور على الصياد الذي كان يواجه الموت منفرداً في البراري





في الثامنة صباحاً يوم ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٢ خرج جورج وستكوت ورفاقه الخمسة في رحلة لصيد الغزلان. تجمعوا على طريق لنقل الاخشاب تبعد ١٦ كيلومتراً شمال بحيرة موسهاد في ولاية ماين الامريكية. كان الثلج

يتساقط خفيفاً وهم يتفحصون بوصلاتهم ويضبطون ساعاتهم للقاء ظهراً. واتفق الجماعة على ان من يعود اولا يطلق بوق شاحنة وستكوت العالي مرتين لارشاد الآخرين. وبعد ذلك تفرق الستة داخل الغابة.

توجه وستكوت الى جنوب طريق المنشرة. كان في الثانية والخمسين من عمره، طويلا وقوياً يعمل ناظراً في مصنع ينتج صفائح معدنية ويملك مطعماً. وهو من سوانسي في ولاية ماساتشوستس. وكان يصطاد في منطقة بحيرة موسهاد في كل موسم منذ ١٨ سنة. وكان خبيراً في الغابة، هادئاً، بارعاً، وليس من طبعه ان يجازف من دون حاجة.

تضاعف سقوط الثلج واشتدت الريح. وتفحص وستكوت بوصلته فتأكد له انه يسير في الطريق الصحيحة. لكنه شعر بألم في يديه وقدميه، على رغم قفازيه وجزمة الصيد. الساعة الآن العاشرة والنصف، وقد حان وقت العودة. واذ بدأت الريح تزداد عتواً راح يمشي الى الشمال مفتشاً عن رفاقه. امامه في مكان ما نهر مينك بروك، الذي يؤدي الى الطريق.

فجأة هبت عاصفة هوجاء. وحدق وستكوت الى صفحات بيضاء امامه لا نهاية لها وقد انحنت النباتات الصغيرة الى الارض وارسلت الاشجار الكبيرة صريراً يشبه الانين. تمتم لنفسه: "البياض غمر الكون، علي ان ابقى هادئاً وافكر بمنطق."

عند الظهر انصت وستكوت عله يسمع بوق سيارته العالي. لكنه لم يسمع سوى صوت الريح العميق وصوت الاشجار كصرير الخشب في سفينة تغرق. ووصل الى نهر سريع المياه ظنه نهر مينك بروك. كل ما يتوجب عليه الآن هو اتباع المجرى صعوداً ليصل الى الطريق. وما ان تابع سيره حتى بدت المنطقة التي غطتها الثلوج بسماكة ٣٠ سنتيمتراً غير مأهولة ولا مألوفة. ووصل الى جرف قليل الارتفاع وبدأ قلبه يخفق بسرعة وهو يرى شكل جبل يلوح له في الافق. هذا ليس نهر مينك بروك. انه يتسلق الطريق في اتجاه جبل ايليفانت الذي يبعد كيلومترات شمال الطريق.

بدأ يمشي نحو الغرب حيث تقع طريق المنشرة في مكان ما.

كانت الاشجار مكسرة في كل مكان. وزحف وستكوت ساعات فوق جذوعها المرتفعة عن سطح الارض حتى وصل الى ممر خفي وسط اشجار الارز والتنوب قاده الى بركة كبيرة. كان عليه ان يقطعها ليبقى في الاتجاه السوي. وبدا له ان المشي في محاذاة الضفة امر صعب لان التربة تشبه المستنقع يغوص الانسان فيها ويعجز عن التقدم، وليس لديه وقت كاف لاي مناورة قبل حلول الظلام. قال في نفسه: "الساعة الآن الثالثة والنصف، والافضل ان اجد مأوى."

وما ان ابتعد قليلا حتى غرق الى ركبتيه في حفرة عميقة مغطاة بالثلوج. وتخلص من الوحل والماء المجلد وجاهد عائداً الى التلة. لقد أثقلت رجلا سرواله بالثلوج وبدأ يرتجف. واخيراً وجد مأوى وسط مجموعة من شجر الارز.

قطع اغصان شجرة صنوبر لفراشه وجمع عيداناً جافة لاشعال النار. لكن الريح العاصفة هبت عليه من كل صوب ومنعته من اشعال عود ثقاب. وعنفت العاصفة وبدأت تزمجر وتقتلع الاغصان والاشجار.

تابع وستكوت محاولاته حتى آخر عود ثقاب، ثم صلى: "ساعدني يا رب."

وانخفضت درجة الحرارة سريعاً. فوضع وستكوت يديه داخل معطفه تحت ابطيه ليبقى دافئاً، ثم بدأ بعض التمارين الرياضية لشد العضلات. وارسل اشارات استغاثة باطلاق ثلاثة عيارات نارية من بندقيته كل نصف ساعة.

اجتمع رفاق وستكوت بحسب الخطة الموضوعة. وكانوا مقتنعين بانه ما زال يطارد غزالا. وتأخروا باطلاق اشارة البوق الثنائية الى بعد الظهر. والآن، وسط الظلام الدامس، راحوا يطلقون ابواق ثلاث شاحنات. ثم اطلقوا عيارات نارية في الهواء واداروا سلاسل المنشرة باصواتها المزعجة. وسقطت الحرارة الى ٣٩ درجة مئوية تحت الصفر، وانخفضت الرؤية الى ثلاثة امتار.

اليوم الثاني. هدأت العاصفة مع الفجر. وعندما استيقظ وستكوت بعد نوم ٩٠ دقيقة فقط، لم تعد قدماه تؤلمانه ولم يعد يحس بهما. ولما حاول الوقوف وقع ارضاً. فزحف الى شجرة قريبة وقطع غصناً ليستعمله عكازاً، ثم انتصب وبدأ يعرج في محاذاة ضفة البركة. الشجرات المكسرة الملقاة على الارض وفي الماء كانت تشبه افخاخاً مميتة، لذلك عاد ادراجه يتسلق التلة. وفي العاشرة والنصف صباحاً، بعد ثلاث ساعات، وجد انه قطع اقل من ١٦٠٠ متر.

وقع مرات، وما ان حل العصر حتى تجرحت كتفاه واصاب الصقيع يديه فتجمدت اصابعه. ونظر الى اسفل التلة فشاهد مجمعاً آخر من المياه على بعد ثلاثة كيلومترات. واعتقد انها بركة ويلسون السفلى. ورأى كوخاً بعيداً بالقرب من الضفة فتوجه اليه طلباً للمأوى.

اليومان الثالث والرابع. بقي وستكوت ٤٨ ساعة اخرى يجوب انحاء القفر والمرتفعات القريبة بعناد، يقوم بتمارين رياضية كل ليلة طلباً للدفء وتفادياً للموت. وكان يسمح لنفسه بالنوم فترة قصيرة قبل بزوغ الفجر. ولمح الكوخ مرة ثانية فقط، فتابع طريقه وسط غابة كثيفة معتمداً على بوصلته وايمانه بنفسه. واخيراً، وبعد ان ايقن انه قطع المسافة المناسبة، نزل في محاذاة جدول شديد الانحدار، فوجد البركة وكوخاً خشبياً صغيراً.

كان باب الكوخ مغلقاً من الخارج فكسر وستكوت زجاج نافذة بقبضة بندقيته ومد يده الى الداخل وفتح النافذة. وادخل بعض قطع الخشب الصغيرة المرصوصة بالقرب من الكوخ عبر النافذة، ثم ادخل قدميه ودفع جسده مستعيناً بعكازه. وخلال ساعة عثر على عيدان ثقاب واشعل ناراً هادرة في الموقد. كذلك وجد مطرقة

ومنشاراً وادوات طبخ وبطانيات صوفية وشراشف وفأساً واكياس بلاستيك وبعض علب الطعام. وعلى رغم جوعه ونعاسه فقد بدأ يهيىء لليوم التالي.

نشر قفل الكوخ اولا، ثم سمر قطعة خشب فوق النافذة المكسورة وجمع بعض الماء والمزيد من قطع الخشب للموقد. وداخل الكوخ تابع اشعال النار وتغذيتها بالحطب الى ان توهج الجمر في الموقد. وبحذر شديد ادخل قدميه الى الفرن. ولما ذاب الثلج عن سرواله (بلغت كثافته اكثر من خمسة سنتيمترات) قص جزمته وجواربه. وقشرت طبقة كثيفة من جلد قدمه اليمنى. وبقيت قدماه مجلدتين كأنهما قطعتان جامدتان من الخشب.

جزع وستكوت ولف قدميه بقطع قماش مزقها من ملاءة السرير. ولما تبين له ان علب الطعام فاسدة اخذ يشرب الكاكاو، واكل قطعة بسكويت قديمة كانت اول وجبة يتناولها منذ ٨٤ ساعة. وقال في نفسه: "سأخرج من هنا ولو زحفاً."

اليوم الخامس. سمع وستكوت ازيز طائرات ودوران طوافة. فأخذ شريطاً لاصقاً كتب به كلمة "النجدة" باحرف كبيرة الصقها على حرام اسود فرشه في فسحة مسطحة امام الكوخ. لكنه ادرك ان فرقة التفتيش تخطته، وان عواصف الشتاء في طريقها اليه وليس لديه طعام او شراب وقدماه متورمتان. وبات لزاماً عليه ان يغادر مأواه الآمن.

في اليوم التالي صنع علاقة جلدية لبندقيته، وربط بطانية صوفية حول كتفيه، وأدلى الفأس بحبل حول رقبته. وضع داخل احدى جيوبه كوباً للشرب وعيدان ثقاب. كان وستكوت متأكداً من وجود طريق حجرية الى الشمال في محاذاة بركة ويلسون السفلى تفصلها عن بركة ويلسون العليا. فان كان ذلك صحيحاً، فما عليه الا ان يسير على ضفة البركة ليصل الى الطريق في الطرف الآخر.

اليوم السابع. حان وقت الرحيل. ومع الفجر وضع وستكوت قدميه في اكياس بلاستيك وانتعل جزمته المقطعة وربطها بحبل. وشرع يرتقي التلة قبل ان يتجه الى الشمال فالشمال الغربي. ولم يكتشف انه فقد جزمته اليمنى الا بعد ساعات من السير. في تلك الامسية سقطت امطار غزيرة جارفة فاحتمى بجذع شجرة مكسورة.

اليوم الثامن. في اليوم التالي امطرت السماء طوال الوقت وراح وستكوت يعرج بقدم واحدة مربوطة داخل كيس بلاستيك باحثاً عن الطرف الآخر للبركة. انعطف غرباً فوجد انه عاد الى حيث بدأ. يبدو ان لا نهاية للبركة. وفاحت رائحة قدمه، انها رائحة لحم نتن. كان يعرف ان السم سيسري في مجرى دمه خلال ايام قليلة وعليه ان يعود ادراجه الى الكوخ.

اليوم العاشر. وصل وستكوت الى الكوخ قبيل حلول الظلام. اشعل ناراً

وخلع جواربه وثيابه. كانت رائحة اللحم النتن لا تحتمل. لقد تشقق اللحم الاسود الخارجي الميت وظهر اللحم الاحمر الحي. الجروح لا تنزف واصابع قدميه بدأ يكسوها السواد.

اليوم الرابع عشر. ارتدى وستكوت جزمة لخوض الوحل والماء وجدها في خزانة، وعاود مسيرته متجهاً هذه المرة الى الشمال فالشمال الشرقي. كان يتمنى ان يدور حول البركة. لكنه وجد من جديد انه كلما اتجه الى الغرب كانت المياه امامه. وقال في نفسه: "هناك خطأ ما."

وتذكر فجأة ان بركة ويلسون السفلى متصلة ببكرة ويلسون العليا ولا يوجد ممر حولها. كان محاطاً كلياً بالمياه وبجبل مكسو باشجار مكسرة وطرق غير سالكة. وفكر: "ان لم اعثر على قارب فانني هالك لا محالة." وعاد الى الكوخ.

الكثيرون ممن كانوا يبحثون عن وستكوت كانوا مقتنعين انه من غير المعقول ان يبقى حياً لليلة واحدة، تلك الليلة الاولى الرهيبة. وبعد اسبوع فترت همة فريق الانقاذ، غير ان اهله واصحابه تمسكوا بالامل. وكلما اقترح احدهم اقامة صلاة لراحة نفسه كانت والدته تصر بعناد قائلة: "ليس بعد. اذا كان لديه امل واحد، فانه سينجو."

اليوم الخامس عشر. كان وستكوت لا يزال على مسافة قصيرة من الكوخ عندما رأى ممراً يقود الى البركة. ومشى اليه ببطء ليحضر بعض الاخشاب الصغيرة لاشعال النار. وعندما وصل الى البركة رأى كوخاً آخر قرب الضفة يبعد حوالى ٤٠٠ متر، وبالقرب منه مركب شراعي صغير كان محجوباً عن الانظار. فابتهل بصوت مرتفع: "اشكرك يا الهي على هذه النعمة."

اليوم السادس عشر. عرج وستكوت حتى وصل الى الكوخ الآخر. كان المركب مربوطاً بسلاسل حديد الى شجرة. ووجد مجذافاً تحت سقيفة الكوخ كما وجد في الداخل جوارب ومعطفاً واقياً من المطر وعلبة فول سوداني وحساء مجففاً ومعكرونة ودقيقاً وعلباً صغيرة من سمك التونة والبندورة وجذور الشمندر. اشعل ناراً واكل طعاماً جامداً للمرة الاولى منذ اسبوعين. وفي اليوم التالي، بعدما نشر سلاسل المركب وحرره، هطل مطر غزير وهبت عاصفة هوجاء دامت اربعة ايام.

اليوم الحادي والعشرون. سحب وستكوت المركب الصغير الى الضفة الصخرية. ولم تلبث ان قلبته الريح العاتية فنزل الى الماء المجلد ليسحبه الى الشاطىء الامين. وعرج الى الكوخ ليشعل ناراً. انه لن يتمكن اليوم من الرحيل، وطعامه يكاد ينفد. وشعر برغبة في البكاء وقال: "لماذا يا الهي؟ لماذا الآن وقد اقتربت من النجاح؟"

اليوم الثاني والعشرون. كانت السماء صافية والشمس مشرقة

والبركـة ساكنـة كالزجـاج. سحـب وستكوت المركب الى الماء وقلبه على جانبه قبل ان يصعد اليه. وضع رجلا في منتصف المركب، ثم بمساعدة عكازه وثب الى الداخل. واستوى المركب ثم تحرك واستقر فوق الماء. لقد نجا.

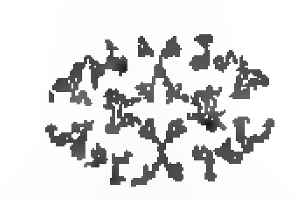
بعد ثلاث ساعات من التجذيف وصل الى رصيف في الطرف الآخر للبركة. وسحب نفسه ببطء وامسك بخشب الرصيف. نظـر حولـه فـرأى طريقـاً حجرية. وشعـر برغبـة فـي تقبيـل الارض. واتجه الى الطريق وهو يشكر ربه.

لم يصدق الدكتور بول فشتنر عينيه حيـن دخـل عامـل الهاتـف غـرفـة الطوارىء في مستشفى دين التذكاري فـي غرينفيـل برفـقـة وستـكـوت الملتحي. فقد وجده يعرج على الطريق المؤدية الى غرينفيل متكئاً على عصاه الثقيلة وقد ربط فوق كتفيه بطانية بالية. وخلال محنته التي دامت ٢٢ يوماً خسر ١٨ كيلوغراماً من وزنه وتحمل قضمة الصقيع التي اصابت اصابع يديه وقدميه. قال الدكتور: "الكثيرون كانوا قضوا في الليلة الاولى. واعتقد انه كان سيخرج وان على جدعات اطرافه."

يتماثل اليوم وستكوت للشفاء بعد جراحة استؤصلت فيها جميع اصابع قدميه وقسم من قدمه اليمنى. ومع ذلك فلا يزال حبه للطبيعة لا يجارى. ينتعل احذية خاصة ويستعمل عصا. ولقد قام برحلات عدة الى غابة ماين. وهو يقول: "اشعر اليوم بحنين الى القفز اكثر من ذي قبل."

وخلاصة ما قاله غلين مانويل عضو لجنة المسامك الداخلية والحيوانات البرية في ولاية ماين: "ان بطولة جورج وستكوت، حتى في ولاية اعتادت بطولات البقاء، هي حدث غير عادي. كان مؤكداً انه سيموت، لكنه رفض هذه النهاية."

■ شيلدون كيلي



السخافات كثيرة

ان قوتنا كبشر هي قدرتنا على ان نضحك على سخافاتنا. أما ضعفنا فهو اضطرارنا الى الاكثار من الضحك.

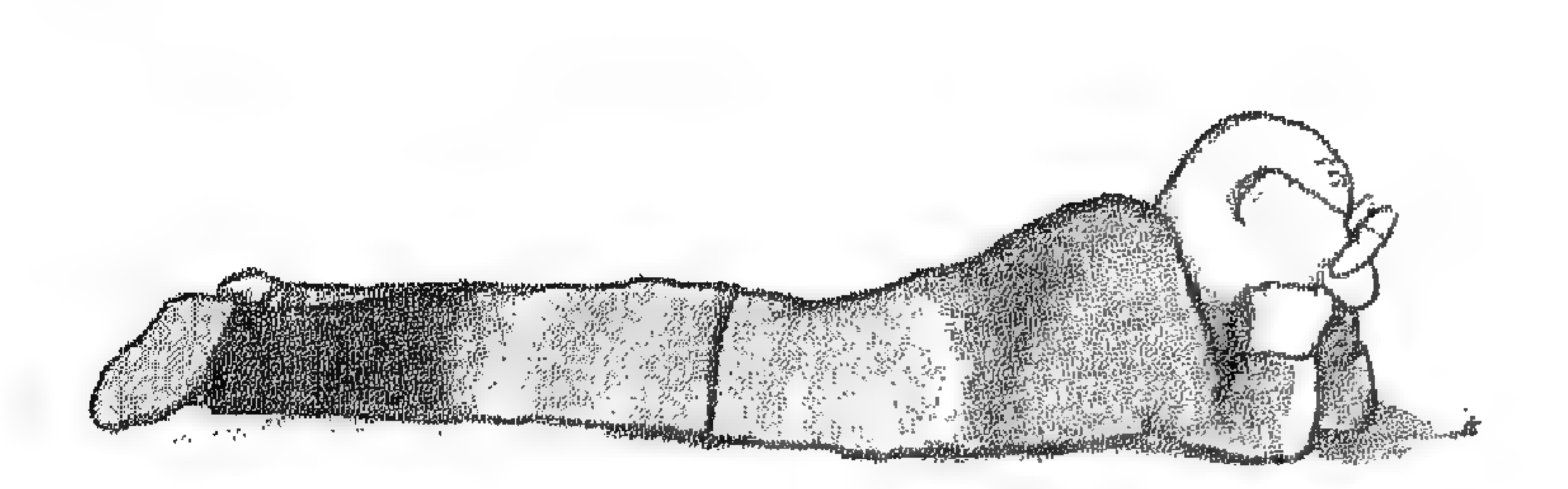
س.١٠.

كلاب جامعية

في جامعة ديوك الامريكية تكثر الكلاب التي تشاهد بكثرة في قاعات المحاضرات وفي الحافلات. ومرة جاء والد أحد الطلاب لزيارته. واذ ركبا الحافلة عائدين الى محطة القطار، وقف على الطريق كلب راح يهز ذيله الى ان فتح له السائق الباب. وفعل الشيء نفسه حين أراد النزول. وحيال دهشة الوالدين قال ابنهما: "ان جامعتنا لا تستقبل الا أذكى الكلاب."

ل.م.

تأملات معاصرة



المال والبنون

ثمة كلمات أربع يجب أن تكون جزءا لا يتجزأ من تربية كل طفل: "لا نستطيع تأمين ذلك." والاهل الذين لم يتفوهوا قط بهذه الكلمات أمام أولادهم يكونون قد غشوهم فعلا. وكما يقوي التمرين الجسد، فالنظام يقوي النفس.

م. م.

الحياة على جزيرة

أجمل ما في الحياة على جزيرة تمشيط الشاطىء. فهو يشبع لدى المرء رغبة الانعتاق من كل نظام والحصول على الاشياء مجانا. كما يوقظ لديه حس المغامرة والدهشة، بما أنه لا يعرف ما سيحمله إليه المد.

ديفيد كونوفر

سن الوعي

للشبان تطلعات لن يحققوها ابدا، وللشيب ذكريات لأمور لم تحدث البتة. وحدهم الذين في منتصف العمر يعون محدودياتهم. ولذلك يجدر بالمرء ان يتحملهم... لكنه لا يفعل.

ساكي، قصصي بريطاني

الحب المبصر

لا يحب رجل وامرأة احدهما الآخر حقاً الا بعد تلاشي الجنس بينهما. واذ انظر الى الالم الناشىء عن الجنس، او عن الحب الجامح الذي يحاكي ذئباً يتحفز للانقضاض على فريسته، اجد ان العطف هو الحب المبصر والاعمق والاغنى... وهذا هو الحب الذي اسعى اليه من جديد.

انيد باغنولد (شاعر بريطاني)

لماذا؟.

ثمة كلمة رائعة هي: "لماذا؟" تلك اللماذا التي يرددها الأطفال، كل الأطفال. واذا كفوا عن استعمالها، فهذا عائد في معظمه الى ان احداً لم يكلف نفسه الاجابة عن اسئلتهم، وبذلك لم يعدهم لمغامرة الحياة.

اليانور روزفلت

السحر الانساني

من يدرك الطاقة السحرية التي تسري بين شخصين يتجاوزان ظواهر الامور ليغوصا الى أعماقها، يعرف ماذا يمكن أن يفعل الانسان لانسان آخر.

اليكس نوبل

A century ago the average housewife worked 16 hours a day, 365 days a year.





Today she gets the job done twice as well in half the time
But we still don't think that's good enough.
So what are we doing about it? Lots!

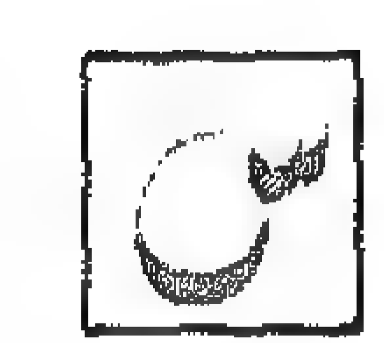
Laundry products ACE, ARIEL, BIZ, BOLD, BONUS, BOUNCE, CHEER, DASH, DAZ, DON MAXIMO, DOWNY, DREFT, DUZ, FAIRY SNOW, GAIN, IVORY FLAKES, OXYDOL, LAVA, LENOR, SALVO, TIDE. Household cleaners and cleansers. COMET, FLASH, MR CLEAN, SPIC & SPAN, TOP JOB. Bar soaps. CAMAY, FAIRY, IVORY,



LAVA, MONSAVON, SAFEGUARD, ZEST. Dishwashing products CASCADE, JOY, MOTIV. Toiletries: CREST, DRENE GLEEM, HEAD & SHOULDERS, PRELL. Food products: CRISCO, DUNCA HINES, FOLGER'S, PRINGLE'S. Paper products: BOUNTY, CHARMI PAMPERS, PUFFS, WHITE CLOUD.

Procter & Gamble


العبقريّ الذي أضاءَ العالم



الساعة الثامنة والنصف صباحاً من احد ايام أبريل (نيسان) المشرقة عام ١٩٧٨، وفي مطار راين ماين في فرانكفورت احتشد الصحافيون والشخصيات البارزة ينتظرون بشوق وصول شحنة من تاجر الكتب النادرة في نيويورك هانس بيتر كراوس. وبعد كشف الجمارك على الطرد الذي بلغت قيمته ٣،٧ ملايين مارك (١،٣ مليون دولار)، نقل على وجه السرعة في حراسة رجال الشرطة الى ماينز

الى اليسار: قصر النهضة "زوم روميشن كايسر" الذي يضم الآن مكتبة المتحف.

الى اليمين: رمز "الفن الاسود" هو كرة التحبير التي كانت ذات مرة تستخدم لمد الحبر على صفحات الحروف، وتبدو في الاسفل المغرفة التي كان يرفع بها المعدن المصهور، وحروف غوتنبرغ التي يتميز كل منها بثلم في جانبه الاسفل.



التي تبعد حوالى ٤٠ كيلومتراً ٠وهكذا عادت اخيراً توراة غوتنبرغ الى حيث طبعت للمرة الاولى قبل ٥٠٠ سنة ونيف٠

هذه التوراة هي اليوم درة المعروضات في متحف غوتنبرغ الفريد في ماينز٠ وقد كرس هذا المتحف حصراً لفن الطباعة ولمخترع الطباعة بالحروف المنفصلة يوهانس غوتنبرغ٠ ويتقفى القيمون عليه تاريخ الكلمة المطبوعة بدءاً بالالواح البابلية المسمارية قبل ٤٥٠٠ سنة وانتهاء بأحدث آلات صف الاحرف بطريقة التصوير الضوئي٠والى الكتب الثمينة يضم المتحف ٧٠ الف غلاف كتاب و٦٠ ألف رقعة كتاب (★) والوف النماذج الكتابية بخط اليد وبأحرف الطباعة والصحف ذات الاهمية التاريخية، كذلك أوراق اللعب (الشدة) والكليشيهات٠ وفيه ايضاً اصغر طبعة في العالم لكتاب صلاة لا يزيد حجمه على ظفر اصبع في سبع لغات٠ ورسم دخول المتحف ماركان المانيان (٧،٠ دولار)، ويفد اليه كل سنة ربع مليون زائر من انحاء العالم٠

تبدأ جولتنا في الطبقة الاولىمن المبنى الرئيسي٠هنا ترقد التوراة الثمينة٠انها في مجلدين: العهد القديم والعهد الجديد٠ وكلاهما مضاء بمصابيح معدنية٠وقد أعيد اكتشاف هذين الكتابين في تركة ورثة النبيل البريطاني جورج شاكبورغ عام ١٩٥١، وهما مغلفان بالجلد المراكشي القرمزي المذهب الاطراف٠ ولم يفقد الورق شيئاً من لمعانه ولا الالوان شيئاً من رونقها٠ كل الصفحات مزخرفة، والحروف الاولى ورؤوس الاعمدة والنقوش كلها مرسومة باليد بالاحمر والازرق والذهبي٠ ومن اصل ٢٠٠ توراة تقريباً بدأ غوتنبرغ طباعتها عام ١٤٥٢، لم يبق سوى ٥٠ نسخة تقريباً٠ وهذه المجلدات الموزعة في ١٣ بلداً تعتبر افخم الكتب التي طبعت ابداً٠

فجر الطباعة ـ وقفت اراقب صفاً من التلامذة يصغون مأخوذين الى أحد موظفي المتحف وهو يشرح لهم كيف يصنع الورق٠ وفيقبوالمتحف يتولى حرفي تشغيل آلة طابعة تماماً كما كانت تشغل قبل ٥٠٠ سنة٠ يضع اولا قالباً لأحد الحروف في آلة سكب يدوية٠ بعد ذلك يستخدم مغرفة ليسكب في القالب مزيجاً معدنياً من الرصاص والقصدير والاثمد (انتيموني) والبزموث مصهوراً في حرارة ٣٠٠ درجة مئوية٠ تبرد هذه المعادن بسرعة، وهاك حرفاً طباعياً ولد للتو٠

يضع الطباع الحرف مع الحروف الاخرى التي صبها في مصف خشبي ليؤلف منها سطراً كاملا٠ بعد ذلك يرتب الاسطر واحداً تحت آخر ليشكل منها صفحة كتاب٠ ثم يحبر الصفحة باستخدام كرات حبر مصنوعة من الجلد ومحشوة بشعر الخيل، وبعد ذلك يضغطها في آلة طبع يدوية٠

يدير هذا الحرفي بخفة لولباً من الخشب، فيكبس صفحة مبللة من الورق على صفحة الاحرف التي تطبع

(★) رقعة تلصق على كتاب يسجل عليها اسم صاحبه او موضعه في مكتبة٠

صورتها على الورقة. وقد تقدم صفحة مطبوعة الى الزوار كتذكار. واني سمعت احدى التلميذات تقول لأخرى: "سأعلق هذه النسخة على الجدار في غرفتي، قرب صورة الفيس."

يصعب علينا اليوم ان نتصور عهداً لم تكن الطباعة موجودة. ولكن قرابة العام ١٤٠٠ كانت الكتب لا تزال تخرج من بين ايدي الرهبان الذين كانوا يخطونها بجهد مضن يستغرق سنوات. اما الطباعة بالصفحات المحفورة، حيث تحفر صفحة الكتاب كاملة كقطعة واحدة، فكانت تستهلك وقتاً طويلا، كما كانت المحفورات النافرة تبلى من الاستعمال المستمر. وقد ولدت الطباعة الحديثة حين خطر في بال يوهانس غوتنبرغ ان الطباعة ممكنة آلياً من طريق صنع احرف من المعدن منفردة يمكن استعمالها تكراراً.

موجة عارمة – لا يعرف سوى القليل عن يوهانس غنسفلايش. وهو ابن عائلة ارستوقراطية كانت تملك مزارع تعرف باسم غوتنبرغ، وهو الاسم التي اتخذه يوهانس لنفسه في ما بعد. وقد يكون ولد في ماينز قرابةالعام ١٣٩٧. وعلى رغم محتده النبيل فانه قبل في نقابة للحرفيين في ستراسبورغ وعمل في الصياغة وقطع الجواهر وصقلها. وكان ينفق كل فلس يحصله على تجاربه الطباعية.

وحين عاد غوتنبرغ الى ماينز في شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٤٤٨، كان "الحرف الميكانيكي" الذي ابدعه لا يزال في مرحلة بدائية. وأقرضه بورغر يوهان فوست مبلغ ١٦٠٠ غيلدر، وهو احد القلة الاوائل الذين ادركوا الامكانات الكامنة في الطباعة. وكان هذا المبلغ في ذلك الوقت ثروة كافية لشراء بضع مزارع ودور في المدينة. استخدم غوتنبرغ نحو ٢٠ مساعداً واشترى رقائق مصنوعة من جلد ٨٠٠٠ عجل وكمية من الورق الفاخر من شمال ايطاليا. وكان عماله ينضدون الحروف بسرعة ٢٥ حرفاً في الدقيقة. وكان لديه ستة مكابس (مطابع) تعمل في آن.

وبحلول اواخر فصل الخريف عام ١٤٥٥ تم انتاج ٢٠٠ نسخة من التوراة في طبعة أنيقة. بيد ان غوتنبرغ الذي كان غارقاًفي الديون لميتمكن من بيع كتبه التي كان ثمن الواحد منها يراوح بين ٤٠ و٥٠ غيلدر. فقد اوقع فوست الحجز على املاكه سداداً لدينه ومنحته المحكمة كتب التوراة التي طبعها غوتنبرغ ومعها مشغله. وهكذا مات هذا المخترع العظيم فقيراً في ٣ فبراير (شباط) ١٤٦٨.

لكن اختراع غوتنبرغ انتشر بسرعة في انحاء اوروبا مثل موجة بحرية عارمة. وبحلول العام ١٥٠٠ تم طبع عشرة ملايين نسخة من ٤٠ الف كتاب صدرت في ٢٧٠ مدينة. وكانت بعض المدن تفاخر بأن فيها ٤٠ مطبعة. وكان في البندقية وحدها ١٥١ مطبعة.

المبدأ واحد – تظهر التحف المعروضة في ٦٤ صندوقاً في الطبقة الاولى من متحف غوتنبرغ كيف انتشرت المعرفة

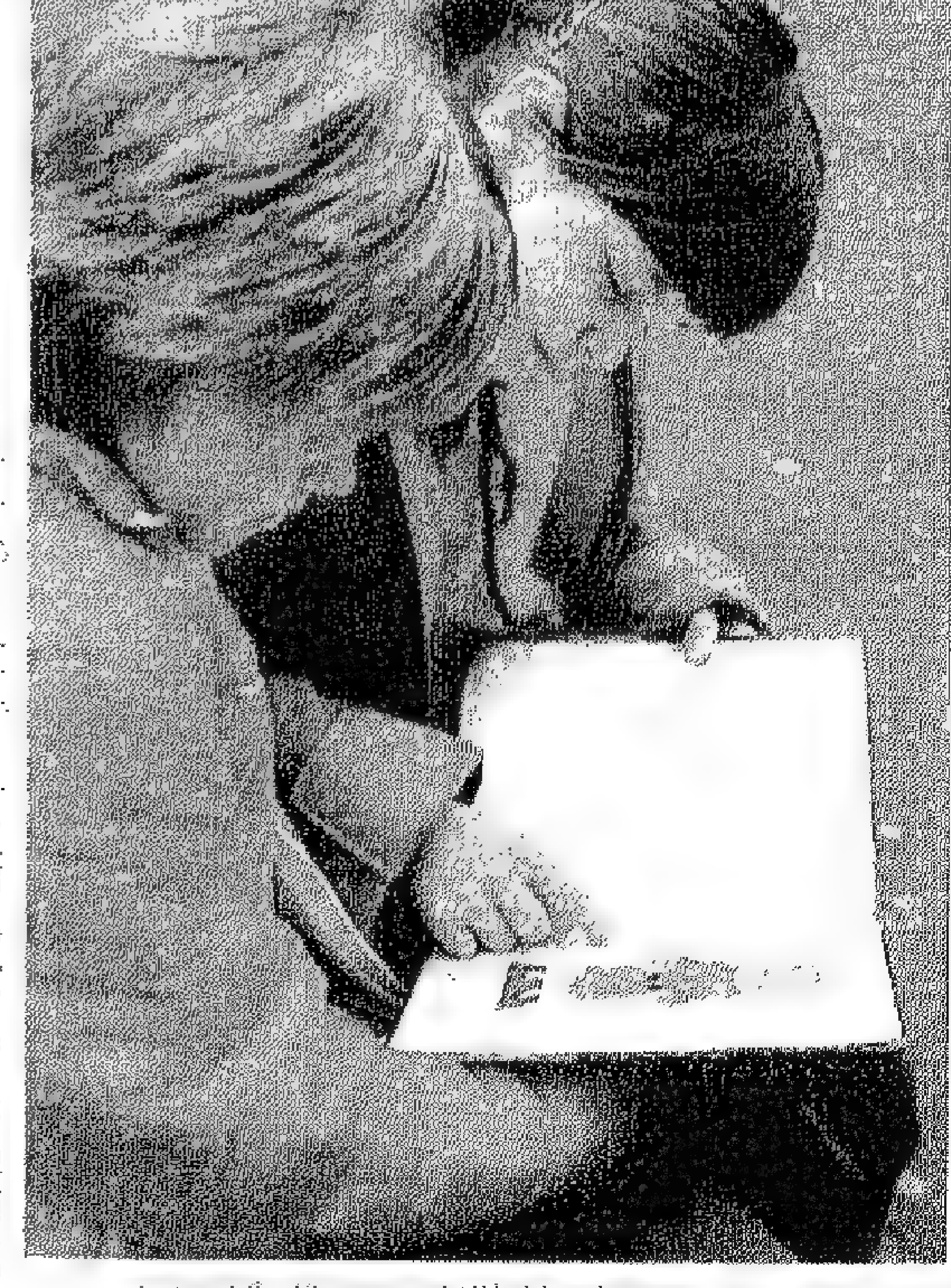
يوهانس غوتنبرغ،
تمثال نصفي من البرونز صنعه فاينو آلتونن،
هلسنكي، ١٩٦٢.

منضد حروف من العصور الوسطى
في لباسه القديم ينضد سطراً كاملا
من الحروف في مصف خشبي،
وترتب هذه الاسطر واحداً تحت آخر
لتتشكل منها صفحة كتاب كاملة.



غرفة الطباعة في المتحف
وفيها عامل يبين طريقة
صنع احد حروف غوتنبرغ.

كل صفحة من صفحات توراة غوتنبرغ
مطبوعة في عمودين في كل منهما ٤٢ سطراً٠
وقد تحقق هذا التناسب باستعمال ٢٩٠ علامة
صوتية مختلفة مع سماكة متفاوتة لكل حرف بمفرده٠
وهكذا فان صفحة واحدة يمكن ان تحوي ٣٧٠٠ علامة،
والتوراه بمجملها وبصفحاتها الـ١٢٨٠
تحوي ما يزيد على ثلاثة ملايين حرف٠



. يكون اشهر كتاب للاطفال صدر ابداً
و الكتاب التراثي "ستروبلبيتر"
ذي ترجم الى كل اللغات الثقافية في العالم
د الفه هنريخ هوفمان عام ١٨٤٤،
و طبيب من فرانكفورت،
ينه بالصور كهدية عيد ميلاد لابنه
بالغ من العمر اربع سنوات٠
د دفع المتحف مبلغ ١٣ الف مارك الماني(٤٩٠٠ دولار)
نا لنسخة منه طبعت عام ١٨٤٥٠

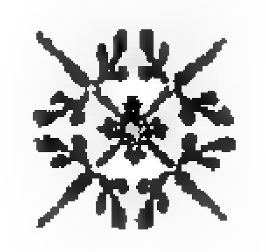
من طريق الطباعة. واني رأيت اطلساً مفتوحاً طبع عام ١٤٨٢ في مدينة اولم الالمانية، يبين كيف بدا العالم لكولومبوس. وبعد عشر سنين ابحر كولومبوس حاملا مثل هذه الخرائط المطبوعة ليكتشف العالم الجديد. وقرب الاطلس وقفت معجباً امام الطبعات الاصلية لكتب الطب وكتب الاطفال الجميلة.

وفكرت: ان افكار مارتن لوثر الثورية ما كانت لتحقق انتشارها السريع لولا الآلة الطابعة. وحين أصدرت عام ١٥٢٠ الوف النسخ من جدليته الشهيرة "نداء الى النبلاء المسيحيين في الأمة الالمانية" وأخذت تنتقل من يد الى يد، اعلن ذلك المصلح العظيم بحماسة: "ان هذه النعمة العظيمة لا يمكن التعبير عن عظمتها بالكلمات. فبفضلها تحفظ جميع انجازات الفن والعلم ويضاف اليها وتنقل الى اجيالنا القادمة."

حضت فكرة غوتنبرغ على المزيد من الاختراع. وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨١٤ صنع الفريق الالماني المؤلف من فريدريك كونيغ وآندرياس بوير اول مطبعتين بخاريتين من النوع ذي الاسطوانة المسطحة لحساب صحيفة "تايمس" اللندنية. وفي السنة التالية بلغ عدد ما طبعته الصحيفة ٥٠٠٠ نسخة لكل عدد، وهو انتشار كان مذهلا في ذلك الزمن. وهكذا شاع نبأ هزيمة نابوليون في واترلو بسرعة لم يسبق لها مثيل.

ولم تكن هذه سوى البداية. وفي قبو المتحف آلات الكترونية لصف الاحرف بالتصوير الضوئي تظهر المدى الذي بلغه اختراع غوتنبرغ. ويقول هالبي: "في طاقة هذه الآلات صف ثلاثة ملايين حرف وشكل في ساعة واحدة. وفي زمن غوتنبرغ كان يعاد سبك الحروف وصفها مرة بعد مرة. الآن يتولى شعاع كاثودي (كهربي) صف الحروف بنقاط ضوئية. ولكن حتى هذا اليوم لا يزال المبدأ هو نفسه الذي ابدعه غوتنبرغ قبل اكثر من ٥٠٠ سنة."

■ كلاوس غايديمان



سمعة الرجل

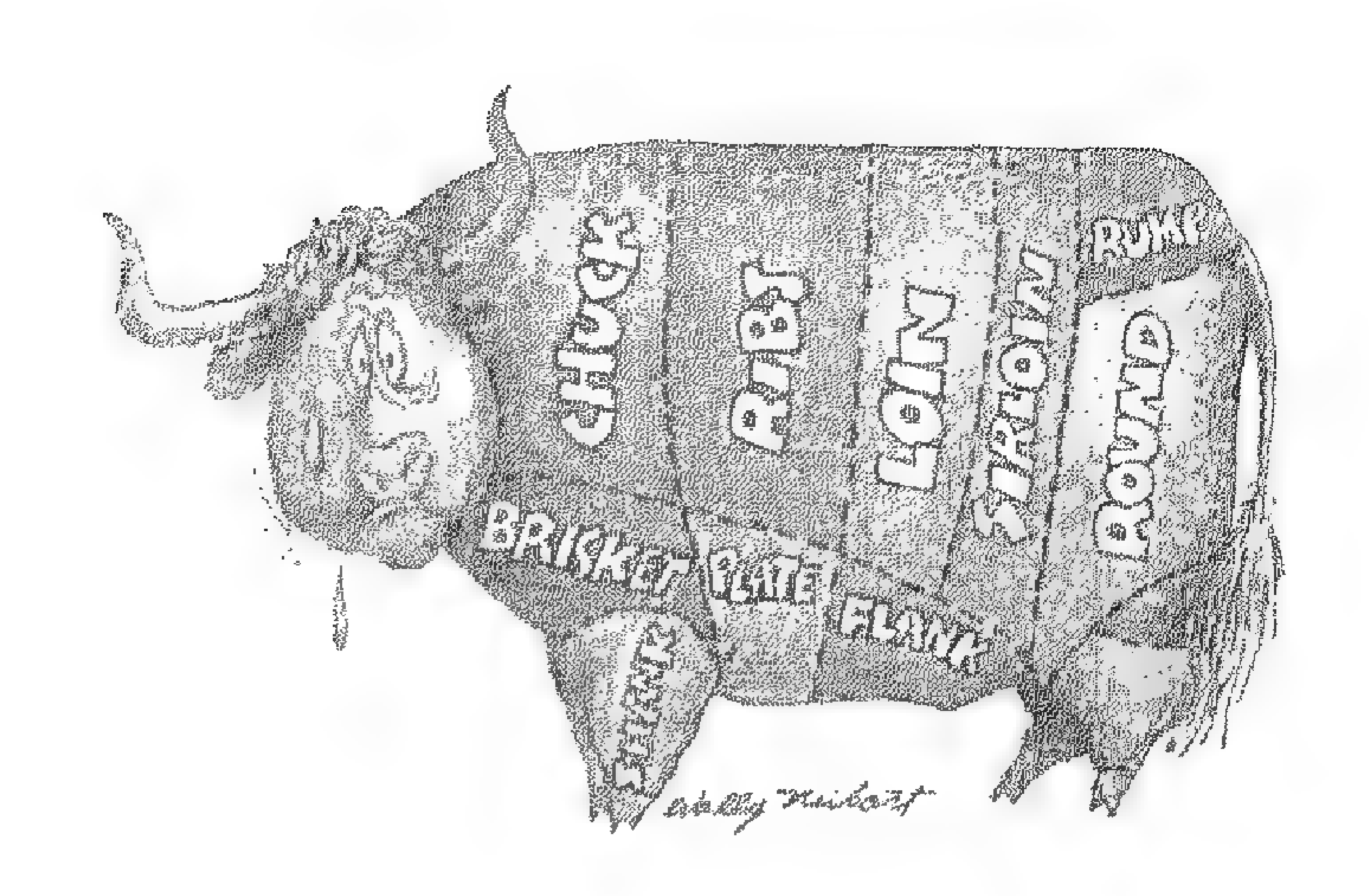
عبر الشارع قبالة منزلنا يعيش رجل متقاعد اعتاد ان يتسلى بمراقبته الجيران. واني أعمل مدرّسة خلال النهار وأرتدي ملابس عادية. لكني أشترك في المسرح المحلي في بعض الامسيات، فأغادر المنزل وأعود اليه بملابس مسرحية مختلفة.

وذات يوم كان زوجي يرمي المهملات عندما دنا منه الجار وسأله: "كيف تستطيع ان تقيم علاقة مع اولئك النسوة جميعاً من غير أن تكتشف زوجتك الامر؟"

وابتسم زوجي لكنه لم يقل شيئاً. وحين روى لي ما حدث لاحقاً، سألته: "ألم تخبره الحقيقة؟"

ـ ماذا؟ أتريدين أن أحطم سمعتي لديه؟

ا.ل.



مَلكُ المائِدَة

على رغم كل ما قيل عن مضار لحم البقر، فإن فوائده تبقى كثيرة، والناس في غير مكان لا يفتأون يفضلونه على جميع المآكل

في كتابه "متجوّل عبر الحدود" وصف مارك توين سائحاً أمريكياً في اوروبا يشده الحنين الى وطنه: "تصور ملاكاً يهبط فجأة من عل ويضع أمامه شريحة عملاقة من لحم البقر تبلغ لسنتيمترات الاربعة كثافة، وهي ساخنة وما زالت تنبض بعد رفعها عن النار، وقد علتها طبقة من التوابل العطرة وأضيفت اليها كتل من الزبدة التي تسيل وتختلط بعصارة اللحم."

قليلون هم الناس الذين يحتاجون الى وصف كهذا ليسيل لعابهم أمام لحم البقر الملكي الذي، طوال عصور، لم يزل ملك المائدة في المآدب داخل المنازل والفنادق وفي النزهات خارجها.

ولا غرو أن يستهلك الامريكيون ٣٥

كيلوغراماً من لحم البقر لكل فرد سنوياً، بالمقارنة مع ٣،٥ كيلوغرامات في اليابان و٦٦ كيلوغراماً في الارجنتين، بلد اللحوم. وتصل كمية لحم البقر المستهلك سنوياً في الولايات المتحدة الى ثمانية مليارات كيلوغرام.

إلا أن هذا الاقبال الهائل لم يثن بعض خبراء الصحة المرموقين عن وضع لحم البقر على قائمة المحظرات، بحجة أن الكثير من الدهن الحيواني قد يؤدي الى السرطان وأمراض القلب. وربما كان أبرز اولئك النقاد جان ماير، رئيس جامعة تافتس وعضو عدد من اللجان الغذائية حول العالم. وهو يشير الى أن الكثير من لحم البقر زاخر بالشحم، خصوصاً الشحم المركز المشبع. ويضيف ماير أن الشحم غني بالسعرات الحرارية وأنه يرفع نسبة الكوليستيرول في الدم. والعديد من العلماء المرموقين يُقرّ هذا الرأي.

لكن ثمة خبيراً آخر يأتي بنقطة مهمة في هذا المجال. إنه رودني بريستون، استاذ التغذية في جامعة تكساس للتكنولوجيا، الذي ينتقد الرأي القائل باجتناب المآكل التي تحوي الكوليستيرول بحجة أن ارتفاع نسبة الكوليستيرول في الدم قد يؤدي الى أعطال قلبية. وهذه النتيجة، في نظر بريستون، تتغافل عن حقيقة ثابتة، ألا وهي حاجة الجسم البشري الطبيعي الى الكوليستيرول، وبالتحديد الى ألف مليغرام منه يومياً، علماً أن الجسم نفسه مسؤول عن تأمين الفرق بين الكمية المطلوبة والكمية المستهلكة. وفي أي حال، ينبغي أن نعرف أن ٨٥ غراماً من لحم البقر تحوي ٧٥ مليغراماً من الكوليستيرول.

الشحم بالارقام – هذا الموقف الايجابي يتبناه أيضاً جورج بريغز، استاذ التغذية في جامعة كاليفورنيا في باركلي والرئيس السابق لمعهد التغذية الامريكي وعضو فريق البحوث الذي اكتشف الفيتامين ب – ١٢. وهو وجد أن ٨٥ غراماً من لحم البقر الخالي من الدهن ينطوي على مقدار من الكوليستيرول لا يتجاوز ما تنطوي عليه كمية مماثلة من لحم الدجاج. ويضيف أن ٨ في المئة من السعرات الحرارية التي يجب أن يتناولها الذكر الطبيعي البالغ يومياً، وهي ٢٤٠٠ سعرة، تأتي من شريحة بقرية قليلة الدهن تزن ٨٥ غراماً. لكن هذه الكمية نفسها تحوي ٤٥ في المئة من البروتيين المطلوب يومياً، و٧٩ في المئة من الفيتامين ب – ١٢، و٣٨ في المئة من الزنك، و٢٦ في المئة من الحديد، و١٩ في المئة من النياسين.

ولكن ما الذي حرّك ذلك الجدل حول الشحم الحيواني في الولايات المتحدة؟

تعود المسألة الى العام ١٩٧٧، حين أصدرت لجنة مجلس الشيوخ للتغذية والحاجات البشرية – وقد هالها ارتفاع عدد الاصابات بأمراض القلب وسواها من العلل القاتلة – تقريراً يوزع السعرات الحرارية اليومية على أقسام، منها ما يأتي: ١٢ في المئة من البروتيين، ٣٠ في المئة من

الشحم (الذي بلغ معدله آنذاك ٤٠ في المئة)، ٥٨ في المئة من المواد النشوية والسكرية. وحذر التقرير من أن الاكثار من الشحوم، خصوصاً المركّزة، التي تأتي من طريق اللحوم وصفار البيض والزبدة والشحم، قد يؤدي الى السرطان وامراض القلب وارتفاع ضغط الدم وسواها من الامراض الفتاكة.

ثم أصدرت الحكومة الامريكية تقريراً عام ١٩٨٠ يشجع استهلاك المآكل الغنية بالدهن والكوليستيرول، ولكن بكميات معتدلة. وفي العام ١٩٨٢ أصدرت لجنة من ١٣ عالماً، بتكليف الاكاديمية الامريكية الوطنية للعلوم، تقريراً بعنوان: "الاكل والغذاء والسرطان". وفيه أنه يمكن خفض خطر سرطان الصدر والقولون (الجزء الاسفل من المعي الغليظ) عبر إنقاص الشحم من ٤٠ الى ٣٠ في المئة من مجمل السعرات الحرارية اليومية.

إلا أن مجموعة اخرى من العلماء راجعت تقرير ١٩٨٢ المذكور، بإيعاز من مجلس العلوم والتكنولوجيا الزراعية، فلم تعثر فيه على أي دليل يمكن اعتماده للقول بأن نمط الغذاء الامريكي غير سليم من حيث أخطار الاصابة بالسرطان. وأضاف اولئك العلماء أن "الطعام المغذّي يجب أن يحوي نسبة من اللحم الطازج في نظامهم الغذائي تعادل ما يتناوله الفرد الامريكي اليوم."

العلم يتحدى - من أعضاء ذلك الفريق الدكتور جوزف فيتال استاذ علم الامراض ومدير برامج التربية الغذائية في كلية الطب التابعة لجامعة بوسطن. وهو يقول ببساطة: "ليس من دليل على الاطلاق للقول بأن خفض معدل الدهن اليومي من ٤٠ الى ٣٠ في المئة قياساً على السعرات الحرارية اليومية يؤثر في الاصابة بالسرطان."

وبما يخص أمراض القلب، كتب ألفرد هاربر، الرئيس السابق للجنة الطعام والغذاء التابعة للاكاديمية الوطنية للعلوم في عدد ابريل (نيسان) من "المجلة الامريكية للتغذية السريرية"، أن اولئك المعرّضين لأمراض الشرايين التاجية يجب إخضاعهم لمعالجة شاملة دقيقة عوضاً عن معالجتهم السلبية بفرض نمط غذائي واحد على جميع المواطنين.

والواقع أن ٣٦ في المئة من الدهن في الاغذية الامريكية تأتي من طريق لحم البقر والطيور والاسماك، في حين أن ٤٢ في المئة تأتي من مصادر نباتية كالزيوت وصنوف المارغرين، أي السمن النباتي. وهذا يشير الى أن استخدام الزيوت والاسمان النباتية



KONISHIROKU PHOTO IND. CO., LTD.

Shinjuku Nomura Building, No. 26-2, Nishishinjuku 1-chome, Shinjuku-ku, Tokyo 160, Japan

بدلا من الحيوانية قد يكون سلبياً أكثر منه ايجابياً. وقد بينت الاختبارات الاخيرة على الحيوان أن الكميات الكبيرة من المركبات الكيميائية غير المشبعة من شأنها إضعاف مناعة الجسم الطبيعية وزيادة خطر السرطان.

ويقول الدكتور ريتشارد جونز، أمين لجنة الشؤون العلمية التابعة للاتحاد الطبي الامريكي، حول الزيوت النباتية: "اظهرت بعض الاختبارات المطبقة على الحيوانات ترابطاً بين هذه الزيوت والسرطان أقوى من الذي نراه بين الشحوم الحيوانية والسرطان."

ومهما يكن الامر، فيجدر أن نعرف الحقائق الآتية حول لحم البقر الخالي من الدهن:

□ ان لحم البقر مغذ قويّ وسهل الهضم بالقياس الى الخضر. ويتمّ هضم ٩٦ في المئة من العناصر المغذية التي ينطوي عليها ذلك اللحم، وبالتالي تمثّلها في الجسم.

□ إن ٨٥ غراماً من لحم البقر الشحيح الدهن تحوي مقداراً من الشحم أقل مما يُظن، مع ٤٨ في المئة فقط من الشحم المشبع.

□ اللحم الاحمر مصدر رئيسي للحديد. وفي كل ٨٥ غراماً من لحم البقر نسبة ٢٦ في المئة من كمية الحديد التي يحتاج إليها جسم الذكر البالغ يومياً. وهذا النوع من الحديد يمتصه الجسم على نحو يسهل من ثلاث مرات الى خمس مرّات عن امتصاصه أنواع الحديد الاخرى. وحديد الهيماتين هذا، الذي ينشأ عن انحلال الهيموغلوبين، يعزز فاعلية الحديد في المآكل الاخرى، مثل السبانخ.

□ إن ٨٥ غراماً من لحم البقر المشوي تنطوي على ١٦٩ سعرة، في حين أن الكمية نفسها من لحم الدجاج القاتم القليل الدهن تحوي ١٧٤ سعرة، بينما يحوي لحم الدجاج الابيض ١٤٧ سعرة، والسلمون المشوي ١٦٧ سعرة.

والآن يمكننا طرح هذا السؤال: "ما هي كمية لحم البقر التي ينبغي أن نتناولها؟"

يقول خبراء التغذية ان طعام المرء اليومي يجب أن يشمل وقعتين تنطوي كلّ منهما على ٨٥ غراماً من اللحم أو الطيور أو السمك أو الحبوب، بما في ذلك البقر والعجل والضأن والطير والسمك والاصداف البحرية والحبوب الجافة والبزور والجوز واللوز وزبدة الفستق.

ولا ننس أهمية التنويع على المائدة. وثمة عائلات أربع من الطعام هي، فضلا عن العائلة التي ذكرناها، الخضر والفاكهة، الخبز ومشتقاته، الحليب وتوابعه. ولكل منها طعمه ومنافعه. وقد سُئلت مقدمة برنامج غذائي ذائع الصيت على إحدى محطات التلفزيون الامريكية: "ما هو صحن العشاء المفضل لديك؟" فأجابت: "أنا من متذوقي اللحم الاحمر. وأظن أني أحتاج إليه لابقاء دورتي الدموية فاعلة ولوني حسناً وجسمي نشيطاً." والحق أن غالبية الناس تقرّ هذا الرأي.

■ جاك دنتون سكوت

أقسم الشاهدان انهما رأيا رفيقهما يغرق،
لكن محامي شركة التأمين اشتم
في القضية رائحة احتيال

العَائِدُ

صباح ٢٧ يوليو (تموز) ١٩٨١ اصطحب روبرت غرانبرغ (٤٩ سنة) اثنين من أصدقائه الى مكان على شاطىء نيوجرزي يدعى ساندي هوك. واستأجر الرجال الثلاثة مركباً يبلغ طوله خمسة أمتار. وجلس في مقدم المركب جوليان فاريبيل، وهو رجل أسود يعمل دهاناً. وفي الوسط جلس سلفاتوري رينيولا، وهو موظف في دائرة مكافحة الحرائق في مدينة نيويورك. أما غرانبرغ فاستقر في مؤخر المركب وانطلق به من ساندي هوك الى عرض البحر.

بعد ساعة شاهد بحارة أحد مراكب الصيد مركب الاصدقاء الثلاثة يطوف حول عوامة لارشاد السفن قبالة ساندي هوك. وكان فاريبيل ورينيولا وحدهما في المركب فأخذا يلوحان بأيديهما طلباً للمساعدة. وقال الرجلان أن غرانبرغ انزلق قبل عشر دقائق بينما كان هو ورينيولا يتبادلان مكانيهما، وما لبث ان سقط في الماء وتوارى عن الانظار. فعمد خفيرو الشاطىء الى البحث عنه جواً وبحراً فلم يعثروا له على أثر. فأعلن انه في عداد المفقودين واعتبر ميتاً.

في شهر أغسطس (آب) قدمت جودي غرانبرغ زوجة روبرت طلباً الى شركة "موني" للتأمين تطالب بمبلغ ١١٠ آلاف دولار تعويضاً عن وفاة زوجها في ذلك الحادث. فاتصل قسم الحوادث بمكتب التحقيقات الذي أضاف الى الملف تقريراً رسمياً.


روبرت غرانبرغ·

وذهبت موظفة في القسم نفسه الى جيري آلن مار وأوصته بأن تدفع الشركة قيمة التأمين كاملة· وكان مار (٣٨ سنة) المستشار القضائي في الشركة، ولم يكن يعوز إنجاز المعاملة سوى موافقته·

عندما قرأ مار موجز القضية وجد أن غرانبرغ اشتغل ذات مرة تحرياً سرياً ولا بد من انه اكتسب بعض الخبرة في شؤون التأمين· ومن ثم عمل محققاً في قسم حقوق الانسان التابع لولاية نيويورك· وفي العام ١٩٧٩ توقف عن العمل بعد إعلانه اصابته بمرض في قلبه وآلام في ركبتيه· وبات يحصل على ١٨٠ دولاراً في الاسبوع تعويضاً للبطالة وعلى ١١٦٢ دولاراً في الشهر من إحدى شركات التأمين تعويضاً لعجزه عن العمل· وأتاح له هذا الدخل ان يؤمن على حياته في ست شركات تأمين بمبلغ مجموعه ٦٠٠ ألف دولار· وكان من بين هذه التأمينات عقد بقيمة ٢٥٠ ألف دولار استصدره قبل اختفائه بأربعة اشهر· وورد في هذا العقد انه لا يسري الا في حال الوفاة الناجمة عن حادث باحدى وسائل النقل، كالمركب مثلا·

ألقى مار نظرة على الملخص وقال: "إن الرجل لا يزال حياً·"

وحاول زملاء مار اقناعه باعادة النظر في موقفه، فقالوا إن ركبتي غرانبرغ ربما كانتا السبب في سقوطه· وأضافوا ان وضع قلبه يمكن ان يفسر عجزه عن الصراع للوصول الى سطح الماء· والى ذلك فهم لا يتذكرون أي قضية اختفاء توافر لها شاهدان·

غير ان مار أصر على رأيه قائلا: "إنه تحر"، وهو يعلم ما ستفترضونه·"

التباس مريب - حصلت جودي غرانبرغ كتعويض عن وفاة زوجها على مبلغ ١٧٨ الف دولار من أربع شركات تأمين وعلى ٨٠٠٠ دولار من الحكومة الامريكية وعلى ٢٠،٥٠٠ دولار كتعويض وفاة من ولاية نيويورك· وقد رفضت شركتا تأمين اعتبار الوفاة ناجمة عن حادث وامتنعتا عن دفع ما يبلغ مجموعه ٣٠٠ ألف دولار، بحجة ان غرانبرغ أصيب بسكتة قلبية عند سقوطه مما أدى الى وفاته على نحو طبيعي· وكانت شركة "موني" الوحيدة التي امتنعت عن الدفع بحجة ان غرانبرغ لا يزال حياً· وبناء على تعليمات مار، سأل أحد المحققين الشاهدين اذا كانا

ستيريو "آلاكارت"

أجزاء قابلة للفصل، سماعات أذن، مكبرات صوت متعددة إلخ.. إلخ.. سانيو وحدها تعطيك أجهزة الستيريو النقالة ذات الجودة بأحجام وأشكال وموديلات متعددة... فقط سانيو.



MV45K راديو/ كاسيت ٤ موجات، معادل بياني، مكبرات صوت قابلة للفصل، AMSS

M7760K راديو/ كاسيت ٤ موجات، معادل بياني، AMSS

MS200F راديو/ كاسيت موجتان، سماعة أذن أو مكبرات صوت قابلة للفصل.

MG38DT جهاز ... ، مكبر صوت مبيت، عكس أوتوماتيكي للشريط ... "، جهاز موالفة الراديو FM ، AM

M7740K راديو/ كاسيت ٤ موجات، ٦ مكبرات صوت ... AMSS

يوافقان على الخضوع لاختبار كاشف الكذب. فرفض الرجلان كلاهما.

في أغسطس (آب) ١٩٨٤ أقامت جودي غرانبرغ في محكمة ريتشموند العليا دعاوى على شركتي التأمين اللتين رفضتا اعتبار الوفاة ناتجة عن حادث وعلى شركة "موني".

في شهر ديسمبر (كانون الاول) من السنة نفسها أقامت شركة "موني" مأدبة عشاء. فجلس مار الى جانب بول بيرد (٣٥ سنة) وهو محقق انضم الى الشركة قبل فترة قصيرة جداً. وكان بيرد عمل مثل غرانبرغ تحرياً خاصاً. فسأله مار كيف يمكنه معالجة قضية مماثلة لقضية غرانبرغ. فأجاب انه ينبغي الحصول على كل المعلومات حول المدعو روبرت غرانبرغ.

وفي ما بعد أرسل مار في طلب بيرد الى مكتبه وأعطاه ملف غرانبرغ وقال له: "إن غرانبرغ على قيد الحياة وعليك أن تجده."

بدأ بيرد عمله بالذهاب الى المكتبة العامة حيث رجع الى أدلة الهاتف القديمة وعثر على عناوين إقامة غرانبرغ السابقة.

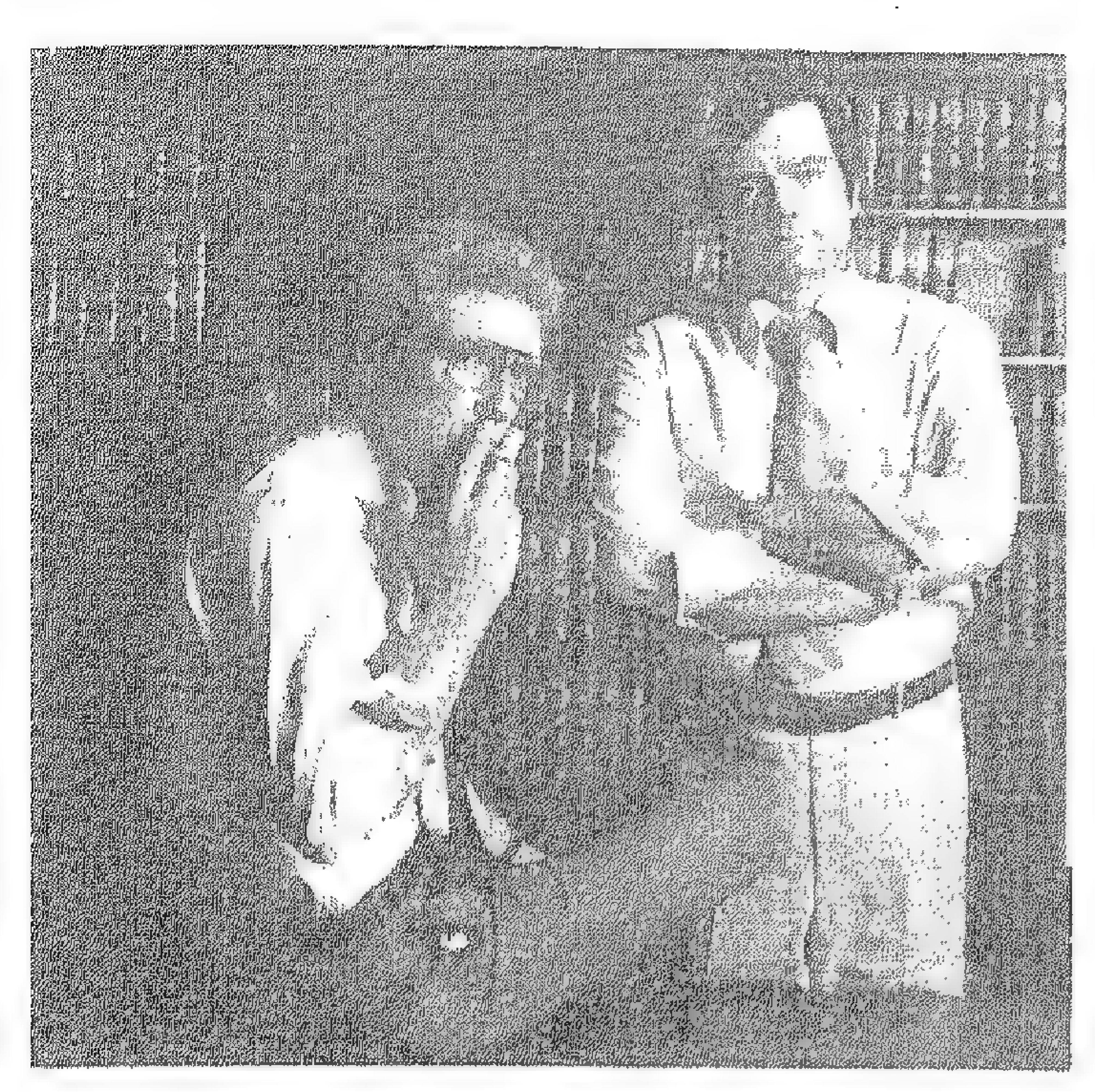
ثم انتقل بيرد الى الدوائر الحكومية في منهاتن حيث اطلع على الطلب الذي قدمه غرانبرغ للحصول على إجازة العمل كتحر خاص. وأخذ صورتين من ملفه. وقادته معلومات في الملف نفسه الى بروكلين حيث مؤسسة "مودنغر" لدفن الموتى. وأخبره المدير ان المؤسسة تولت دفن ريتشارد غرانبرغ شقيق روبرت في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٢، وأن التباساً حصل في ما يتعلق بهويته.

تقفي الآثار – ذهب بيرد الى مؤسسة "دانتي" للتحقيق في منهاتن وتأكد ان غرانبرغ عمل فيها وتولى بعض قضايا التأمين. ومن ثم استأجر المحقق زورقاً وأخذ يطوف في منطقة ساندي هوك، فرأى طائفة من الممرات المائية الضيقة المفضية الى الغابة يستطيع المرء فيها النزول من المركب بسهولة تامة. ثم قصد ربان أحد مراكب الصيد فأخبره أنه رأى رجلين من البيض وآخر أسود يتحدثون الى امرأة في سيارة قبيل انطلاقهم بالمركب. فخطر للمحقق بيرد أن هؤلاء الرجال الثلاثة لا بد أن يكونوا غرانبرغ وصديقيه.

تحدث بيرد أيضاً الى بعض جيران غرانبرغ في جزيرة ستاتن. فتذكروا أنه رجل جسيم متجهم الوجه كان من عادته الجلوس على شرفة منزله وهو يحمل مسدساً. لكنهم أخبروه أن جودي وولديها انتقلوا الى مكان آخر.

وذهب بيرد الى دائرة تسجيل السيارات فوجد ان سيارة العائلة سجلت باسم جودي برنت. وكشف على سجل إجازات القيادة فعرف انها غيرت اسم عائلتها الى برنت. واكتشف انها اشترت سيارة "مرسيدس – بنز" ثمنها ٥١ ألف دولار، وسجلتها على عنوان في كورنوول، ولاية نيويورك. فركب سيارته وتوجه شمالاً.

جعل بيرد يراقب يومياً الطبقة التي تسكنها جودي وولداها. وفي ١٦ يونيو (حزيران) شاهد شاحنة تتوقف



المحقق بول بيرد والمستشار القضائي جيري آلن مار.

قرب المكان. وبعد تحميلها تبعها بيرد الى مستودع، يبعد ١٣ كيلومتراً، وعندما أيقن ان السائق غادر الشاحنة صعد اليها وأخذ ينعم النظر في ما يجده من محتويات. فعرف من بيان البضاعة أن الشاحنة في طريقها الى بارنغفتون درايف في سان انطونيو، ولاية تكساس.

طار بيرد الى سان انطونيو وشرع يراقب المكان مدة يومين. إلا ان غرانبرغ لم يواف زوجته. فرجع بيرد الى نيويورك.

تفاصيل الخطة ـ جلس مار في مكتبه في منهاتن يراجع تقارير بيرد، فاتضح له انه لا يملك بعد أي دليل يثبت للمحكمة ان غرانبرغ لا يزال على قيد الحياة. فقرر ان الوقت حان لمواجهة جودي غرانبرغ. واتيحت له هذه الفرصة عندما ظهرت جودي في مكتبه لتدلي بشهادة، فأقسمت على صحة ما كانت روته. غير أنها ذكرت في أثناء كلامها ان أرملة ريتشارد شقيق غرانبرغ تعيش في بورتو ريكو. فطار بيرد الى بورتوريكو والتقى نينا غرانبرغ. فنظرت إليه نظرة واحدة وقالت: "أنا أعلم لماذا أنت هنا. انت هنا لتسأل عن بوب غرانبرغ."

وأخبرته نينا قصة بدأت أحداثها قبل سنة من اختفاء روبرت غرانبرغ. فقالت إن روبرت أتى الى بورتو ريكو عام ١٩٨٠ وطلب من أخيه ريتشارد مساعدته في إيجاد شخص يسعفه في تدبير حادث يتسبب فيه مركب. وعلى رغم إصغاء زوجها الى خطة روبرت فانه رفض الاشتراك فيها.

وفي أبريل (نيسان) ١٩٨١ رجع

روبرت. وأضافت نينا أنه عرض هذه المرة على ابن اخيها مبلغ عشرة آلاف دولار لينضم الى المؤامرة فرفض. غير ان روبرت رجع الى نيويورك وفي جيبه شهادة ولادة أخيه. وبعد ثلاثة أشهر اتصلت جودي وأخبرت نينا بالحادث الذي وقع قبالة ساندي هوك.

في شهر اكتوبر (تشرين الاول) من السنة نفسها قدم ريتشارد ونينا الى مدينة نيويورك لأغراض شخصية وزارا جزيرة ستاتن. وعلمت نينا في ما بعد ان روبرت غرانبرغ لا يزال حياً وانه انتحل هوية زوجها. لذلك، عندما دخل ريتشارد مستشفى روزفلت في السنة اللاحقة بسبب إصابته بالسرطان، استعمل اسمه المستعار جيمس كيلي. وقبل موته بيوم واحد حثت جودي زوجته نينا على دفنه باسم جيمس كيلي ليتسنى لروبرت المضي في انتحال هوية أخيه، فرفضت نينا.

وهكذا اكتملت التمثيلية التي ظل جيري مار يجمع اجزاءها مدة سنتين.

الاعتراف – في ١١ أغسطس (آب) أرسل بول بيرد في مهمة الى الجزء الشمالي من ولاية نيويورك. وبينما كان عائداً الى بيته عرّج على الفندق الواقع قرب كورنوول والذي زعمت جودي أنها تعمل فيه. وكان بول قصده قبل ثلاثة أشهر من دون أن يرى فيه أثراً لها.

شاهد بيرد هذه المرة سيارة "فورد غرانادا" سوداء واقفة في المرآب وعليها لوحة من ولاية وايومنغ. وتذكر ان غرانبرغ كان يقتني سيارة "غرانادا" سوداء وان جودي ذكرت في أثناء شهادتها ان أخاها سكوت نايشتات يعيش في وايومنغ. فذهب بيرد الى ردهة الفندق وأخرج من جيبه صوراً للتحري السابق روبرت غرانبرغ.

نظر موظفو الفندق الى الصور وقالوا: "هذا السيد نايشتات." ولكن حين خرج بيرد الى المرآب كانت سيارة الغرانادا غادرت المكان.

انتظر بيرد في الفندق الى منتصف الاسبوع، إلا ان غرانبرغ لم يعد، فرجع الى بيته. وفي يوم السبت مر على مار في بيته ثم توجها معاً الى الفندق.

ولما وصلا في الاولى بعد الظهر كانت الغرانادا رجعت الى المرآب ووقفت قربها سيارة "مرسيدس" رمادية. فاستأجرا غرفة تشرف على المرآب واتصلا بالشرطة.

وما لبث رجال الشرطة ان اتوا الى الفندق وأخذوا يراقبون المرآب. وقال لهم مار إنه سوف يخرج الى الشرفة ويصب كوباً من الماء عندما يرى غرانبرغ.

في السابعة والدقيقة الخامسة نظر مار الى أسفل فرأى رجلا جسيماً يمشي بخطى واسعة نحو سيارة المرسيدس، فخرج الى الشرفة وصب كوب ماء.

وفيما أقلعت المرسيدس في طريقها الى المخرج اعترضتها سيارة للشرطة وسمع مار صوتاً يقول: "الشرطة! لا تتحرك!" فنزل مار مسرعاً ووجد الرجل مكبلا.

نظر مار الى وجه الرجل وقال: "أنت بوب غرانبرغ، أليس كذلك؟" فقال: "نعم، أنا ذلك الرجل."
اعتقل روبرت وجودي غرانبرغ بتهمة التزوير وذهب رجال الشرطة الاتحادية للقبض على فاريل ورينيولا.
واعترف غرانبرغ بانه قرر تنفيذ فكرته بعدما حال التأخير في إنجاز المعاملات دون حصوله على تعويضه على أثر عجزه عن العمل. وأضاف ان خوفه المستمر من ان يقبض عليه جعله يفكر في تسليم نفسه الى القضاء والادعاء انه فقد ذاكرته. غير انه آثر ان ينقل عائلته الى سان انطونيو. لكنه لم يجد هناك مدرسة ملائمة، كما انه خشي ان يضر الغبار الذي يعم المنطقة بصحة ولديه المصابين بمرض الربو، فعزم على الرجوع بالعائلة الى شمال نيويورك.
وهناك وجد ان جيري مار كان له بالمرصاد مما اضطره الى العودة الى ربوع الاحياء.
ويقول غرانبرغ: "لا يمكنني ان ازعم اني لم أفعل ذلك، لأني كنت في عداد الاموات وها أنا الآن جالس أمامكم. وأظن انكم تستطيعون القول إني مرتاح جداً."
في ٢٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣ اعترف روبرت وجودي غرانبرغ بالتهمة الموجهة اليهما.

■ مايكل دالي



نسي امه

أعطى واعظ نصيحة الى زميل مبتدىء ليلجأ اليها اذا هو لاحظ الضجر على وجوه المستمعين: "الطريقة التي أعتمدها للفت أنظارهم هي أن أقول لهم فجأة: "ليلة أمس ضممتُ امرأة رجل آخر بين ذراعي"." وما أن تشرئبّ الاعناق حتى أقول: "والواقع ان تلك المرأة هي امي العزيزة بالذات."
وسُرّ الواعظ المتمرن بما سمعه، وقرر المحاولة. واذ لاحظ ان النعاس يكاد يأتي على معظم الحضور يوم الاحد التالي، أعلن فجأة بصوت جهوري: "ليلة أمس بالذات ضممتُ امرأة رجل آخر بين ذراعيّ." وبينما وقف الكل مذهولا، تابع صاحبنا: "اعذروني... لقد نسيت من هي."

ك.ر.

رسالة مقدسة

في عيد الامهات الاخير غصّ صندوق البريد خارج منزل رالف ودوريس واغنر من بلدة هارفرد في ولاية ايلينوي الامريكية بنحو ٦٠٠ بطاقة ورسالة، كما تلقى الزوجان مخابرات هاتفية لا تُحصى من الاشخاص الـ٩٩ الذين توليا تربيتهما طوال السنوات الثلاث والثلاثين الفائتة.
وقد ارتأت دوريس التقاعد اخيراً من هذه الوظيفة. ولكن بعد شهرين من القعود عن العمل قالت تلك الام الفاضلة، وهي في السادسة والخمسين: "اني لم أتحمل الهدوء. لذلك استأنفت استقبال الاطفال الذين أعطوا حياتنا معناها عبر هذه السنوات."

صحيفة "لوس انجلس تايمس"

مع تقدم وسائل التسويق والتشويق بات في الامكان، في بعض البلدان، شراء كل شـيء حتى الطعام... بالمراسلة

التجارة بالمراسلة

أولادنا الاعزاء،

عيد الميلاد هذه السنة مرهون كلياً بساعي لبريد. وطوال العطلة لن نحتاج الى الذهاب بعد من المنزل لشراء أي شيء. هناك قوائم مثيرة تعرض علينا شراء السلع بالمراسلة أسلوباً كان يتبعه المزارعون في الماضي. إن هذه القوائم فعالة حقاً وتمنحنا شعوراً جميلا بالرفاهية. نأمل في هذا العيد أن توزع الهدايا في الوقت المناسب وهي مغلفة في شكل جميل، بل سيكون من الممكن إبدالها إذا لم تعجب أصحابها. ستكون هذه العطلة من أفضل العطل التي مرت علينا، والفضل والشكر لقوائم البيع بالمراسلة.

والداكم المحبان

تهتم قوائم بيع السلع بالمراسلة بكل ما يمكن ان يحتاج إليه المشتري الامريكي تقريباً. وهي تمثل عنصراً مهماً في إقتصاد الولايات المتحدة. إنها تعرض سلعاً مختلفة، بدءاً بولاعات السجائر ووصولا الى حجز معقد في أول رحلة للمكوك الفضائي.

يقول ماكسويل سروج، أحد الاستشاريين المعروفين في هذا المجال في كولورادو سبرينغز، إن أكثر من خمسة مليارات قائمة تم إرسالها بالبريد في العام ١٩٨٢، أي ان كل منزل أمريكي تسلم ما معدله ٤٠ قائمة سنوياً. أما المشتريات التي تمت من خلال هذه القوائم فقدرت بأربعين مليار دولار. وفي ١٩٨٣ بلغت قيمة المبيعات البريدية للمأكولات وحدها ٧٠٠ مليون دولار. وتشكل التجارة بالمراسلة ١٢ في المئة فقط من الالف مليار دولار من المبيعات. لكنها تزيد بنسبة ١٢ في المئة سنوياً، أي أسرع بخمس مرات من الشراء المباشر من البائع. لذلك يتوقع أن تشكل المشتريات بالمراسلة في العام ٢٠٠٠ ثلث السلع المبيعة في الولايات المتحدة عموماً.

يختار مصممو هذه القوائم أجمل عارضات الازياء لترويج بضائعهم المختلفة، كالدنتيلا والانسجة

الصوفية والاحذية وسراويل الجينز· وهناك مئة وكيل يعملون طوال السنة في مؤسسة "هورشوز" للازياء، مهمتهم البحث عن البضائع المختلفة التي توحي بالراحة والاناقة·

أما كتب المبيعات التقليدية، مثل "سيرز" و"روبك" و"مونتغومري وارد"، فتعرض كل أنواع السلع على الزبائن· وأما الاتجاه الجديد فهو نحو قوائم أصغر حجماً وأقل كلفة وأكثر تخصصاً·

طعام بالمراسلة – كبيرة كانت أم صغيرة، بسيطة أم مزخرفة، هذه القوائم يجب أن تتسم دائماً بطابع الرفاهية: شمعدانات، صواريخ، جوارب، آلات تحميص البن، حماصات الخبز الكهربائية، لحم الجاموس، حجال مثلجة، إجازات في الريف، نظارات شمسية للكلاب·

ويكمن سر نجاح هذا الاسلوب التجاري في اختيار السلع المناسبة وتضمينها كتاباً صغيراً·فقد تعرض عليك الصفحات المختصة بالرياضة مثلا عربة غولف حمراء أنيقة بمبلغ سبعة آلاف دولار، بينما يعرض عليك الكتاب نفسه عقداً لتزين به عنق كلبك لا يزيد ثمنه على ١٥ دولاراً·

وهناك القوائم التي تعرض على القارىء شراء الطعام بالمراسلة، فتقدم كل ما يمكن أن يخطر في البال من الاطباق المختلفة· وقد اشتهر الثنائي هاري وديفيد هولمز من مؤسسة "مدفورد" في هذا المجال· ففي أثناء الازمة الاقتصادية وجدا فرصة سانحة لبيع المأكولات الى الخارج حينما خف الطلب الداخلي عليها· وكان أن نجحا في هذا العمل فأكسبا المؤسسة تجارة كبيرة بلغ رأسمالها ١١٠ ملايين دولار·

أما القوائم المختصة ببيع السلع الالكترونية بالمراسلة فهي في نجاح مستمر، ويبلغ رأسمال هذه التجارة ١٢ مليون دولار ويملكها جوزف شوغرمان الاختصاصي بهذا المجال· وهو يعرض على القارىء مثلا شراء هاتف يصلح استعماله في الطائرات، ورجل آلي يحرك حجار الشطرنج، وأنواع مختلفة من أجهزة التحكم من بعد·

وتشكل النساء العاملات نسبة كبيرة من مستهلكي هذه السلع· وهن حصلن على غالبية الوظائف في الولايات المتحدة بين ١٩٧٢ و١٩٨١· فقد شغلن ١٢ مليون وظيفة من بين ١٨ مليون وظيفة جديدة· وكانت النتيجة سيولة شرائية أكبر، ووقتاً أضيق ايضاً؛خصوصاً ان النساء لا يزلن يقمن بمعظم أعمال التسوق·

حسنات ومساوىء – يجد الاشخاص الذين يشترون معظم حاجاتهم بالمراسلة أن هذا الاسلوب يعطيهم مجالا أكبر للمقارنة، كما يمنعهم من التسرع في الشراء· لكن السبب الحقيقي لنجاح هذا النوع من التجارة هو إمكان إرجاع المال اذا لم تعجب السلعة مشتريها· وقد اعتمدت مؤسسة "ارون مونتغومري وارد" هذا الضمان قبل اكثر من مئة سنة·

غير أن عملية الشراء بالمراسلة لا تخلو من الاخطار، كما أنها لا تحل

مكان طريقة الشراء التقليدية حيث يمكن الشاري معاينة السلعة ولمسها وربما تجربتها. ويشكو كثير من الزبائن من عدم إعلامهم سلفاً بتاريخ التسليم أو بامكان تأخره. كما ان الدماغ الالكتروني المختص يمكن أن يعقد أبسط طلبات الشراء، في حين ان البائع في المخزن يسدي النصح للزبائن فيحملهم على الشراء أو يثنيهم عنه. كما يمكن شراء الاجهزة الكهربائية الكبيرة كالبرادات ومكيفات الهواء مباشرة من البائع المحلي بكلفة أقل.

والنجاح الكبير الذي أحرزته التجارة بالمراسلة تم بمساعدة الدماغ الالكتروني. وتملك المخازن الكبرى مثل "نيمان ماركوس" و"ساكس" أدمغة إلكترونية تزودها بالمعلومات اللازمة حول عادات زبائنها. عند ذلك يصبح في الامكان تحضير قوائم تضم السلع المرغوب فيها أكثر من غيرها. وقدرت مبيعات "سيرز" البريدية بنحو ٣،٧ مليارات دولار في العام ١٩٨٢. وهي تعتبر كبرى شركات البيع بالمراسلة، إذ تملك ١٨ نوعاً من القوائم التي يراوح اختصاصها بين ثياب الغرب الامريكي وأدوات العمل المختلفة والالعاب. ويجد ريتشارد هودغسن، أحد مستشاري تسويق السلع بالمراسلة، أن استخدام الدماغ الالكتروني في هذا المجال يمكن ان يرفع نسبة التجاوب مع كل قائمة مرسلة من ٢ في المئة الى نحو ١٠ في المئة.

وفي وسع الزبائن طلب حاجاتهم من ولاية الى أخرى على أرقام هاتفية مجانية تعمل ٢٤ ساعة يومياً. وبهذه الطريقة أصبحت البضائع المرسلة بالبريد قليلة جداً. وتتولى "مصلحة الطرود المتحدة" توزيع جميع الطرود البريدية في الولايات المتحدة، ويبلغ حجم شحناتها السنوية ١،٦ مليار طرد.

ويتجه التفكير الآن نحو تلفزة القوائم. فقد وضعت مؤسسة "سيرز" قائمة تعرض فيها بضائعها لصيف ١٩٨١ على اسطوانة فيديو كامتحان لهذه التكنولوجيا الحديثة. وقد سجلت "سيرز" ٥٥٠٠ صورة و١٧ شريطاً متحركاً. وهكذا يمكن الشاري أن "يتصفح" هذه الصور على شاشته الصغيرة فيختار ما يناسبه منها. ويرى الاختصاصيون بالتسويق أنه سيصبح في إمكان المرء شراء جميع ما يحتاج إليه عبر جهازه التلفزيوني. ولكن لا شك في أن القوائم العادية ستبقى متوافرة الى جانب القوائم المتلفزة.

أولادنا الاعزاء:

كونوا على استعداد للمفاجاة التي تنتظركم في منزلنا يوم عيد الميلاد. سيفتح لكم الباب صديق لطيف اسمه جينوس. إنه رجل آلي يمكنه تنظيف المنزل وحراسته وتأدية دور الخادم الشخصي. هذا ما يؤكده لنا كفيله هاماشر شليمر. انه يفتح الباب ويقدم المشروبات ويصرخ في حال شبوب حريق. هذا جميل أليس كذلك؟ وثمنه ٧٩٩٥ دولاراً!

أيتها القوائم التجارية، إننا نحبك!
والى اللقاء في عيد الميلاد.

والداكم المحبان

■ مجلة "تايم"



سبق صيني آخر في العلم والاختراع

معظم الطلاب هذه الايام يعرفون ان النظام الحسابي الثنائي يتيح اختصار كل الارقام الى سلاسل مؤلفة من صفر وواحد فقط. فالجهاز الذي يجري العمليات الحسابية الالكترونية لا يتعين عليه سوى التمييز بين حالين: ظهور "١" واختفاء "٠".

وهكذا فان الارقام: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩ تمثلها الاعداد الثنائية: ١، ١٠، ١١، ١٠٠، ١٠١، ١١٠، ١١١، ١٠٠٠، ١٠٠١ وفق الترتيب نفسه.

لكن هؤلاء الطلاب لا يعرفون ان أقدم مثال للترقيم الثنائي، الذي هو اساس لغات الادمغة الالكترونية الحديثة، بدأ قبل ٥٠٠٠ سنة حين

وضع العالم الصيني فو ـ كسي كتابه "آي تشنغ" او "كتاب المتغيرات"٠ يأخذ عراف صيني ٥٠ سويقة من نبتة مزهرة، فيطرح منها واحدة ثم يقسم المتبقي حزمتين٠ وعلى نهج طقس قديم ومعقد يواصل طرح السويقات حتى يبقى بين يديه ما يمثل القيم ستة أو سبعة أو ثمانية أو تسعة٠ يسجل الارقام الشفعية كخط متقطع يمثل "ين" والارقام الوترية (★) كخط متصل يمثل "يانغ"٠ وبعد تكرار العملية خمس مرات اخرى ينتهي الى شكل سداسي هو واحد من٦٤ شكلا ادرجت في كتاب "آي تشنغ"٠

اكتشف الفيلسوف والعالم الرياضي الالماني غوتفريد فيلهلم لايبنز الترقيم الثنائي قبل نحو ٤٠٠ سنة٠ وهو ايضاً رأى مغزى روحياً خفياً في ازدواجية الحساب الثنائي: فما اطلق عليه فو ـ كسي اسم "ين" عرفه الفيلسوف الألماني بالفراغ الكوني، اي اللاشيء، اي الصفر٠ أما "يانغ" فقد اعتبره الله، الواحد٠

وفي ١٦٩٤ صنع لايبنز آلة جمع ثنائية دعاها الحاسبة المدرّجة، تنجز عمليات ضرب وقسمة وتحل الجذور التربيعية٠ وهي النموذج البدائي للحاسبات الحديثة٠

بعد مضي ست سنوات تلقى لايبنز رسالة غير عادية من الصين أرسلها اليه مبشر يدعى يواكيم بوفيت٠ وتضمنت الرسالة شرحاً للتشابه الغريب بين اعمال لايبنز وعلم الترقيم الوارد في كتاب "آي تشنغ"٠ واوضح بوفيت ان كل شكل من الاشكال الاربعة والستين يوافق رقماً ثنائياً بين الصفر والرقم ٦٣٠ وتحمس لايبنز لهذا التشابه حتى انه ارسل الى الامبراطور كانغ ـ هسي، الذي اشتهر برعايته الفنون والعلوم الصينية، كتاباً ضمنه دراسته في الحساب الثنائي٠ لكن الامبراطور كان ينظر باحتقار الى كل ما يرد عليه من الغرب٠ ولم يتحقق الا في اواخر الاربعينات من هذا القرن، وبعد اختراع آلات التحويل المصغرة التي عرفت باسم "ترانزستور"، ان اصبح العدد الهائل من عمليات الحساب الضرورية للنظام الثنائي امراً عملياً٠

معظم الادمغة الالكترونية اليوم يحول المعلومات سلاسل من ثمانية منازل٠ ومع ان مجموعات من ١٦ او ٣٢ منزلة اضحت الآن متوافرة ويمكن في النهاية ان تحل مكان المنازل الثماني الأبطأ، فان هذه يمكن ان تهيأ في ٨٤٢٥٦ طريقة، اي ما يكفي من المجموعات ليمثل كل حرف ورقم ونقطة وفاصلة في الترجمة الانكليزية لكتاب "آي تشنغ" وفي التعليمات اللازمة لطباعتها٠

وكما ادرك فو ـ كسي قبل ٥٠٠٠ سنة، فان طبيعة الكون ذاتها يمكن التعبير عنها بالترقيم الثنائي٠

■ "آسيا ويك"

(★) الارقام الشفعية هي التي تقسم على ٢ من غير باق، مثل ٢ و٤ و٦٠ والارقام الوترية هي غير الشفعية، مثل ٣ و٥ و٧٠

مشكلة اتباع الطريق الوسط ان الآخرين يأتون عليك من اليمين ومن اليسار٠

ك٠د٠

أولمبياد المعاقين





هذه الالعاب الخاصة بالمتخلفين عقلياً لا تترك بين المشتركين خاسراً واحداً، فجميعهم رابحون

يدخل ٤٣٠٠ رياضي الملعب الكبير رافعين اعلام الولايات المتحدة واعلام ٥٠ دولة اخرى، وهم يبتسمون ويلوحون بأيديهم لستين الف مشاهد. بعد ذلك يتولى عداؤون من اليونان واليابان وتشيلي وكينيا واوستراليا نقل مشعل حول باحة الملعب من يد الى يد حتى يصل الى الشاب فريدي لي (١٩ عاماً) من مدينة زاكاري في ولاية لويزيانا. ويتسلق فريدي درجات سلم الملعب اثنتين اثنتين حتى يبلغ القمة. هناك يقف رافعاً المشعل الملتهب. وفيما الهتاف يصم الآذان يشعل الشاب المرجل الضخم. واذ يخيم الصمت على جمهور المشاهدين،

يعلن عضو مجلس الشيوخ ادوارد كنيدي بدء الالعاب رسمياً.

وجلي ان هذه ألعاب أولمبية. بيد انهافي الواقع اكثر من ذلك، انها ألعاب سحرية حقاً. تلك هي الدورة السادسة للالعاب الاولمبية الدولية الصيفية الخاصة، التي اقيمت طوال خمسة ايام في جامعة لويزيانا الرسمية في باتون روج. وهي تلخص المثل العليا اليونانية في المشاركة والاخوة والفرح، وتضم ١٣ مباراة رياضية منها الفردي والجماعي. انها تمثل الذكرى الخامسة عشرة للالعاب الاولمبية الخاصة، وهي برنامج دولي للتدريب والتنافس الرياضيين للاولاد والبالغين المعاقين عقلياً. وكانت مؤسسة جوزف كنيدي الابن باشرت هذه الالعاب عام ١٩٦٨ (★).

والدعم الحماسي المتدفق الذي حظيت به ألعاب الصيف الماضي التي ساهم فيها ٥٠٠٠ متطوع و٣٧٠٠ شخص من الآباء والامهات و١١٠٠ مدرب، جعلها تختلف اختلافاً عظيماً عما كانت في ايامها الاولى. يقول هيرب كرامر مدير المواصلات في الالعاب الاولمبية الخاصة: "كثيرون، بمن فيهم بعض الخبراء في هذا الحقل، كانوا يعتقدون ان المتخلفين عقلياً لن يقدروا على العدو في سباق الـ٣٠٠ متر. وكانوا يقولون: "سيصابون جميعاً بنوبات عصبية" او "سيسهون عما هم فاعلون".

اما اليوم فان ما يزيد على مليون رياضي من انحاء العالم، من السن الثامنة وما فوق، يشتركون في البرنامج الذي يستغرق سنة كاملة. ويظهر اعتزازهم وتصميمهم صورة ايجابية جديدة للمعاقين، تربطهم بالنجاح بدلا من الاخفاق. ويقول آرنولد شفارزينيغر الاختصاصي بتنمية الجسد: "انهم يملكون الكثير من قوة الارادة والحافز". وهو واحد من عشرات الرياضيين واعلام الترفيه المتطوعين. ويضيف: "جئت لكي اساعد في الهامهم، واذا بي استمد منهم الالهام".

قصص مؤثرة – اشترك سبعة رياضيين من مصر وخمسة من المغرب في الالعاب الدولية هذه. وتركز الاهتمام على التنافس وليس على الربح. وصنف الرياضيون في الالعاب المختلفة على اساس انجازاتهم المؤهلة، وفرزوا وفقاً للسن والجنس والقدرة الرياضية. واولئك الذين لم يفوزوا بميداليات منحوا أشرطة، وكرم كل واحد منهم. ومع ذلك حقق الرياضيون المصريون – وكلهم من القاهرة – نتائج ملفتة. فربح كل من حسن عادل احمد (١٩ سنة) ومحمود محمد محمد (١٣سنة) وصالح أشرف محمد (١٢ سنة) ميدالية ذهبية في قذف الكرةوالغطس ورمي القرص. كذلك ربح محمود محمد محمد ميدالية فضية في سباق الـ٢٥ متراً. وربح مصريان آخران ميداليتين فضيتين وأخرى برونزية.

(★) جوزف كنيدي الابن هو الابن البكر لجوزف كنيدي السفير الاسبق للولايات المتحدة في بريطانيا، اشقاؤه جون، الرئيس الامريكي الاسبق، والسناتور الراحل روبرت والسناتور الحالي ادوارد، اخته الكبرى يونيس كنيدي شرايفر، واخته روزماري ولدت متخلفة عقلياً.

ويعمل مدربهم الرئيسي احمد فؤاد توفيق في مركز مطرية للتخلف العقلي الذي يؤمه ٢٥٠ شابا، ويقول: "اعتبرهم جميعاً اولادي".

وتفوق الرياضيون المغربيون كذلك. فربح آية شاعر رشيد (١٩ سنة) ميدالية ذهبية بقطعه سباق الميل في وقت ممتاز هو ٤ دقائق و٥٢،٣ ثانية. وربح فلفوزا يوسف (١٩ سنة) ميداليتين فضيتين في سباقي الـ٢٠٠ والـ٤٠٠ متر وميدالية برونزية في سباق الـ٥٠ متراً. وفاز فليسلي حسنية (١٦ سنة) بميدالية فضية في المباراة الخماسية.

والقصص المؤثرة التي عرفت عن هذه الالعاب تكاد توازي عدد الرياضيين:

- حقق السباح النيوزيلندي كولين بايلي (٢١ سنة) اعظم لحظة في حياته باحرازه ميدالية برونزية في السباحة ٢٥ متراً على الظهر. وكان قضى عشر سنين ليتعلم السباحة.
- أهدى العداء الاوسترالي بول وليمس (٢٢ سنة) ميداليته الفضية الى صديق شاب معاق في سيدني كان توفي اخيراً.
- ربحت لاعبة الجمباز بولي لين أوبرغ (١٩ سنة) من غرينسبورغ في بنسلفانيا ميداليتين ذهبيتين تقديراً لحركاتها الممتازة. ويقول الاطباء انها عند ولادتها كانت مصابة بمرض عضال مع انحراف في بنية الوركين، وكان يحتمل الا تمشي ابداً.

الرابح السادس – في قاعة السباحة وقف جون هنري بيتش (٢٢ سنة) على طرف الحوض المخصص للسباحة الحرة مسافة ٢٥ متراً، وكان حول الحوض عدد كبير من ابناء بلدته الكسندريا في لويزيانا، جاؤوا ليشجعوه وكلهم يرتدون قمصاناً فضفاضة تحمل هذه العبارات: "حفيدي جون هنري هو احد رياضيي الالعاب الاولمبية الخاصة" و"شقيق زوجتي جون هنري هو رياضي في الالعاب الاولمبية الخاصة" و"صديقي جون هنري..."

كان جون هنري قضى في حداثته ثماني سنوات في مؤسسة للمتخلفين عقلياً. وهناك اشترك للمرة الاولى في الالعاب الاولمبية الخاصة في العدو. وبعد عودته الى البيت وقد بلغ عمره ١٥ سنة، اضحى قادراً على مواجهة ظروف الحياة العادية وبدأ يمارس السباحة في تمارين الالعاب الاولمبية الخاصة. وغدا شهيراً في منطقته حتى ان ١٥٠ شخصاً من اهالي الكسندريا قطعوا مسافة ١٨٠ كيلومتراً الى باتون روج ليشاهدوه وهو يتبارى. وتقول امه: "لم يتمكن جون من القراءة والكتابة قط، لكن هذه الالعاب هيأت له البروز. فأهل البلدة ورجال الشرطة وكل الناس هنا يعرفونه ويترقبون افعاله".

اطلقت الصفارة وهب انصار الشاب واقفين وهم يصرخون: "هيا يا جون هنري، انطلق!" وفي حين اندفع السباحون الآخرون متقدمين في الماء تأخر جون هنري عنهم. وجاء سادساً. ولكن لم يظهر اي من انصاره خيبة أمل، فقد كانوا يبتسمون ويهللون. وصرخ احدهم: "احسنت يا جون

هنري". ففي الالعاب الاولمبية الخاصة يحتفل كل واحد بانجازه.

تذليل العقبات ـ تمثل الالعاب ذروة الامل في حياة المتبارين. وهي بالنسبة الى العديد منهم تعني قطع مسافات طويلة. معظم المشاركين الاجانب لم يغادروا مواطنهم من قبل ولم يركبوا طائرة. وفي باحة الاستراحة في المدينة الاولمبية يروي الرياضيون القصص بمساعدة مترجمين ويتبادلون الازرار والدبابيس التي تحمل رموز اوطانهم.

والالعاب الاولمبية الخاصة ليست مقصورة على الاحداث. فقد شاركت في سباق الـ٥٠ متراً ماريون راميك من وينثروب في ولاية ماين، وعمرها ٧٠ سنة. وشهق الجمهور دهشة عندما انطلقت، ولكن حين حلت رابعة بين المتبارين حياها بالهتاف.

ولدت ماريون في مؤسسة للمرضى عقلياً. وهي تعيش الان مع عائلة احتضنتها وتعمل في مشغل "كينيبيك فالي" حيث تقطع الازرار والسحابات من الثياب القديمة لاستعمالها خرقاً للتنظيف. وقبل عشر سنين رآها احد المدربين ولاحظ نشاطها وحيويتها، فدعاها الى المشاركة في الالعاب الاولمبية الخاصة. ومنذ ذلك الحين تمارس التمارين يومياً، وقد تبارت في الركض والقفز الطويل ورمي الكرة. وفي حرم جامعة لويزيانا حيث بلغت الحرارة ٣٥ درجة مئوية مشت ماريون بسرعة شق على مرافقيها مجاراتها. وحين وصلت الى قاعة المنامة التفتت الى مدربتها وقالت لها برقة: "انا احبك".

وعلى غرار ماريون يبدي الرياضيون الآخرون في الالعاب الاولمبية الخاصة حباً وشجاعة وتصميماً في كل جهد يبذلونه. وفي ملعب الجمباز قفزت فتاة ترتدي ثوباً مزركشاً كثوب البهلوان لتحتضن مدربتها بعدما اتمت لعبتها. وأطلق رجل في متوسط العمر صرخة الظفر بعد سباق الكراسي ذات العجلات.

احد المشاهد التي لا تنسى كان لعبة الجمباز التي اداها الشاب ريموند سنايدر (١٧ سنة)، من سان فرانسيسكو، وهو معاق عقلياً ومصاب منذ الولادة بشلل في الجزء الاسفل من جسده ولا يزيد وزنه على ٢٩ كيلوغراماً. فقد انزلق هذا الكاليفورني الضئيل الجسم من كرسيه ذي العجلات وتمدد على ظهره وشرع ببطء وتؤدة في الدوران والتمايل والقفز في الهواء. كثيرون بين الجمهور الذي بلغ ٦٠٠٠ مشاهد بكوا تأثراً حين رأوا الشاب اليافع يتغلب على عقبات تكاد لا تقهر ليتفوق في هذا النوع من الرياضة. وفي ختام التمارين التي شارك فيها ريموند وربح ميدالية برونزية، رفعه المدرب بذراعيه عالياً فيما اهتز المبنى كله بهتاف الجمهور.

سجل والدا ريموند ابنهما في الالعاب الاولمبية الخاصة قبل ست سنوات كلاعب جمباز على الارض اولا، ثم كسباح. اما اليوم، فان ريموند يلعب البولنغ والكرة ويمتطي صهوات الجياد. وتقول امه ماري آن:

"هذه الرياضات جعلته اكثر انفتاحاً على العالم ووفرت له اهدافاً يحققها". كما ان الابتعاد عن المنزل يفيده. وخلال التدريب مع فريق كاليفورنيا في لونغ بيتش كان ريموند في بداية الامر خجولا. ولكن سرعان ما غدا يتحدث مع رافر جونسون بطل المباريات العشارية الاولمبية عام ١٩٦٠ ورئيس المدربين في الالعاب الاولمبية الخاصة. ويصيح ريموند معرفاً جونسون الى صديق له معاق: "رافر، تعال الى هنا".

هتاف الظفر – فيما كانت الالعاب تجرى اعدت مشاغل تبين للاهل كيف يمكنهم ان يساعدوا اولادهم في تحسين مهاراتهم الرياضية وتعزيز حوافزهم وتحسين نظرتهم الى انفسهم. بعض الرياضيين مثل لاعب كرة السلة سيدني مونكريف واللاعب الاولمبي في سباق المزالج ويلي دافنبورت اقاموا عيادات رياضية. كما طرحت معارض فنية مجالات اخرى متاحة للمعاقين.

وكانت يونيس كنيدي شرايفر، مؤسسةدورة الالعاب الاولمبية الخاصة ورئيستها، تحض المتطوعين الذين يبلغ عددهم ٤٥٠ الفاً في ارجاء العالم على بذل المزيد من الجهد. وهي قالت: "ان الالعاب الاولمبية الخاصة هي اكثر من مجرد ألعاب رياضية موسمية. انها تدريب رياضي على مدار السنة يتحدى العقل والجسد كل يوم".

كل سباق على الكراسي ذات العجلات لمسافة ٢٥ متراً قدم مثالا لا يصدق عن الروح الاولمبية الحقيقية. فثمة ولد شلت يداه اخذ يدفع الكرسي بقدميه في اتجاه خلفي وحل ثانياً في السباق. وثمة ولد آخر توقف تماماً في منتصف السباق وقد عجز عن التقدم. لكن الجمهور اخذ يضج صائحاً: "تقدم، تقدم، تقدم..." فتابع الولد السير واقترب من خط النهاية ثم توقف ثانية. وتعالى صياح الجمهور يحضه على المتابعة. فحاول التقدم مرة اخرى، قليلا قليلا، وفتراً فتراً، فيما ارتفع صوت مفعم بالاثارة العاطفية: "اجل!" وبلغ الولد خط النهاية. وقال أحد الآباء وعيناه تفيضان بالدموع: "هؤلاء الاولاد لا يحملون القوة في اجسادهم، لكنهم يحملونها في قلوبهم بلا ريب".

كل متبار نال ميدالية او شريطة، واحتفل بالجميع في وليمة الظفر. ثم توجه الجميع الى باحة الملعب لحضور حفلة الختام الرسمية. وقد ودعت يونيس كنيدي شرايفر الرياضيين قائلة: "اي درس لقنتم العالم اليوم؟ لقنتموه ان الله منح كلا منا القدرة والتوق الى التفوق والشجاعة والصداقة والمحبة. يا للبراعة التي اظهرتموها لنا... يا للرياضة الرائعة! اتمنى لكم ان تحققوا الفوز في الحياة كما حققتموه في هذه الالعاب".

وهتف رياضيو الالعاب الاولمبية الخاصة وصفقوا جميعاً: ٤٣٠٠ رياضي. كانوا كلهم فائزين. وكانت لهم جميعاً صفاتهم الخاصة... الخاصة جداً.

■ وليم غيلديا



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد صفات مستحسنة، وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح، والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١٠ نفيس: عريق ـ ما يُتنافس عليه ـ مخبوء ـ عزيز.

٢٠ مطهَّم: شديد السواد ـ مدجج بالسلاح ـ فخم ـ تام الحسن.

٣٠ رحب: صبور ـ حسن الضيافة ـ واسع ـ كثير.

٤٠ وثير: وطيء ولين ـ ثري ـ مرصع بالجواهر ـ ثائر.

٥٠ قُدموس: مقدام ـ فصيح اللسان ـ جَلود ـ قديم.

٦٠ غانية: حسناء ـ شجية الصوت ـ بيضاء ـ رشيقة.

٧٠ غِطريف: جسور ـ عريض الجبين ـ ظريف ـ فخور.

٨٠ مفوّه: متملق ـ كبير الفم ـ بليغ ـ حسن الصوت.

٩٠ فيحاء: عامرة ـ كثيرة المياه ـ مزهرة ـ واسعة.

١٠٠ عصامي: صادق ـ من شرف بنفسه ـ كريم ـ لا يخطىء.

١١٠ مرهف: سهل المعشر ـ ذكي ـ دقيق ولطيف ـ بشوش.

١٢٠ رقراق: صافٍ ـ ضاحك العينين ـ رقيق ـ متلألىء.

١٣٠ ميّاس: متبختر ـ واسع الحكمة ـ قاطع ـ وسيم.

١٤٠ أغرّ: كريم الأفعال ـ عادل ـ وقور ـ مغرٍ.

١٥٠ طَفْل: ورع ـ رخْص ـ خفيف الروح ـ متسامح.

١٦٠ لُباب: عارف ـ راجح العقل ـ خالص ـ هُمام.

١٧٠ غنّاء: موسرة ـ كثيرة الطير ـ طروب ـ كثيرة الشجر.

١٨٠ رؤوم: عطوف ـ حاد النظر ـ طموح ـ لطيف.

١٩٠ سني: بهي الطلعة ـ رفيع ـ مسنّ ـ ناصع البياض.

٢٠٠ طَبّ: واسع الحيلة ـ ماهر ـ عاشق ـ رفيع المقام.

٢١٠ قَشيب: زاهد في الدنيا ـ فضي ـ ناحل ـ جديد.

٢٢٠ خَفِر: رزين ـ متعبد ـ شديد الحياء ـ مستور.

٢٣٠ دؤوب: مثابر ـ بالغ الأدب ـ حنون ـ مغامر.

٢٤٠ بُهْلول: راجح العقل ـ سيّد خيّر ـ عجيب ـ بهي.

٢٥٠ رغد: وفير ـ منشرح الصدر ـ طيب ـ صبور.

٢٦٠ ريّان: ذهبي ـ زاهي الألوان ـ لامع ـ أخضر ناعم.

٢٧٠ نِحْرير: صنديد ـ أديب ـ حريري ـ عالم حاذق.

٢٨٠ أدعج: أسود العينين ـ طلق المحيا ـ سمين ـ صغير الأنف.

٢٩٠ نوفل: نزيه ـ معطاء ـ عالي المقام ـ نجيب.

٣٠٠ خريدة: سمراء ـ مطيعة ـ عذراء ـ فريدة.

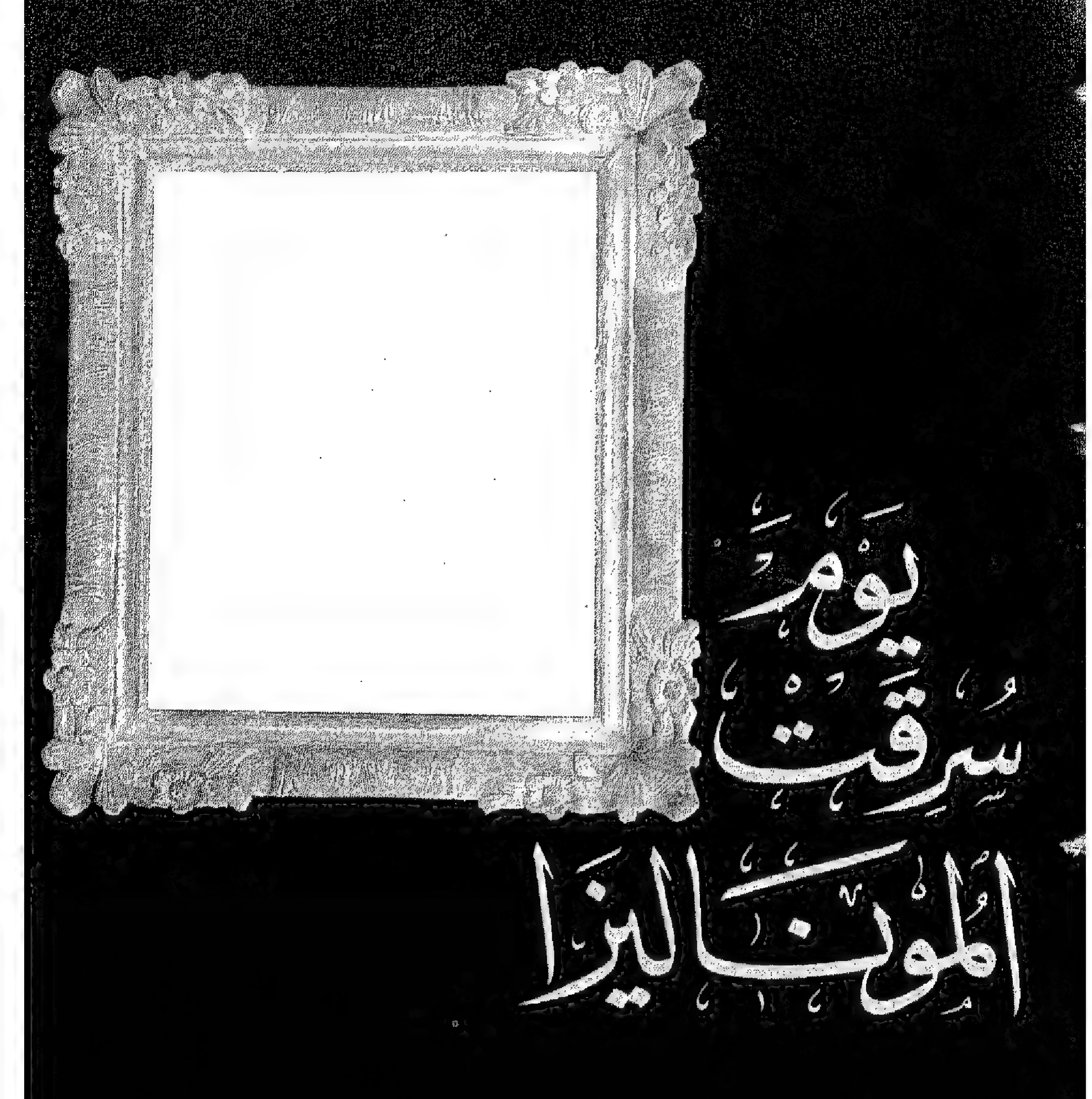


الأجوبة الصحيحة

١٠ النفيس: ما يُرغب ويُتنافس فيه، ويقابله الخسيس. رجل نفيس: حاسد.
٢٠ المطهَّم: التام البارع الجمال من كل شيء. يقال "جواد مطهم" أي تام الحسن.
٣٠ رَحْب: واسع. يقال "رحب الصدر" اي طويل الأناة.
٤٠ فراش وثير: وطيء ولين.
٥٠ قُدموس: قديم. يقال "عز أو حسب قدموس".
٦٠ الغانـية: المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة. ايضاً المتزوجة.
٧٠ الغِطريف: الشاب الظريف والسخي والسيد والحسن. ايضاً فرخ البازي.
٨٠ خطيب مفوَّه: بليغ الكلام. طعنة فوهاء: واسعة.
٩٠ دار فيحاء: واسعة. والفيحاء لقب البصرة ودمشق وطرابلس.
١٠٠ العِصامي: من شرف بنفسه لا بآبائه. نسبة الى عصام حاجب النعمان.
١١٠ مرهف: دقيق ولطيف. خصر مرهف: ضامر.
١٢٠ الرقراق: ما يتلألأ. دمع رقراق: يدور في العين ولا يسيل.
١٣٠ ماس وتميَّس: مشى متمايلا ومتبختراً فهو مياس.
١٤٠ الأغرّ: الكريم الأفعال والحَسَن والأبيض. جواد أغر: في جبهته غرة.
١٥٠ طَفْل: رخص وناعم.
١٦٠ اللُّباب: المختار الخالص. يقال "حَسَب لباب".
١٧٠ حديقة غنـاء: كثيرة الشجر والعشب. قرية غناء: عامرة.
١٨٠ أم رؤوم: عطوف. الرئم: الظبي الأبيض. الرؤام: اللعاب.
١٩٠ سني: رفيع. السناء: الضياء والرفعة. تسنى: تغير.
٢٠٠ الطَّب: الحاذق الماهر في عمله. يقول المثل: "إصنعه صنعة من طَبّ لمن حَبّ" اي صنعة حاذق لانسان يحبه.
٢١٠ القشيب: الجديد والنظيف والأبيض. سيف قشيب: علاه الصدأ.
٢٢٠ خَفِر: شديد الحياء.
٢٣٠ الدؤوب: الجاد والمثابر على العمل. الدأب: العادة.
٢٤٠ البهلول: السيد الجامع لكل خير. ايضاً: الضحَّاك.
٢٥٠ عيش رغد ورغيد: طيب.
٢٦٠ الريَّان: ضد العطشان. ايضاً الأخضر الناعم. وجه ريان: كثير اللحم.
٢٧٠ النحْرير: الحاذق الفطن العاقل، وقيل العالم المجرب بمعنى انه ينحر العلم نحراً.
٢٨٠ عين دعجاء: شديدة السواد مع سعتها، فصاحبها أدعج وصاحبتها دعجاء. ليل أدعج: أسود.
٢٩٠ النوفل: الشاب الجميل والرجل المعطاء. ايضاً: ذكر الضباع.
٣٠٠ جارية خريدة: عذراء. ايضاً: حييَّة خفيضة الصوت. الخريدة: اللؤلؤة التي لم تثقب.

المستوى
- ٢٥ – ٣٠: ممتاز
- ١٩ – ٢٤: جيد جداً
- ١٣ – ١٨: مقبول

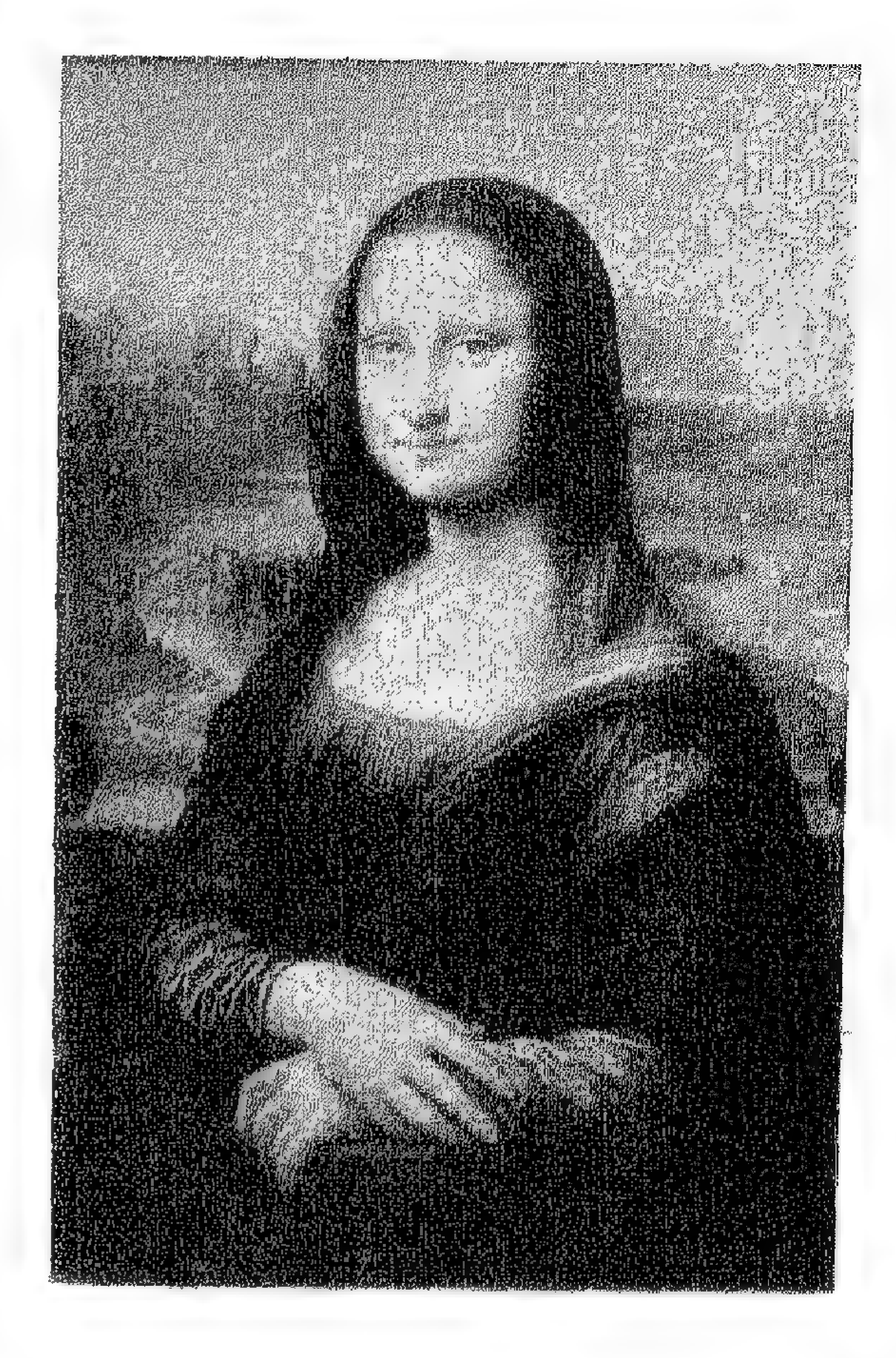
كتاب الشهر



يوم سرقت الموناليزا

مُلخص من كتاب
بقلم سيمور رايت

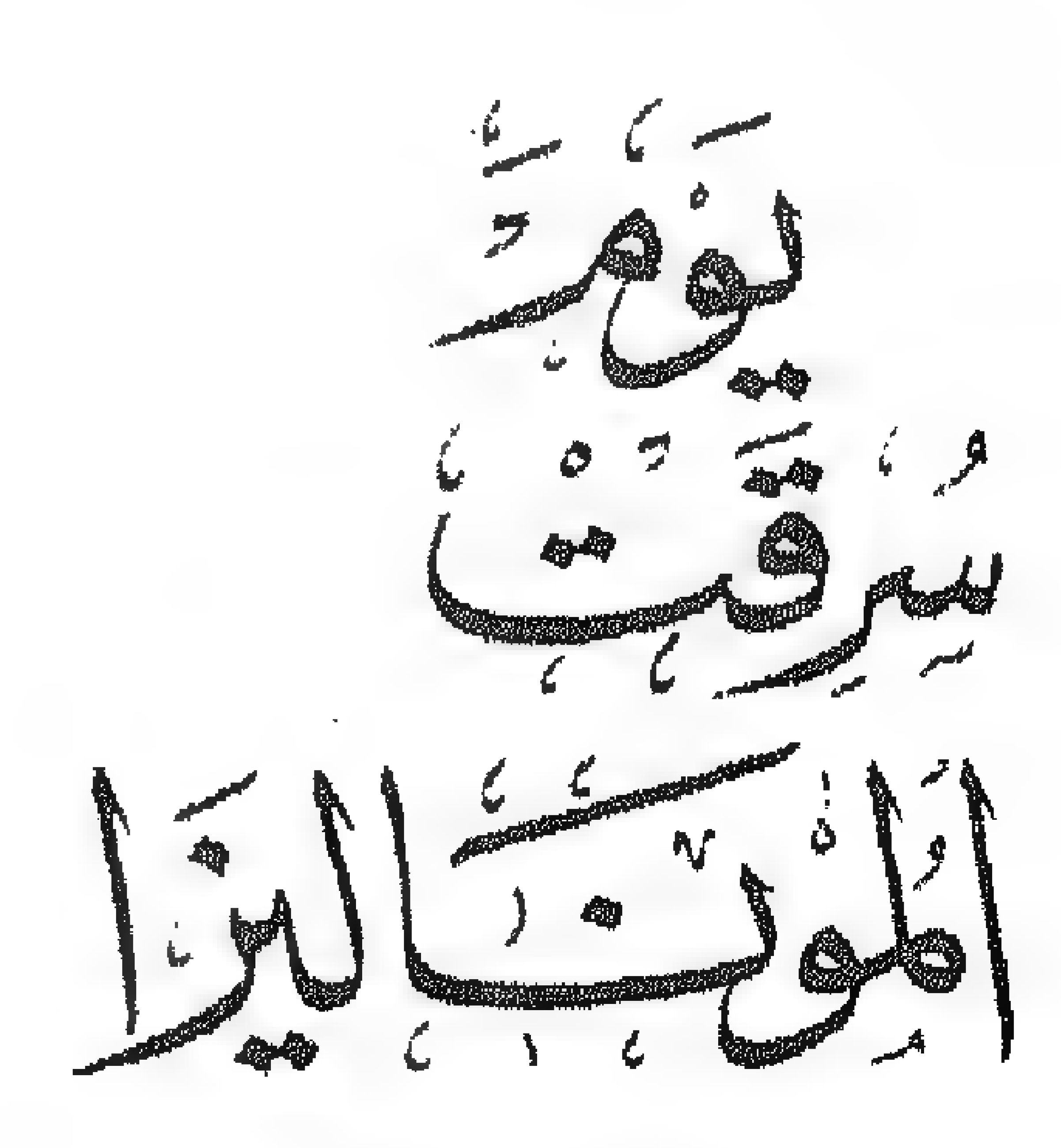




قبل قرن ونيف كتب المؤرخ الفرنسي جول ميشليه عن الموناليزا: "هذه اللوحة تغريني وتدعوني وتقتلعني من مكاني وتحتويني، وإني أذهب إليها رغماً عني، كما يذهب العصفور الى الافعى."

والواقع أن هذه اللوحة أغرت عدداً لا يحصى من محبي الفَن طوال قرون، ودعتهم إليها واقتلعتهم من أمكنتهم واحتوتهم. وفي مطلع القرن الحالي في باريس، تملكت تحفة ليوناردو دافينشي جَوالا من الارجنتين الى حَد ّ أنه قرّر إنزالها عن عرشها.

هنا يخبرنا سيمور رايت، في كتابه المنشور عام ١٩٨١، كيف حصلت تلك السرقة الجريئة التي هزّت العالم، ولاسيما متذوّقي الفنّ. ويقول رايت: "لا نجد سرقة فنية مهمة سوى هذه أقامت الارض لدى حدوثها، ولكن لم تلبث أن أقعدتها. وقد حان الوقت لاخراج رواية هذه السرقة من الظل."



أخذ لوي بيرو علبة الالوان وحامل اللوحات بيد، وباليد الاخرى لوحة غير تامة، وهرع نحو متحف اللوفر الباريسي الشهير. وقد شاء مباشرة عمله هناك في أسرع وقت ممكن، قبل ازدحام المكان بالزوار.

وكان الرسام الشاب الناشىء أصاب حظاً حسناً في بيع لوحاته التي نسخها عن الروائع المعلقة على جدران المتحف. وباع له صاحب صالة العرض في الطبقة الارضية، واسمه فيليب، عدداً كبيراً منها، وكان ينتظر منه المزيد. وقال له: "أريد كل ما يمكنك تزويدي به من لوحات، ولكن سريعاً. فما أن يعود السياح الى أوطانهم حتى تعود الاموال معهم."

ذلك الصيف من العام ١٩١١ اشتد القيظ في باريس حتى أحالها فرناً. إلا أن نسمة عليلة هبت آنذاك عبر نهر السين الذي يشطر المدينة. وأحبّ بيرو أن يتنزه قليلا وسط ذلك الجو المنشط، غير أنه تذكر طلب فيليب وظل يحث الخطى نحو اللوفر. وبرهنت فكرة بيرو في رسم مشاهد من داخل المتحف عن جدواها. وفي استطاعة معظم الرسامين محاكاة بدائع المتحف التي كثر الطلب عليها تلك الايام، قبل ابتكار طريقة النسخ الآلي بالألوان. أما رسم الغرف نفسها، مع الكنوز المعلقة على جدرانها، فكان أمراً نادراً.

وألقى بيرو مسنده على أرضية الطبقة الاولى، ووضع عليه قماشة الرسم وشرع يهيىء الالوان. وكان البهو المربع يتألق بروائع المبدعين الأولين. وراح بيرو يتفحص أعمال رفاييل، وبينها "عرس قانا"، وهي لوحة خالدة تحتل جداراً كاملا وترقى الى المرحلة الفيرونية في حياة الرسام العظيم.

ولعن بيرو حظه إذ لم يجد اللوحة التي كان يبحث عنها، والتي تتوسط لوحة كوريجيو "زواج كاترينا السرّي" ولوحة تيتيان "الرّمز".

واستدار بيرو نحو أقرب الحراس إليه وسأله: "أين الجوكوندا يا بوباردان؟"

وهزّ الحارس المتقدم في السن كتفيه واشار باصبعه الى فوق وأجاب: "إنها في المشغل، حيث يتم تصويرها آلياً هذا الصباح... وإلا فأين يمكن أن تكون؟"

وخفق قلب الرسام الشاب. ترى لماذا اختار الموظفون في مشغل التصوير الفوتوغرافي في أن ينزلوا الموناليزا بالذات، وأن ينزلوها هذا الصباح؟ وكان بيرو أبقى قماشته الاخيرة لنسخ رائعة ليوناردو دا فينشي. أما الآن فعليه أن يتحلى بالصبر والانتظار.

ومرت ساعة، ثمّ اخرى. ونحو الحادية عشرة أخذ السياح يتوافدون الى البهو المربع. وتقدّم العديد منهم الى بيرو يشكو غياب الموناليزا التي تجتذب الاكثرية. وذهب الرسام في أثر بوباردان، فوجده يغط على مقعد خشبي. وهزّه من كتفه ورجاه قائلا: "اسألهم فوق لماذا تأخروا في إنجاز مهمتهم، وقل لهم أن يعيدوا اللوحة سريعاً الى مكانها."

وتنهد بوباردان وتوجه متذمراً الى سلم الموظفين. وبعد دقائق ظهر من

جديد وذهب نحو بيرو بخطى راعشة وعينين جاحظتين. ونظر إليه بيرو بدهشة وسأله: "ما الذي قالوه لك؟"

وبلع الحارس ريقه وقال بصوت أجَش: "الجوكوندا ليست هناك، ولم تكن هناك البتة. والمصورون الفوتوغرافيون لا يعرفون شيئاً عنها... لقد اختفت."

السرقة

قبل ٤٨ ساعة من ذلك الوقت، أي يوم الاحد الواقع فيه العشرون من اغسطس (آب) ١٩١١، كان رئيس عمال اللوفر، جورج بيكيه، يتكئ على حافة رخامية في إحدى طبقات المتحف العليا وينظر الى الجموع فيما هي تتزاحم بالمناكب نحو قاعات العرض.

وكان اللوفر يستقطب مئات الزوّار يومياً. وقد بناه الملك فرنسيس الاول قبل ٤٠٠ سنة كقصر ملكي. وهو الملك عينه الذي رعى ليوناردو دافينشي وابتاع لوحته الخارقة الموناليزا. وفي تلك الاثناء كان اللوفر يضم، الى جانب تلك اللوحة، آلاف الاعمال الفنية الموزعة على قاعاته الفسيحة الانيقة. ويقال ان الجولة على صالات العرض وحدها كانت تستغرق ساعتين كاملتين.

وربما كان جورج بيكيه بين القلائل الذين أنجزوا جولة تامة في المتحف. غير أنه لم يشعر بالفرح وهو ينظر الى الزوار المتوافدين. فهم، في نظره، اناس يطأون أرضه ويلطخون جدرانه ويغرزون اظفارهم في منحوتاته ويتلفون لوحاته مع الوقت باللمس والتنّفس. ولكن بعد ساعات قليلة ينتهي عذابه وقتياً. وفي اليوم التالي، وهو الاثنين، يقفل المتحف أبوابه للزوار ويأتي الموظفون للتنظيف وإصلاح الاعطال وإعادة تنسيق اللوحات. أجل، إنه يومه هو الذي يعتني خلاله بأرجاء المتحف جميعاً.

ووقف بيكيه يتثاءب. كان ذلك الاحد مملا كآلاف الآحاد التي شهدها. إلا أنه، لمرّة واحدة، أخطأ التقدير. فنحو الثانية والنصف من عصر ذلك الاحد، دخل فينسنزو بيروغيا المتحف من بوابة دينون وهو يبدو كسائر زوار نهاية الاسبوع وقد ارتدى بذلة سوداء واعتمر قبعة قشّ. وضاع ذلك الشاب الايطالي البدين وسط الحشود وهو يتسلق السلم نحو صالات العرض ويشدّ معصمه على انتفاخ ضئيل تحت سترته.

وفي الوقت نفسه دخل المتحف الاخوان لانسيلوتي، فينسنزو وميشال، من بوّابة جناح سولي. وصعدا الى صالة لاس كازس وعبرا أمام أعمال واتو وبوشيه. وكانا يرتديان ثياباً انيقة أيضاً.

وقبيل الثالثة تلاقى بيروغيا والاخوان لانسيلوتي في غرفة صغيرة أنيقة، اسمها صالة دوشاتل. وبينما هم يمشون باتئاد وبعض اضطراب أمام اللوحات، نظر بيروغيا الى ساعة يده... بعد ساعة واحدة يغلق المتحف أبوابه. وإذا أسعفه الحظ، فهذه الساعة كافية لتحقيق غرضه.

وكان المسؤولون في اللوفر عام ١٩١٠ وضعوا بعض اللوحات ضمن

أغلفة من زجاج خوفاً من أعمال السرقة. ولقي ذلك التدبير استنكار بعض المتزمتين الذين احتجوا بأن طبقة الزجاج تحجب أصالة اللوحة وتفاصيلها الدقيقة. إلا أن المسؤولين تجاهلوا تلك الصرخة ودعوا شركة غوبييه الباريسية لتتولى تنفيذ الامر. وكان بين الزجاجين ايطالي شاب اسمه بيروغيا ويعمل طرّاش منازل.

وبدا بيروغيا والاخوان لانسيلوتي مستغرقين في التفكير وهم يتأملون لوحات عصر النهضة في صالة دوشاتل. وأبقى بيروغيا عينيه على مدخلي الغرفة المقوّسين، وأحدهما يؤدي الى الردهة حيث تباع الرسوم والنسخ والكتب الفنية، والآخر يفتح مباشرة على البهو المربّع.

وكان بيروغيا، خلال الساعات الطوال التي أمضاها في العمل على غلاف الموناليزا الزجاجي، تعلم الكثير عن أوقات ازدحام الزوّار وبرامج الحرس ومداخل الخدم والابواب التي تبقى موصدة. كما لاحظ غرفة الايداع الصغيرة حيث يبقي الرسامون عدّتهم ليلا. ومثله مثل متاحف كثيرة،سمح اللوفر على الدوام للرسامين بمحاكاة الاصول المعروضة في بعض الصالات، لكنه لم يتح لهم تقليد الحجم منعاً للتزوير. وكانت غرفة الايداع عبارة عن حجرة ضيقة وراء باب أنيق التصميم في الحائط الغربي من صالة دوشاتل. وفي ذلك الوقت كان فينسنزو بيروغيا تعلم طريقة فتح ذلك الباب ـ اللوحة عبر قفله المحجوب.

وبسبب ازدحام الزوّار، لم يُسمح للرسامين بالعمل في صالات اللوفر أيام الاحد بسبب الازدحام وايام الاثنين بسبب إغلاق المتحف. وهذا يعني أنه لم يكن ثمة دافع لأحد كي يدخل غرفة الايداع بين الخامسة من مساء السبت وصباح الثلثاء.

وفي تمام الرابعة والدقيقة الرابعة والثلاثين عصر ذلك الاحد، أعلن الحرّاس إغلاق الابواب في وجه الزوّار الجدد، وراحوا يوجهون الزوار في الداخل نحو المخارج. وبعد قليل خلا المتحف من كل زائر، باستثناء ثلاثة وقفوا في غرفة الايداع وراء صالة دو شاتل، وهم بيروغيا والاخوان لانسيلوتي الذين حاولوا الوقوف حَسَنا بين المحامل وعلب الالوان وأقمشة الرسم واللوحات غير المنتهية.

وأخرج الرجال صرراً من تحت ملابسهم وتبادلوا النظرات. وراح بيروغيا يهزّ رأسه بصمت وقد جلس القرفصاء وألقى ظهره على فجوة الجدار. لقد ساعده الحظ حتى ذلك الحين، ولكن عليه أن ينتظر حتى الصباح.

المحتال الأكبر

فيما بيروغيا والاخوان لانسيلوتي يتحرّكون بحذر في تلك الغرفة، كان الرجل الذي صمم تحركاتهم يرتدي ثيابه استعداداً لعشاء في فندق باريسي فخم.

ذلك هو ادواردو دو فالفييرنو الذي ولد في بوينس آيرس عاصمة الارجنتين في الخمسينات من القرن الماضي، لأب مزارع من أصل

كاستيلي. وانتحل فالفييرنو لقب "ماركيز" وأعال نفسه ببيع اللوحات الفنية التي ورثها عبر السنين من أفراد عائلته.

ولما خلت غرفه من اللوحات والسلع النادرة والاثرية، ارتأى "الماركيز" أن يصنع أعمالا جديدة ويجد لها سوقاً. ووسع دائرة معارفه في بوينس آيرس لتضم عدداً من نبلاء سان باولو وريو دوجانيرو في البرازيل، فضلا عن بعض الحديثي النعمة والسياح الاثرياء من أمريكا الشمالية. وسرّ اولئك الزبائن بتلك "الاثريات التي لا تقدّر بثمن" والاعمال "النادرة" التي حملها إليهم فالفييرنو المهذب الذي نظروا إليه كصديق مساعد أكثر منه تاجراً.

وكان فالفييرنو قبل ذلك الحين تعاون مع جامع ومرمم فني من مرسيليا، اسمه ايف شودرون. وأمن الماركيز الاتصالات الاجتماعية، فيما قدّم شودرون المتواضع موهبته واجتهاده. وبمساعدة بعض المقرّبين الكتومين أسس الشريكان تجارة مزدهرة للاعمال الفنية المصغرة التي قال فالفييرنو إنها كانت تضاهي الاصل جودة.

وفي العام ١٩٠٨ نقل الماركيز مقرّه الى العاصمة الفرنسية. وهناك عام ١٩١٠، حداه عاملان على تنفيذ أكثر إنجازاته إثارة. العامل الاول هو اهتمامه بالخطة الرامية الى تغليف روائع اللوفر، ومنها الموناليزا، بالزجاج الواقي. أما العامل الثاني فكان وجود شريكه السابق شودرون في باريس. ومن أجل تنفيذ خطته، كان الماركيز يحتاج الى شخص قدير داخل المتحف.

وقال الماركيز بخفة لصديقه شودرون وهما جالسان في مقهى "فاشيت": "يجب أن يكون معاوننا شخصاً عمل في اللوفر سابقاً وعرفه حسَناً."

وبعد ساعات قليلة في المقاهي والمطاعم القذرة التي يرتادها العمال في الدائرة التاسعة عشرة من باريس، وبعد تحريات دقيقة مدروسة، عثر فالفييرنو على فينسنزو بيروغيا.

وفيما الماركيز يرتدي ثيابه استعداداً للعشاء مساء ذلك الاحد، لم يتمالك النظر الى ساعة يده تكراراً. وكان ذلك كل ما استطاعه. وإذا جرت الامور كما هو مصمم، فهذا يعني أن بيروغيا ومعاونيه الايطاليين مختبئون في غرفة الايداع في تلك الساعة.

ولم يكن فالفييرنو راضياً تماماً عن بيروغيا. فهو في رأيه رجل بسيط، وإن أمكنه اعتماد الدهاء أحياناً. لكن دهاءه القليل ومعرفته بالمتحف عنصران إيجابيان أديا الى تكليفه. ومن أجل تقوية إمكانات النجاح، عمد فالفييرنو الى تدريب بيروغيا وقتاً طويلا. وكانت معرفة الماركيز بسجل عميله العدلي غير الناصع واعتقاله سابقاً على يد الشرطة حافزاً له على إخضاع بيروغيا وضمان طاعته.

أما الماركيز نفسه فكان في مأمن أكيد. وإذا تمّ اعتقال الرجال الثلاثة في اللوفر، فليس ثمة دليل واحد على علاقته بهم. وهم لا يعرفونه إلا باسم "سينيوري" (السيد) كما يجهلون

مخططه الحقيقي بالنسبة الى الموناليزا.

والحق أن فالفييرنو كان على وشك تنفيذ أهم أفعاله الاحتيالية.

وتجمدت أوصال الثلاثة إذ سمعوا وقع خطى خارج غرفتهم. وانحسر الصوت حتى اصبح في نهاية الصالة الكبرى. وشرع فينسنزو لانسيلوتي يقضم قطعة من الجبن. وقوّم بيروغيا شاربيه بنزق، وراح يهوّي وجهه بقبعته ويقاوم حاجته الى العطس.

وللمرّة المئة استعاد في ذهنه تعليمات السينيوري التي لقنه إياها مرة بعد اخرى، وهي تخص التوقيت وخرائط الطبقات ومفتاح الباب في ممرّ الطبقة الارضية. ولم ينس الماركيز تزويد عميله بلوح خشب قُص بالحجم المناسب لوضع اللوحة بعد إخراجها من إطارها. ولم يكن ذلك بالامر الضروري، نظراً الى أن بيروغيا عرف اللوفر جيداً خلال الاسابيع التي أمضاها عاملا فيه. إلا أن السينيوري عامل رجاله كاغبياء يعجزون عن اتخاذ القرار الصائب. والواقع أن بيروغيا كان مؤهلا لتنفيذ عمله.

وراح بيروغيا يفكر في ما آل إليه. وهو جاهد طوال سنوات ليجعل من نفسه دهاناً منزلياً قديراً، فاحتمل الوحدة والعمل الشاق والبعد طويلا عن الوطن من غير مستقبل مضمون مع راتب يومي ضئيل. أما الآن فالحظ ينتظره بالمرصاد. ولقد دفع له السينيوري بعض المال نقداً ووعده بمبلغ إضافي. وإذا سارت الامور حسناً يوم غد، فلسوف يؤوب الى بيته الحبيب في بلدة دومنزا اللومباردية الايطالية، حيث سيكون أغنى سكانها.

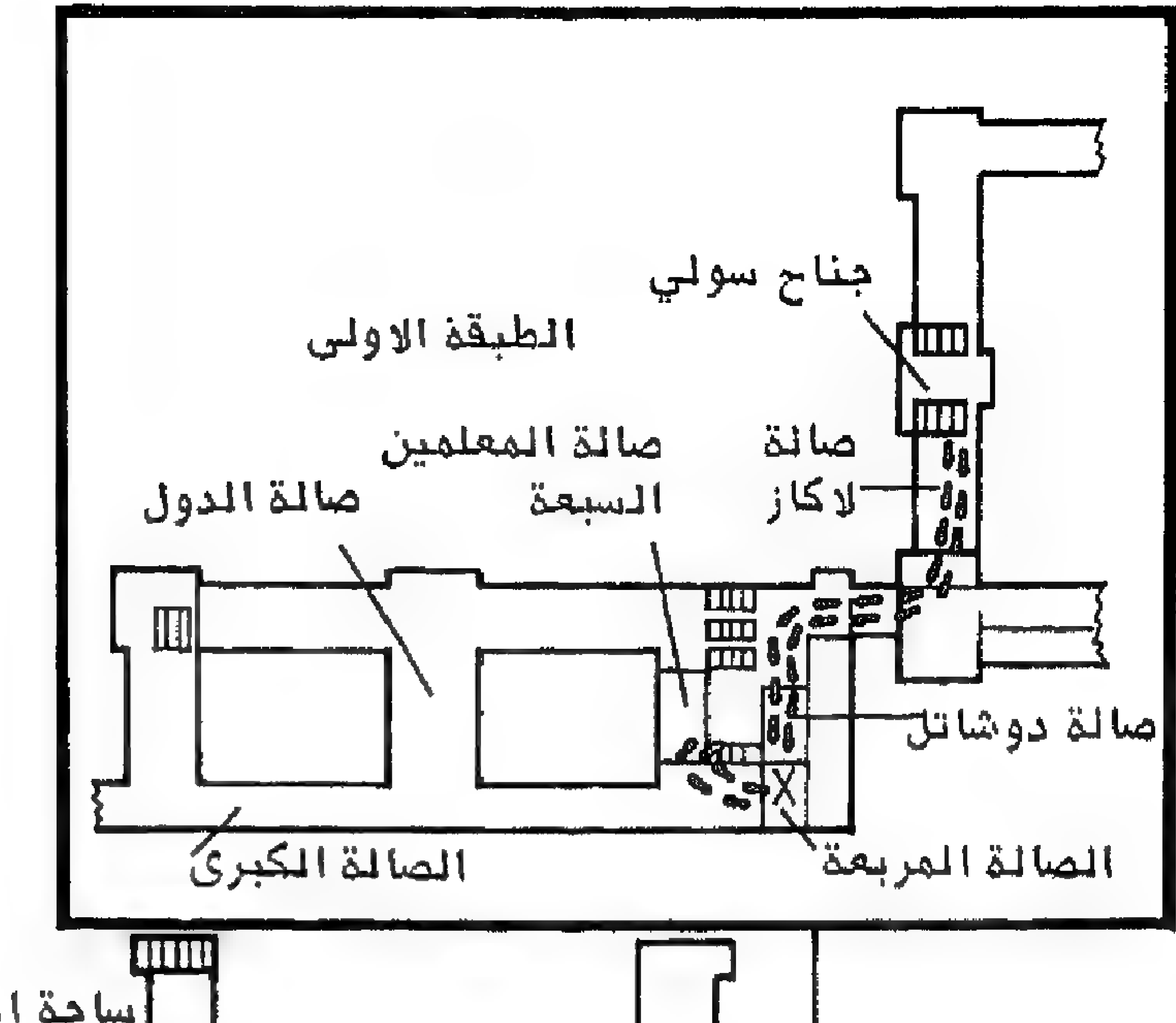
أما أصدقاء بيروغيا في باريس فكانوا أناساً مقتلَعي الجذور مثله، وبينهم النجار والبناء والرسام ومقلم الحجار وسوى هؤلاء، من الحرفيين الذين تركوا قراهم في البرّ الايطالي وفي صقلية طلباً للعمل والمال في باريس. وطالما سخر الفرنسيون الذين عمل بيروغيا معهم من طريقة لفظه الكلمات الفرنسية وسموه "آكل السباغيتي". وكلما أدار ظهره كانوا يسرقون عدّته ويسكبون الملح والفلفل في شرابه. وتكوّنت لديه حجة تقول بأن نابوليون بونابرت نهب نصف اللوحات التي يحويها اللوفر من ايطاليا. وها قد حان الوقت، بفضل السينيوري، كي تستردّ ايطاليا أفضل أعمالها الفنية طرّاً. والمسألة كلها وقف على التقيد بأوامر السينيوري.

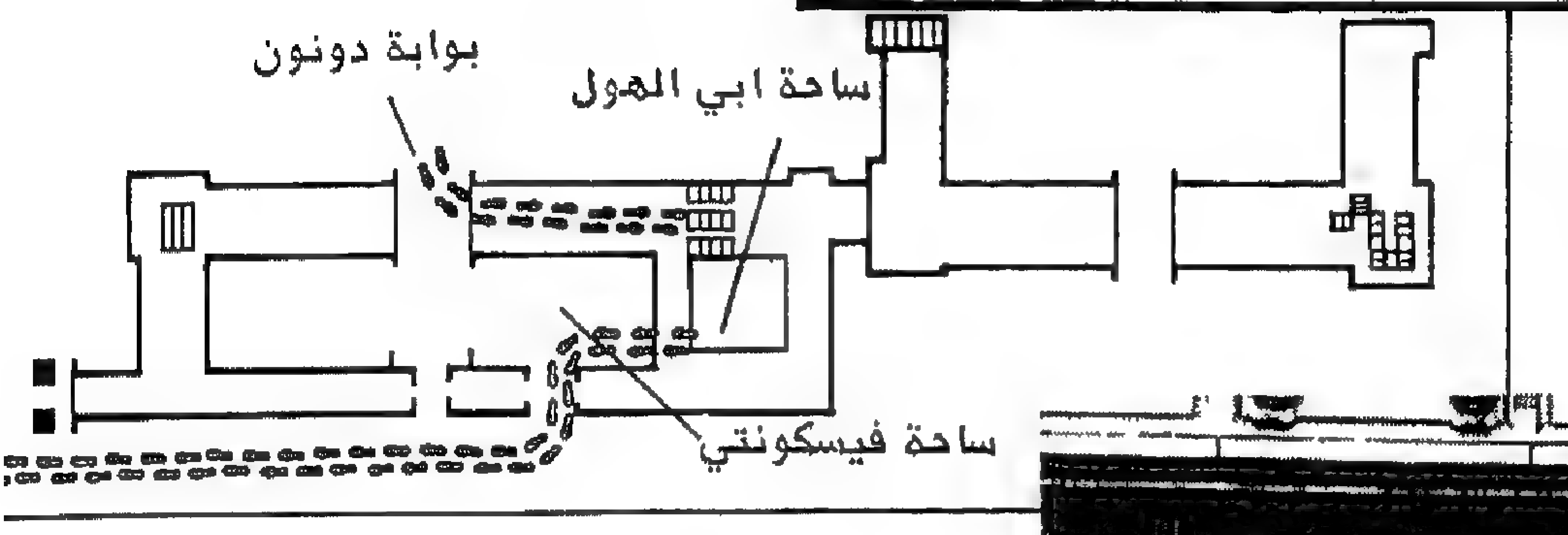
إخراج الموناليزا

أيام الاثنين تدب الحياة في اللوفر باكراً جداً، إذ تفتح الابواب في السادسة والنصف صباحاً ليدخل موظفو الصيانة الذين يعملون في إشراف جورج بيكيه.

وفي غرفة الايداع الضيقة فتح كل من المغامرين الثلاثة صرّته وسحب منها سترة فوقية حتى مستوى الركبتين وارتداها ليبدو كالعمال في بزاتهم البيض.

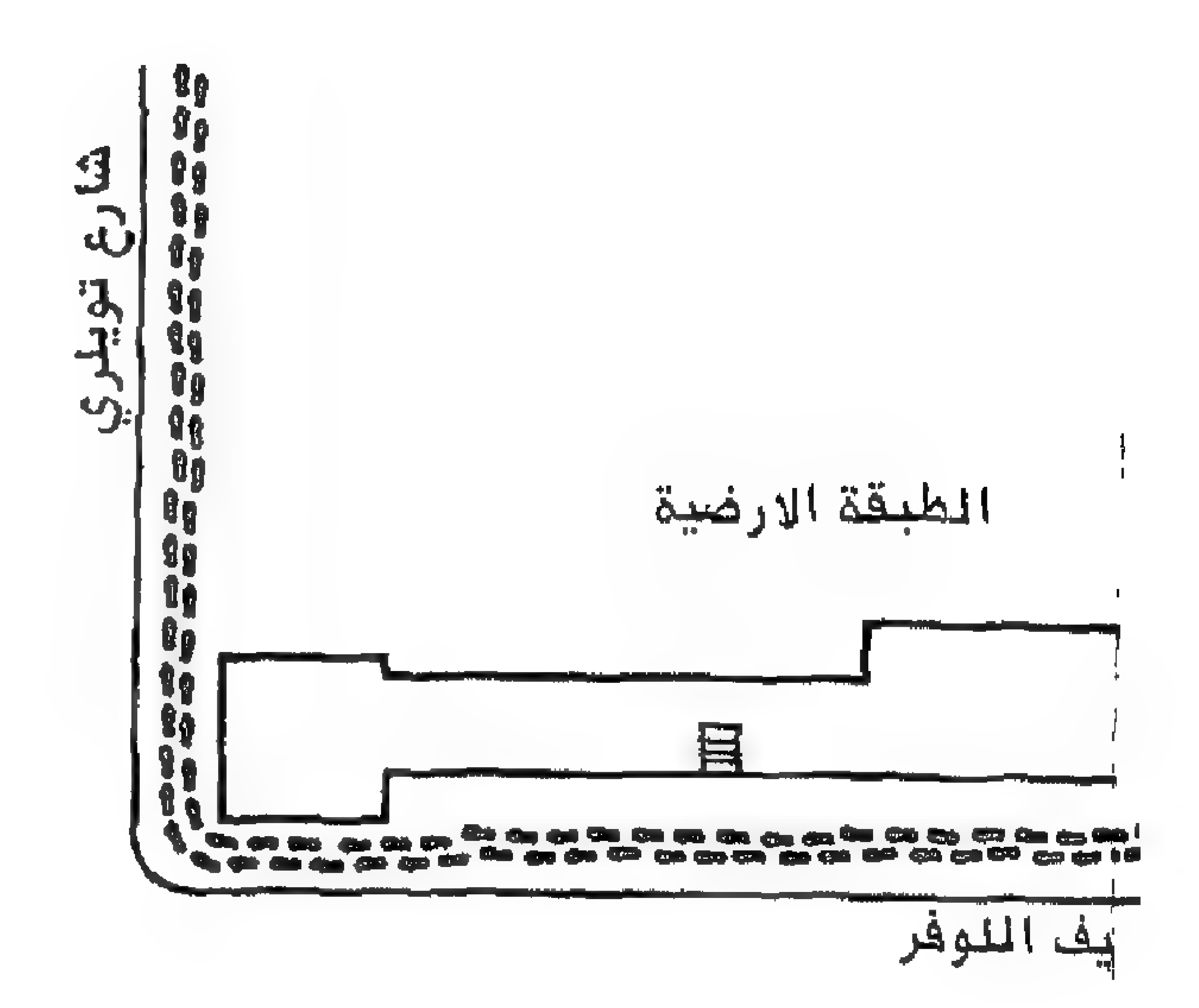
وفي السابعة والدقيقة الخامسة





خرج الثلاثة الى صالة دوشاتل الخالية، وكانت على الجدار مكنسة ذات مقبض طويل، أخذها فينسنزو لانسيلوتي وشرع ينظف الارض بحماسة. وتناول أخوه ميشال خرقة من جيبه وتظاهر بأنه يمسح الغبار عن أُطر اللوحات والاثاث. وتوجه بيروغيا نحو البهو المربّع ثم عاد سريعاً إذ رأى جورج بيكيه مع فريق من الموظفين الجدد أمام الموناليزا. وتسلم ميشال وظيفته كمراقب عند الباب الاقصى.

وبعد دقائق ثلاث خلا ذلك الجدار



في الصالة المربعة من أشرف اللوحات التي يتباهى بها اللوفر والامة الفرنسية.

وفي صالة العرض الكبرى المجاورة، راح اثنا عشر رجلا على الاقل يعملون على تركيب لوح زجاجي جديد مكان آخر مكسور في إحدى النوافذ. وكان عليهم إزاحة بعض اللوحات كيما يتمكن العمال من مباشرة مهمتهم. ولم يتنبه أحد للعمال الثلاثة في ستراتهم البيضاء وهم يحملون الجوكوندا بهدوء من أحد أبواب تلك الصالة. وقد جرت العادة أن تُنقل بعض اللوحات أيام الاثنين من مكان الى آخر ليعمل عليها المصورون والمرممون وأمناء المتحف.

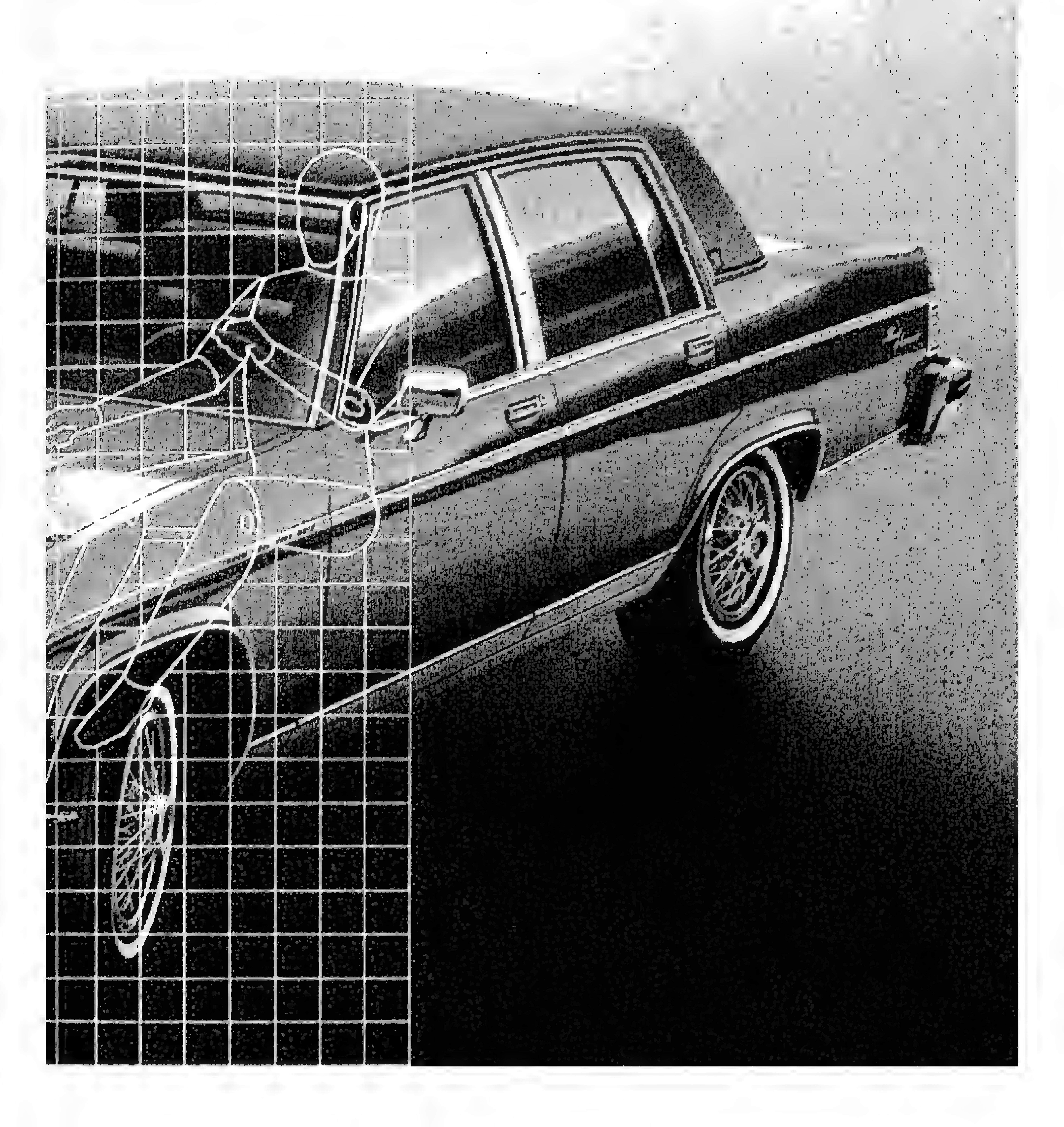
وبعد إنزال الجوكوندا من جلالها في الصالة المربعة، حملها اللصوص كما هي عبر الصالة الكبرى وصالة "المعلمين السبعة"، ثم عبروا بها فتحة تؤدي الى سلم الخدمة ذات النور الضئيل.

والموناليزا رسمت على لوحة ملساء من خشب الحور كما شاع بين رسامي النهضة الايطاليين. وإذ وجد بيروغيا نفسه في مأمن وراء الباب في أعلى السلم، نزع الاطار الثقيل عن اللوحة ووضعه، مع زجاجها الكثيف، في زاوية هناك، ثم تأبط اللوحة الثمينة ونزل عن السلم وفي أثره الاخوان لانسيلوتي.

وما أن صارت الجماعة تحت حتى دقّ ناقوس الخطر. فقد أُقفلت جميع أبواب الطبقة الارضية المؤدية الى الخارج لأسباب أمنية. وكان السينيوري زوّد بيروغيا بمفتاح لتلك الغاية. غير أنه نسي أن يجرّب المفتاح قبل حين. ولما وضعه في القفل لم يستطع تحريكه. وكانت كل ثانية تمرّ تضاعف الخطر، فضلا عن استحالة عودة الثلاثة من حيث أتوا واللوحة معهم.

ولبضع دقائق تبين أن خطة السينيوري المحكمة ستؤول الى إخفاق في أسفل تلك السلم. وطلب بيروغيا من رفيقيه ان يصعدا الى فوق لمراقبة الوضع فيما اقتلع مقبض الباب ووضعه في أحد جيوب سترته. وظهر ميشال والهلع على وجهه. وقال

بويك پارك أفين



بصوت خفيض: "انتبه، ثمة وقع خطى في اتجاهنا."

وعند حسن ظن الماركيز بد، أخفى بيروغيا الموناليزا تحت سترة الخدمة البيضاء وثبتها في مكانها بمعصمه وأدار تلك الجهة لئلا يلاحظها القادم الجديد وهو ينحدر عن السلم حاملا عدّته.

وكان ذلك الرجل سوقيه السمكري. وللحال تلبس بيروغيا دور المبادر وصرخ: "ثمة مغفل سرق مقبض هذا الباب... ترى كيف نخرج من هنا؟ أنزحف تحت العتبة؟"

وهدأ سوفيه روعه قائلا: "لا عليك يا أخي." وأخرج مفتاحاً من جيبه فتح به الباب وقال: "اخرجوا من هنا، ولكن اتركوا هذا الباب مفتوحاً لئلا يزعج إقفاله سواكم."

وخرج الاخوان وراء بيروغيا الذي ما زال يحس ألماً في ذراعه لاحتضانه الكنز. لكنه مشى متشامخاً حتى غدا ورفيقيه في ساحة داخلية صغيرة معروفة باسم "ساحة أبي الهول." وبحسب الخطة، عبروا مبنى ملاصقاً أفضى بهم الى ساحة فيسكونتي. وعند الجانب الجنوبي من تلك الساحة المربعة ردهة ذات باب مفتوح على الشارع. ووجد بيروغيا نفسه، والكنز تحت سترته، على بعد أمتار قليلة من الحرية. لكنه خاف إذ رأى حارساً يسدّ المدخل.

ومرّة اخرى ابتسم الحظ للرجال الثلاثة. فالحارس المولج بذلك الباب كان غائباً. ووقف الحارس البديل ينظف الباب بخرقة. وحمل دلوه وسار الهوينا نحو غرفة الخدمة ليأتي بالماء النقي. وأبقى باب الردهة مفتوحاً. وخلع الثلاثة سترهم البيضاء. ولف بيروغيا اللوحة المسروقة بسترته ووضعها تحت قبعة القش التي تدلت من خصره. ولم تكن الساعة بلغت الثامنة حين وجد اللصوص أنفسهم في شمس الشارع الصباحية الرائعة.

وساروا بنشاط وخفة واستداروا يميناً الى رصيف اللوفر. وأحس بيروغيا ثقل المقبض في جيبه. ومن غير تفكير في الامر، أخرجه ورماه في حفرة. وصادف أن شاهد موظف حانوت تلك العملية التي لم تَعن له شيئاً.

وعند منعطف في شارع تويلري، المعروف اليوم باسم جادة الجنرال لومونييه، وقفت سيارة تنتظر وقد رشي سائقها ليبقي فمه مطبقاً بعد أخذه ثلاثة ركاب من هناك. وتبادل الثلاثة الابتسام فيما هم يركبون السيارة. وراود بيروغيا شعور بالظفر وهو يجلس وفي حضنه الرزمة البيضاء المستطيلة. ونظر الى ساعته، فوجد أن سرقة الموناليزا استغرقت ساعة كاملة بعد خروجه ورفيقيه من معتصمهم في غرفة الايداع.

العصابة

كان المقصد الاول لأفراد العصابة بعد السرقة غرفة عشيقة فينسنزو لانسيلوتي الواقعة في أعلى إحدى بنايات شارع مستشفى سان لوي في دائرة باريس العاشرة. وكانت فرنسواز سيغنو، صاحبة الغرفة، في نحو الاربعين، وهي تنتمي الى جيش

نسائي جرار يمتهن خدمة المنازل. وكانت حجرتها البالية المجهولة تلائم أهداف فالفييرنو. وترك بيروغيا اللوحة هناك وهرع الى عمله مع متعهد دهان في شارع موبوج. وإذ بلغ عمله بعيد التاسعة ذلك الصباح، عوضاً عن السابعة، اعتذر بحجة النوم طويلا. وقبلت حجته من غير تفكير. والشائع بين الموظفين أن يتأخروا قليلا عن أعمالهم صباح الاثنين.

وبعد العمل أسرع بيروغيا الى شارع مستشفى سان لوي. وما لبث الماركيز نفسه أن وصل بناء على موعد. وراح يتفحص بسمة الموناليزا الاسطورية بغبطة ويصغي الى بيروغيا وهو يقص عليه أحداث ذلك الصباح. ولفّ فينسنزو لانسيلوتي اللوحة بقطعة مخملية حمراء اشترتها عشيقته. وسحب فالفييرنو مبلغاً نقدياً كبيراً دفعه لعملائه، من غير أن ينسى السيدة سيغنو التي أبقت عينيها مفتوحتين على كل شيء. واستحلفهم جميعاً ألا يقرّوا بكلمة. ثم خرج مع بيروغيا في نزهة تخللها حديث خطير. فقد قال له السينيوري أن يتوقع زيارة من الشرطة بما أنه خدم في اللوفر سابقاً. ونبهه الى أن تلك الزيارة لا تشكل اتهاماً، طالباً منه ان يستقبل رجال الشرطة ويجيب عن أسئلتهم بترحيب. وحذره من نقل اللوحة الى غرفته في شارع مستشفى سان لوي قبل أن يتركه المحققون وشأنه. واقترح عليه السينيوري أن يخبئها في مكان أمين، ربما خلف جدار سري في الخزانة. وأضاف: "سأسافر لمدّة قصيرة، لكني لن أقطع أخباري عنك... احفظ الجوكوندا بعناية وانتظر تعليماتي. وفي هذه الاثناء اذهب الى عملك بكلّ هدوء كالمعتاد."

وحرص الماركيز على تذكير بيروغيا بمآزقه السابقة مع القانون، وحذره من الوقوع في أي خطأ هذه المرّة، بالقول أو بالعمل. ثم افترق الرجلان.

وفي طريقه الى فندقه توقف الماركيز في مكتب تلغرافي لارسال برقيات الى بعض الاشخاص في مدينة نيويورك. وفي الفندق حجز مكاناً لرحلته على متن باخرة متوجهة الى الولايات المتحدة. وبعد ذلك دخل شقته وجلس يتصفح عدداً من صحف العصر.

ولم يجد في أي منها ذكراً لاختفاء أعظم عمل فني تملكه فرنسا. ورمى فالفييرنو الصحف جانباً بانزعاج وهو يفكر في تفسيرين ممكنين: إما أن تكون السرقة غير مكتَشَفة بعد، وهو أمر يفوق التصديق لكنه ليس مستحيلا، وإما أن تكون إدارة اللوفر سترتها عمداً.

والتكتم حول الامر لم يكن في مصلحة فالفييرنو. فهو كان يحتاج الى إسقاط النبأ كمفاجأة مذهلة من أجل المضي في مخططه. ذلك أنه من الضروري أن يعرف العالم خبر سرقة رائعة ليوناردو من اللوفر في وضح النهار.

وفي مكان آخر شديد القذارة من العاصمة الفرنسية، تمدد فينسنزو بيروغيا فوق سريره الصارّ وراح ينقر أوتار آلة الماندولين التي يملكها.

وأعانته الموسيقى على تركيز أفكاره.

ترى لماذا ترك السينيوري اللوحة النادرة في حوزة فينسنزو لانسيلوتي بدلا من أن يأخذها معه؟ لقد كان بيروغيا متأكداً من أن معلمه سيحمل اللوحة ويبيعها في صفقة سرية. والحق أن كل شيء تمّ كما شاء المعلم. وما على بيروغيا الآن سوى الانتظار. غير أن قلقه لن يزول قبل أن يضع الجوكوندا في غرفته.

وكان بيروغيا أخبر صديقاً في ايطاليا قبيل مجيئه الى فرنسا: "اني ذاهب على القدمين، وسوف أعود في سيارة." وخيل إليه الآن أنه يقود سيارة "ديملر" كبيرة في شارع دومنزا الرئيسي وينقر بوقها النحاسي المثبت الى جانب كرسي السائق. وفكر في والديه وشقيقته وأشقائه الثلاثة، وكيف ستجحظ أعينهم لتلك النعمة.

لكن المهم الآن أن يكون المرء عملياً. ولئن يكن من العسير فهم السينيوري على حقيقته، إلا أنه أبدى كرماً واسعاً تجاهه. ولا شك في انه رجُل أفكار ومبادىء، وانه موضع ثقة. لذلك قرّ رأي بيروغيا على أن يتصرف كالمعتاد ويترك الباقي لمعلمه.

خطة فالفييرنو

في نهاية ١٩١٠ كان فالفييرنو قصد اللوفر برفقة صديقه شودرون لفحص الموناليزا.

وسأله الماركيز: "أفي إمكانك أن تصنع نسخة طبق الاصل عنها؟"

وبعد فحص دقيق، أجاب شودرون: "المشكله الرئيسية هي في خطوط ليوناردو الناعمة وإتقانه تدرّج الألوان. لذلك كان التقليد عسيراً جداً، لكنه غير مستحيل."

وأمسك فالفييرنو ذراع الفنان الناحلة وقال: "دعنا ندرس الامر في مكان آخر."

وفي زاوية قصية في مقهى "لا فاشيت" أفضى الماركيز بخطته الذكية.

في الايام الماضيات في أمريكا الجنوبية، لجأ الماركيز مراراً الى بيع لوحات من أعمال موريلو وسواد وهي معلقة على جدران المتاحف بالتفاهم مع الزبون على إرسال اللوحة إليه في أقرب وقت بعد إجراء الصفقة. وبرهنت تلك الطريقة عن جدواها، نظراً الى ان ضحاياها كانت اشخاصاً لا تحتمل عودتهم في زيارة ثانية الى البلاد. وكان فالفييرنو يستدعي الزبون الى المتحف ويريه اللوحة التي يودّ شراءها. وعبر رشوة الحرّاس، كان يزيح جانباً من الاطار ويدعو الزبون الى توقيع اسمه أو رسم إشارة خاصة على ظهر اللوحة ليتمكن من التعرف عليها لاحقاً، ويكون ذلك برهاناً على ان الماركيز انجز مهمته. لكن حقيقة الامر أن إشارة الزبون كانت ترتسم على نسخة ممتازة من صنع شودرون وضعت وراء اللوحة الاصلية. وكانت النسخة تُرسَل الى الزبون لاحقاً على أنها اللوحة الاصلية المدموغة بطابعه.

ومع اللوحة، كان الماركيز يرسل الى ضحيته قصاصات صحف أمريكية

جنوبية مزوَّرَة تقول ان أحد أعمال موريلو أو سواه سُرق من هذا المتحف أو ذاك. وإذا حدث أن عاد زبون الى المدينة ووجد التحفة الاصلية حيث كانت على جدار المتحف، قيل له ان تلك نسخة اضطرت ادارة المتحف الى تعليقها لايهام الزوّار باستعادة ما سُرق.

وكان الماركيز يطمئن زبونه القديم بقوله: "اللوحة التي تراها معلقة هي تقليد رائع يحاكي الاصل. لكنك، يا سيدي العزيز، صاحب الاصل الآن." وكان يقول ذلك بطريقة تقنع الزبون.

واقترح فالفييرنو على شودرون اللجوء الى ما يشبه الخطة القديمة في شأن الموناليزا، على أن تباع مراراً وليس مرّة واحدة.

وحدّق إليه شودرون وهو لا يصدق ما سمعته أذناه، وقال: "ماذا يا ماركيز؟ أتظن أن باريس مثل أمريكا الجنوبية؟ أَوَنَسيت أن الموناليزا أشهر لوحة في العالم كله، وان مئات الناس يقصدون اللوفر يومياً لا لشيء سوى الوقوف أمامها؟ وهم يرونها قبالتهم على الجدار في البهو المربع... إن سرقة الموناليزا مستحيلة، والناس لا يصدقون حصولها."

وهزّ فالفييرنو رأسه وقال: "كلامك صحيح. ولهذا السبب بالذات لن نتظاهر بأننا سرقنا الموناليزا. ولسوف نعمد، يا عزيزي شودرون، الى طريقة اخرى، فلا نلصق نسخاً وراء الاصل ولا نجهز قصاصات مزيفة. إننا سنسعى الى عناوين صحافية واقعية ومقالات مثيرة تقنع زبائننا. ولكن علينا أولا أن ننجز لكل زبون نسخة تضاهي الاصل."

واستهل شودرون عمله سريعاً. وكان عليه بادىء الامر أن يذهب الى اللوفر وينجز نسخة طبق الاصل عن الموناليزا. وراح يتفحص اللوحة بعدسة مكبرة كيما يتسنى له تقليد الالوان. وأنجز المهمة في أيام قلائل.

وبعد إنهائه الرسم المصغر الذي ينسجم وقوانين المتحف، تعين عليه أن يجد ألواحاً خشبية قديمة لنقل الرسم الى كل منها. وأتى فالفييرنو بسرير ايطالي قديم قُطعت أخشابه ألواحاً مستطيلة بالقياس المناسب، وهو ٧٧ سنتيمتراً طولا و٥٣ سنتيمتراً عرضاً.

ولنقل الموناليزا من الورق الى الخشب، استخدم شودرون آلة ضوئية تعكس الرسم وتكبره. وراجع الوثائق المحفوظة في مكتبات باريس حول الطرائق التي اعتمدها اساتذة الرسم القدامى. وقد اعتاد فنانو عصر النهضة الكبار، أمثال ليوناردو ورفاييل وتيتيان، طلي اللوحة بطبقات من الاصباغ وإضافة طلاء أملس صقيل لأضفاء انطباع عمقي متعدد الابعاد مكان الرسم التقليدي المستوي. وقد لجأ كبار فناني النهضة الى عشرات الاصباغ والالوان التي لم يستطع شودرون مجاراتهم فيها. إلا أنه حاول تقليدهم ما أمكنه. وكان يتقيد بألوان السالفين ما استطاع وينبذ ما شاع بعدهم. وفي حين أخطأ سواه من المقلدين في بعض التفاصيل، ومنها استخدامهم

المسامير المصنوعة آليا، تجنب شودرون تلك الاخطاء في نقله الموناليزا الى الواح الخشب القديمة.

وما أن فرغ من الرسم حتى واجهته مشكلة اخرى، وهي إضفاء انطباع القِدم على لوحاته، وذلك عبر تشقيقها ليظهر مرور أربعة قرون من الزمن عليها. ولتلك الغاية أضاف طبقتين من الطلاء،أدناهما بطيئة الجفاف وأعلاهما سريعته. وبوضعه كلا من اللوحات تحت مروحة، حصل على النتيجة التي اراد. وبعد ذلك كله رشّ نثاراً من غبار الغرافيت الرصاصي هنا وهناك.

واليوم يعتمد الخبراء وسائل عدّة لكشف هذا النوع من التزوير. لكن الطريقة الوحيدة في مطلع القرن كانت أحكام الخبراء الذوقية والعودة الى سجلات التاريخ.

وهكذا صنع شودرون ستّ لوحات مزيّفة للموناليزا. وفي يونيو (حزيران) ١٩١١ كان فالفييرنو نقلها كلها الى نيويورك وأودعها مكاناً أميناً. وكان الاثرياء عبر الاطلسي اعتادوا ابتياع نسخ مصغرة من لوحات رمبراندت وروبنز وفرمير وكورو ورفاييل وسواهم. لذلك لم يكن اجتياز نسخ الموناليزا حدود الولايات المتحدة بالامر المستهجن.

ومن أجل تأمين زبائن أثرياء، عمل فالفييرنو مع خبيرين محنكين لم يعرفْ أحد هويتهما الصحيحة على الاطلاق. وتعاون الثلاثة للعثور على زبائن في أمريكا يهمهم اقتناء أشهر لوحة في العالم إذا أمكن تهريبها الى بلدهم بطريقة ما. وبعد أسابيع من النشاط المكثّف عثروا على ستة شارين ظنّ كل منهم أنه الشاري الوحيد.

وحان موعد الفصل الاخير من المخطط، ألا وهو انتشار خبر سرقة الموناليزا. وإذا نجحت هذه السرقة، فهي ستزود فالفييرنو بالمفاجأة المذهلة التي يسعى إليها. وإذا أخفقت، فستبقى في حوزته ست نسخ ممتازة عن الموناليزا، تبلغ قيمة الواحدة منها مئات الدولارات.

نجاح الخطة

حين اكتشف الرسام لوي بيرو وحارس اللوفر بوباردان غياب الموناليزا عن جدار الصالة المربعة، كان قد انقضى نحو ٢٧ ساعة على اختفائها. وكانت الساعة الحادية عشرة من صباح الثلثاء ٢٢ اغسطس (آب) عندما راجع بوباردان مشغل التصوير ونبه رئيس العمال، جورج بيكيه، الى الامر. وللحال تم الاتصال بمدير شرطة باريس لوي ليبين الذي تولى بدوره إعلام مديرية الامن الوطني ووزير الداخلية بالامر قبل أن يسرع الى اللوفر ليبدأ التحقيق بنفسه.

وفي الثالثة عصراً أصدر ليبين أمراً الى رجاله وحراس المتحف باخلاء الغرف وإقفال جميع المخارج لمباشرة العمل. وأخرج الزوار من اللوفر بذريعة انفجار انبوب ماء ينبغي اصلاحه حالا.

وانضم عدد كبير من الصحافيين الى الحشود المنتظرة بدهشة في الخارج. وبقوا هناك طوال الساعات

التي أمضاها فريق الشرطة والحرَس مفتشاً الاروقة والسلالم والخزائن والمستودعات والغرف. ولم يعثر هؤلاء إلا على الاطار ولوح الزجاج اللذين ألقاهما بيروغيا في أعلى سلم الخدمة. وفي الرابعة عصراً أفضى مدير اللوفر المساعد الى الصحافيين بالنبأ المثير: "لقد اختفت الجوكوندا." ولم يكن لدى التحقيق أقل فكرة حول هوية الفاعل.

وفي صباح اليوم التالي، وهو الاربعاء الواقع فيه الثالث والعشرون من اغسطس (آب)، سقطت القنبلة التي كان ينتظرها فالفييرنو على باريس والعالم. وحملت الصحف العنوان الآتي: "من يصدّق؟ لقد اختفت الجوكوندا من اللوفر!" وسرعان ما غدا هذا الحدث حديث الباريسيين في المقاهي والمطاعم والمحلات والحدائق العمومية. وأبرزت صحف اوروبا وأمريكا تلك الفضيحة على صفحاتها الاولى. ومما قالته صحيفة "نيويورك تايمس" تحت عنوان "الجوكوندا تُسرَق في باريس":

"مهما بدا ذلك الامر مستحيلا، فان رائعة ليوناردو دافينشي، الموناليزا، سُرقت أمس من اللوفر، حيث كانت، طوال السنوات الخمس الاخيرة، معلقة في الصالة المربعة الشهيرة."

وهذا جلّ ما تمناه فالفييرنو. لقد أُزيحت الملكة عن الجدار، وحان الوقت لانهاء اللعبة عبر بيع لوحات شودرون الست على أن كلا منها هي الموناليزا الحقيقية. ولكن يجب أن تنقضي أسابيع أولا ليقتنع كل زبون بأن التحفة "هُربت" من فرنسا. وربما تمكنت الشرطة الفرنسية في تلك الاثناء من اكتشاف أمر بيروغيا واعتقاله، الامر الذي يعني إخفاق المخطط. وقال الماركيز لشريكه شودرون: "ينبغي، في الاسابيع القليلة المقبلة، أن نضع ثقتنا بعدم جدارة الشرطة الفرنسية."

وفيما هزّت الصدمة فرنسا من أقصاها الى أقصاها، أوكلت السلطات الفرنسية الى القانوني اللامع هنري دريو إجراء تحقيق رسمي في الامر. وعُززت الحراسة على حدود البلاد. وكان رجال الشرطة يفتشون حقائب جميع المسافرين في القطارات والسفن. وما لبث أن قام أناس في المانيا وبلجيكا وانكلترا والولايات المتحدة ادّعوا أنهم رأوا الموناليزا المسروقة.

وحصل التحقيق على بصمات جميع موظفي المتحف. واستجوب العشرات منهم، وبينهم بوباردان وبيكيه والسمكري سوفيه. كما أدلى عامل الحانوت الذي شاهد بيروغيا يرمي مقبض الباب في الخندق بشهادته. ولدى تفتيش ذلك المكان عُثر فعلا على المقبض وما لبث المحققون أن استنتجوا، من المعلومات التي تكونت لديهم، ساعة حصول السرقة والطريق التي اجتازها اللصوص. وأصدرت مديرية الشرطة نداء الى سكان باريس يدعو كل من رأى رجلا في جوار اللوفر نحو السابعة والنصف من صباح الاثنين الى الشهادة. وجاء في النداء أن الرجل متوسط القامة، قويّ البنية، يراوح عمره بين الاربعين

والخمسين، وانه كان يرتدي بذلة سوداء وقبعة قش ويحمل رزمة على هيئة لوح خشب.

لكن بيروغيا كان أصغر سناً، وإن انطبقت عليه بقية الصفات، علماً أنها تنطبق، في الوقت نفسه، على نصف رجال باريس في ذلك العصر.

وكان لدى كل معني بالامر نظرية حول الدوافع الى سرقة الموناليزا. فقد ظن بعضهم أن سارقها شاء جرّ الحكومة الى أمر ما. وقال آخرون ان اللص لن يلبث أن يعيد نسخة ممتازة عن اللوحة. وذهب رأي ثالث الى أن السارق صحافي شاء أن يخلق حَدثاً مثيراً. واستُدعي المنجمون للادلاء بآرائهم. وخصصت صحيفة "لو ماتان" الباريسية مكافأة بمقدار ٥٠٠٠ فرنك لأي منجم أو قارىء كفّ أو راء يمكنه اكتشاف مكان الموناليزا باللجوء الى علم الغيب. وانبرى السحَرة زرافات ووحداناً. ولكن سرعان ما تبين أن عملهم يعسر مهمات التحقيق أكثر مما يسهلها.

وفي آخر اغسطس (آب) أُعيد فتح اللوفر للزوار. وتدفق الآلف الى الصالة المربعة ليقفوا أمام الجدار الذي شرفته الموناليزا، وبينهم كثيرون لم يدخلوا المتحف قط حين كان يؤوي التحفة المختفية. ووضع أحد الزوار باقة ورد على الارض أمام الجدار. وجاء في مقال صحافي يثير الشكوك حول كفاية الشرطة "ان أحدهم سوف يسرق أبراج كاتدرائية نوتردام يوماً، من غير أن يعثر رجال الشرطة على أثر للسارق ولا للأبراج."

وكُتبت مقالات اخرى تلقي اللوم على نظام الحراسة في اللوفر. ولم يكن داخل المتحف أكثر من عشرة حراس يوم سرق بيروغيا ورفيقاه الكنز، وهو عدد ضئيل بالنسبة الى كنوز الفن التي يؤويها اللوفر.

ومما زاد الطين بلة أن المسؤولين داخل الشرطة كانوا على خلاف في ما بينهم. وكانت صلاحيات شرطة باريس تشمل المدينة وضواحيها، فيما كانت مديرية الامن الوطني تتولى الحفاظ على الامن ومكافحة الاجرام في بقية الاراضي الفرنسية. وكان التعاون ضعيفاً جداً بين المديريتين، واعتادت الواحدة أن تلقي تبعة الاخطاء الجسيمة على الاخرى، وأن تحجب عنها المعلومات والوثائق التي تملكها حول الاحداث وفاعليها.

ووسط ذلك كله استطاع عالم الجريمة الفرنسي المرموق الفونس بيرتييون الحصول على بصمة انطبعت على الزجاج الذي كان يقي التحفة المسروقة. ولا شك أنها من إصبع أحد أفراد العصابة. ولو عرف فالفييرنو أو بيروغيا بذلك الامر لانتابه قلق شديد، إذ ان بيروغيا سبق اعتقاله مرتين على يد شرطة باريس، وذلك في يونيو (حزيران) ١٩٠٨ بتهمة محاولة سرقة، وفي فبراير (شباط) ١٩٠٩ لحيازته خنجراً ممنوعاً. وكانت ملفات الشرطة تحوي مجموعة كاملة من بصماته.

إلا أن البصمات التي حُفظت في دائرة السيد بيرتييون في مديرية شرطة باريس، وهي تعود الى ٧٥٠ ألف مجرم (بينهم بيروغيا)،

اقتصرت على أصابع اليد اليمنى كما كان شائعاً آنذاك. ولكن تبين أن البصمة الوحيدة التي بقيت على زجاج اللوحة ملطخة، وبالتالي تستحيل مقارنتها بالبصمات التي في حوزة الشرطة.

ولأسباب لا يعرفها أحد لم يعنّ على بال أي من مسؤولي اللوفر استدعاء بيروغيا، الذي سبق أن عمل هناك، لأخذ بصماته من جديد. كما غاب اسمه عن السجل الذي أعدته مديرية الامن بأسماء أصحاب البصمات لتتم المقارنة بين بصماته والبصمة المنطبعة على الزجاج. ومن غرائب الامور أن مديرية الامن لم يكن لديها علم البتة بأن بيروغيا عمل مرّة في اللوفر. واكتفى شاهد العيان الحقيقي الوحيد، وهو سوفيه، بتقليب مئات الصور عله يعثر بينها على شبه للرجل الغامض الذي صادفه في أسفل السلم. الا ان رسم بيروغيا لم يكن هناك.

والحق أن الحظ ابتسم لشركاء الجريمة كلهم منذ أن باشر فالفييرنو تنفيذ مخططه الذكي. ولكن كان لا بدّ من إلقاء اللوم على أحدهم. وما أن رفع القاضي دريو تقريره الى الحكومة في أواخر اغسطس (آب) حتى وقع الاختيار على كبير أمناء اللوفر لاعفائه من منصبه، فيما اكتُفي بلوم الحراس وسائر الموظفين، بمن فيهم بيكيه. الا أن تحفة فرنسا الاولى بقيت ضائعة.

قبل مغادرة فالفييرنو فرنسا عقد اجتماعاً أخيراً مع بيروغيا. وقال الماركيز مودّعاً: "كن حريصاً هذه الايام على كل شيء تقوله أو تفعله. وانتظر التعليمات الجديدة التي سأرسلها اليك قريباً."

شواغل بيروغيا

ولم يكن فينسنزو بيروغيا على علمٍ بالهدف الحقيقي للسرقة، ولا نوّر فالفييرنو ذهنَه في هذا الخصوص. لذلك افترض أن السينيوري سيبيع اللوحة المسروقة أو يعيدها الى الحكومة الفرنسية في مقابل تنازُل معيَّن. ومهما يكن الامر، فسيحصل جميع الاطراف قريباً على المزيد من المال.

ولم يسمع بيروغيا الطرقة على الباب التي أخبره السينيوري أن يتوقعها حتى أواخر نوفمبر (تشرين الثاني)، بعد مضيّ ثلاثة أشهر كاملة على السرقة. ولما فتح الباب ظهر مفتش من دائرة ليبين ومعه شرطي قالا إن لديهما أمراً باستجوابه وتفتيش شقته. ودعاهما الدهان الى الدخول وقدّم الى المفتش كرسياً مخلعاً. وجلس هذا يطرح عليه الاسئلة فيما الشرطي يتفحص المكان بدقة.

وعلى بساطته، كان ذلك الايطالي على شيء من الدهاء. كما كان ممثلاً موهوباً، في إمكانه افتعال الحيوية والمرح متى شاء. وحين سُئل عن سبب تأخره عن العمل صبيحة السرقة، هزّ كتفه وقال: "لا أذكر إن كنتُ تأخرت ساعتين عن العمل صباح الاثنين ٢١ اغسطس (آب). غير أن هذا ممكن. وإذا حصل فعلاً، فتفسيره أني نمتُ أكثر من المعتاد، كما يحصل أحياناً أيام الاثنين."

وكانت طريقته في الكلام صادقة وضحكته حارّة، الى حدّ أن المفتش برأه فوراً على رغم الحجة ضده، وهي عمله كزجاج ومعرفته بالمتحف والشبه بينه وبين "الرجل ذي قبعة القش" الذي وصفه نداء الشرطة الى سكان باريس.

وهكذا انتهى عذاب بيروغيا. وانتظر أياماً ثم حمل الموناليزا في ثوبها المخملي الانيق الى مخدعه الحقير. وبمعاونة فينسنزو لانسيلوتي، صنع صندوقاً صغيراً ذا قعر مخفيّ لايواء التحفة. ووضع فوقها بعض الادوات والملابس للتمويه. ثم أدخل الصندوق غرفة الخزن الصغيرة تحت النافذة. وأخيراً استرخى على مقعده وراح يفكر في السينيوري وما عساه يطلب إليه فعله قريباً.

وانتهت تلك السنة بطقس بارد وماطر. وفي ربيع ١٩١٢، بات معظم الباريسيين يسلم بأن الموناليزا ولت الى غير رجعة. وعمد المسؤولون في اللوفر الى تعليق لوحة مكانها من أعمال رفاييل، وهي تمثل بلداسار كاستيليوني أحد رجالات البلاط في عصر النهضة. وكان ذلك قراراً أليماً، معناه أن فرنسا لم تعد تنتظر عودة ابنتها الضالة.

أما فينسنزو بيروغيا، حارس الموناليزا الجديد، فقد انتظر بقلق وصول تعليمات السينيوري. لكنها لم تصل على الاطلاق.

وفي تلك الاثناء حمل فالفييرنو وشريكاه لوحات شودرون الرائعة وانطلقوا بها في أرجاء الولايات المتحدة لاشباع نهم الزبائن. وتذكر الماركيز لاحقاً أن الاتصال بالزبائن تمّ على خير وجه. فكان الوسيط يعرض عليهم أولا الصحف بعناوينها التي تتكلم عن السرقة، ثمّ يلي ذلك لقاء سرّي يتمّ خلاله تسليم اللوحة الملفوفة بأقصى عناية. وما أن يفضّ الشاري غلاف التحفة حتى يقف مذهولا. وأخيراً يسحب من جيبه المبلغ المتفق عليه نقداً، فيحمله الوسيط ويخرج برباطة جأش. وكان كل زبون، بحسب قول فالفييرنو، "على يقين بأنه مالك الموناليزا الاصلية." ومن الطبيعي أن يخشى عرضها على خبير، لأن اقتناءه إياها يعني أنه بات شريكاً في جريمة سرقتها.

وادّعى فالفييرنو لاحقاً أنه شاء على الدوام إعادة الموناليزا الى اللوفر سراً. وهو لم يبح قط بالمبالغ التي تلقاها ثمناً لروائع شودرون. إلا أن مصادر مقرّبة منه قالت ان كل شار دفع مبلغ ٣٠٠ ألف دولار. وإذا صحّ هذا، فالمبلغ الاجمالي يكون مليوناً و٨٠٠ ألف دولار، أي ما يعادل ١٨ مليون دولار هذه الايام.

وعندما اجتمع فالفييرنو وشريكاه في نيويورك لاقتسام الاموال نال الماركيز حصة الاسد. وكان ايف شودرون أخذ حصته من فالفييرنو، إلا أن حوالة إضافية ضخمة حوّلت الى حسابه في فرنسا.

وبعد ذلك اختفى الماركيز مدة طويلة أمضاها في أفخم منتجعات افريقيا الشمالية والشرق الاوسط. وهناك تجاهل بيروغيا، ولم يفكر في

إرسال مبلغ من المال إليه ليحافظ على الصمت ويتمكن من ايفاء ديونه.

ومعظم تلك السنة، اعتصم بيروغيا بالأمل الذي زينه لنفسه حول عودة السينيوري الى باريس بجيوب منتفخة. غير أن أفكاره حول فالفييرنو بدأت تتبدل، وهو لا يصدّق كيف يستحيل رجل قوي الشخصية كاذباً من هذا العيار. واقتنع بيروغيا بأن سيده اختفى ومعه المال الذي بدّده على طاولات القمار والنساء.

وظل بيروغيا يتساءل حيناً عما إذا كان السينيوري مات. لكنه ما لبث أن أدار ظهره للامر، مقتنعاً بأنه هو نفسه بطل الموناليزا وانه، في أي حال، مالكها الحالي.

ها هو الدهان المنزلي البسيط، اذاً، يخلق حول نفسه هالة من العظمة وملحمة هو بطلها الاوحد. وفي تلك الرواية أبقى السينيوري وحتى الاخوين لانسيلوتي الامينين خارجاً. وصور لنفسه أنه بطل قومي عمد الى إخراج الموناليزا من اللوفر لاعادتها الى وطنها الأم، وطنه هو. ومع نهاية العام ١٩١٣، كان بيروغيا كوّن أفكاره الخاصة حول الموناليزا.

الى ايطاليا

يوم الاربعاء في العاشر من ديسمبر (كانون الاول) لفّ البرد مدينة فلورنسا الايطالية التي بدت خالية من سكانها. واختلط الثلج بسحب الدخان المتصاعدة من قطارات المحطة الرئيسية للسكك الحديد. وبين الوافدين باكراً من الشمال عامل مربوع القامة يرتدي معطفاً أسود ويحمل على كتفه صندوقاً خشبياً كان مطلياً باللون الابيض قبل ان يتسخ ويبلى.

وعبر بيروغيا بصندوقه الساحة وسار نحو فندق قديم في شارع بنزاني، اسمه "نزل طرابلس - ايطاليا". وفي ردهة الفندق القذرة، دوّن اسم "السيد ليونارد" في قائمة النزلاء، وصعد الى غرفة حقيرة في الطبقة الثانية. وهناك خلع حذاءه وتمدد على السرير. ها هو، إذاً، مع المادونا في ايطاليا. وقرر ان يستريح قليلا ثم يزور السيد جيري.

وألفريدو جيري هذا رجل ممتلىء الجسم، مرح المعشر، وصاحب صالة الفن القديم والحديث في الرقم ١٢ من شارع بورجو اوغنيسانتي في فلورنسا، ومن أشهر تجار اللوحات الاثرية في المدينة. وكان هذا تسلم رسالة من باريس تحمل تاريخ ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني)، كتبت بخط رديء ومهرت بتوقيع "ليونارد". وأسر كاتبها ان لوحة الموناليزا في حوزته، وأنه يرغب ان يعيد الى بلاده أحد الكنوز الكثيرة التي سرقت ايام نابوليون. وذكر الكاتب صندوقاً بريدياً باريسياً لمراسلته عليه.

وراود جيري شعور برمي الرسالة في سلة المهملات على أنها ادعاء جاهل. ذلك ان الموناليزا لم تسرق في المرحلة النابوليونية، بل باعها الفنان نفسه للملك فرنسيس الاول. ولكن بما ان اللوحة فقدت طوال السنتين الاخيرتين، أيعقل ان تكون حقاً بين يدي المدعو ليونارد؟

وعرض جيري الرسالة على صديقه

جيوفاني بوغي، مدير صالة اوفيتزي الشهيرة في فلورنسا، الذي نصحه بأن يتحرى كاتبها مهما تبين له من غروره وادعائه، وأن يبوح له برغبته في فحص اللوحة قبل اتخاذ أي قرار.

وبعد تبادل عدد من الرسائل والبرقيات، تلقى جيري برقية في ٩ ديسمبر (كانون الاول) تقول ان ليونارد في طريقه اليه.

وفي لقائه الاول مع الفريدو جيري مساء تلك الاربعاء راح بيروغيا يقصّ عليه رواية السرقة، ناسباً دور البطولة الى نفسه. واتفق الاثنان على مبلغ نصف مليون لير ثمناً للوحة، وضربا موعداً تالياً عصر اليوم اللاحق، على ان يقصد جيري الفندق بمعية "خبير فني" للكشف عن اللوحة.

وفي وقت باكر من عصر الخمسين تسلق جيري وبوغي السلم المؤدية الى غرفة بيروغيا. وأغلق بيروغيا الباب ثم سحب الصندوق الابيض من تحت سريره. وفتحه وأخرج منه كومة من الملابس المتسخة الرديئة الرائحة والاحذية القديمة وفراشي الدهان وآلة ماندولين، وضعها كلها على الارض. ثم أزاح القعر الزائف وأخذ اللوحة التي ما زالت في غلافها المخملي الاحمر.

وبعد انتزاع الغلاف يتذكر جيري ما حدث: "وقفنا ننظر مشدوهين اذ لاحت لنا الجوكوندا الخالدة وقد حُفظت على أتمّ وجه. وحملناها نحو النافذة لمقارنتها بصورة فوتوغرافية أحضرناها لهذا الغرض. ولما فحصها بوغي لم يخالطه ايُ شك في أنها الموناليزا الاصلية بالذات."

واذ وقف بيروغيا يتبسم برضا كما لو كان هو نفسه ليوناردو، طلب اليه بوغي أن يأخذ اللوحة الى مكتبه لاجراء فحوص أكثر دقة عليها. وأكد له ان الحظ سيبتسم له اذا تمّ كل شيء كما يرام. ووافق فينسنزو على الفور، ولفّ اللوحة من جديد. وأخذها الرجال الثلاثة بالحافلة الى صالة اوفيتزي.

هناك اخذ بوغي وجيري يدققان في اللوحة. وبدا ان تفاصيلها جميعاً تلائم ما كتب عنها، بما في ذلك الشقوق على الوجه واليدين وفي ناحيتها الخلفية. واذ ذاك زالت شكوكهما الاخيرة حول أصالتها... انها تحفة ليوناردو دا فينشي بالذات.

ومن أجل كسب الوقت، عمد البروفيسور بوغي الى اخبار بيروغيا انه ينبغي الحصول على "تعليمات روما" قبل المضيّ في الامر المتفق عليه. وطلب اليهما فينسنزو ان يسرعا في بتّ المسألة لانه يحتاج الى المال. وعبر الرجلان عن حسن نيتهما، وصافحاه بحرارة وشكراه على بادرته الوطنية القيمة. وودعهما فينسنزو وقفل عائداً الى نزل طرابلس - ايطاليا.

وما أن أدار ظهره حتى وجه بوغي وجيري برقية الى كورادو ريتشي المدير العام لوزارة الفنون الجميلة الايطالية، الذي أسرع من روما الى فلورنسا للاشراف على المسألة شخصياً. وفي اليوم التالي الواقع فيه ١٢ ديسمبر (كانون الاول) فحص ريتشي اللوحة وأقرّ بأصالتهما. وما

هي الا ساعات حتى اعتقل بيروغيا في فندقه بتهمة سرقة الموناليزا. ونقله رئيس شرطة فلورنسا واثنان من معاونيه بسرعة الى سجن موراتي المحلي. وحان وقت اعلان الخبر المثير: "لقد تم العثور على الجوكوندا." وأحدث الخبر الذي نشرته عناوين الصحف حول العالم صبيحة اليوم التالي ضجة كبرى. الا انه لم يصعق أحداً مثلما صعق الذواقين الستة عبر الاطلسي والماركيز الارجنتيني المحتال الذي كان يمضي اجازة في مراكش.

عودة الابن الضال

انهالت رسائل التهنئة على فلورنسا، وأعلنت الحكومة الايطالية أنها ستعيد التحفة المسروقة الى بلدها بالتبني "كعلامة للصداقة والتضامن بين الامتين." الا أنها استأذنت الحكومة الفرنسية لعرضها أولا في ايطاليا. ووافق الفرنسيون على ذلك الطلب، مع أسمى آيات الود والشكران.

وأعلن ان بيروغيا الايطالي الجنسية لن يسلم الى بلد اقامته، بل ستجري محاكمته في ايطاليا. ومرة اخرى وافقت السلطات الفرنسية. اما بيروغيا نفسه فجن جنونه لوضعه في السجن، وسرعان ما خرج عن صمته ليخبر الشرطة اسمه الاصلي وتفاصيل حياته في باريس. غير انه زور حقائق عدة عن السرقة ليبقى بطلها الاوحد بلا منازع.

وكان عطف الناس يزداد عليه. وشغفوا بذلك المواطن الريفي الساذج غير المثقف الذي حول فحول علماء الجريمة في اوروبا أغبياء. وتحت عنوان: "بيروغيا في سجن موراتي" نشرت صحيفة "ناسيوني" (الامة) كلمات فينسنزو الآتية: "لقد أديت خدمة جلى لايطاليا، اذ اعدت اليها كنزاً لا يقدر بثمن. وعوضاً عن شكري على ذلك، ها هم يضعونني في السجن."

أما في باريس فقد أسفر تفتيش الشرطة غرفة بيروغيا عن اخراج دفتر خاص ومفكرتين صغيرتين. واحتوت المفكرتان على اسماء بعض تجار الفن وجامعي اللوحات الاثرياء في ايطاليا وبريطانيا والولايات المتحدة، ولكن لم يكن من ذكر لفالفييرنو أو لأي من الآخرين الذين اشتركوا في السرقة. وكذبت تلك القائمة زعم بيروغيا انه لم يلجأ الى السرقة طلباً للمال، وبينت انه وجد فيها سبيلا الى الثراء. ومن غرائب الامور ان تلك المفكرة ما لبثت ان اختفت الى غير رجعة. فلا هي وجهت آنذاك الى المدعي العام في فلورنسا، ولا أثر لها اليوم في مركز الشرطة في باريس.

وبقيت الموناليزا معلقة بجلال ملكي اياماً في صالة اوفيتزي، تحميها مفرزة كبيرة من الشرطة الايطالية ورجال الامن. وعرضت بعد ذلك في روما وميلانو. وأينما وجدت، كانت الالوف المؤلفة من الناس تتبعها كي تلقي نظرة على أعظم كنز خرج من ايطاليا. وأخيراً، في ٣١ ديسمبر (كانون الاول) عبرت رائعة ليوناردو الحدود وسط ابتهاج

الفرنسيين العظيم. وفي احتفال مؤثر في الرابع من يناير (كانون الثاني) ١٩١٤ أعيدت الى الصالة المربعة في اللوفر، وذلك بعد مضي سنتين وأربعة أشهر و١٤ يوماً على سرقتها.

بيروغيا في المحكمة

في فلورنسا اخضع الدهان العاثر الحظ لسلسلة من الاستجوابات الصارمة. وفي لحظة ضعف انهار وباح بأسماء شركائه الثلاثة: الاخوين لانسيلوتي وفرنسواز سيغنو. وما لبث ان سحب اعترافه، مكتفياً بالقول ان فينسنزو لانسيلوتي ساعده في اخفاء اللوحة أياماً، ثم في صنع الصندوق، وان الاخوين رافقاه الى محطة القطار وهو في طريق عودته الى الوطن.

والواقع ان السلطات الفرنسية اعتقلت الاشخاص الثلاثة في باريس في ٢١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٣،

لغز الموناليزا... لغز الموناليزا... لغز الموناليزا... لغز الموناليزا

على رغم تجاوزها الـ٤٥٠ عاماً، فثمة أسئلة محيرة لا تزال تطرح حول الموناليزا. وربما لم تثر لوحة اخرى هذا المقدار من الجدل الذي أثارته الموناليزا منذ أول عهدها. ويقول المؤرخ الفني الامريكي روي ماكمولن: "اللوحة لا تحمل توقيعاً ولا تاريخاً. وليس هناك أي أثر لتكليف فنان معين برسمها أو وثائق حول مبلغ تقاضاه. كما لا نجد اشارة الى العمل في المراسلات الايطالية الكثيرة التي ترقى الى مطلع القرن السادس عشر."

ويعتقد معظم الخبراء ان ليوناردو دا فينشي بدأ رسم اللوحة عام ١٥٠٣، وانه أمضى سنوات طويلة لانجازها، الامر الذي يبين استحواذها عليه. ولكن من كانت المرأة التي يمثلها الرسم؟

أقدم اجابة عن هذا السؤال نجدها في سيرة ليوناردو التي كتبتها جورجيا فاساري عام ١٥٥٠، والتي جاء فيها ان "ليوناردو تعهد امام فرنشيسكو دل جيوكوندو برسم زوجته موناليزا." وعبارة "مونا" تلك الايام تصغير لعبارة "مادونا" التي تعني "سيدتي". وعائلة زوجها، جيوكوندو، تفسر لماذا أطلق الفرنسيون اسم "لاجوكوند" والايطاليون اسم "لا جيوكوندا" على اللوحة. وتضيف السيرة: "عمل ليوناردو على تلك اللوحة أربع سنوات، ثم تركها من غير أن ينهيها. وهي اليوم في فونتينبلو، في حوزة صاحب الجلالة فرنسيس ملك فرنسا."

ومن فونتينبلو وجدت اللوحة طريقها الى متحف اللوفر في باريس. الا ان رواية فاساري تحوي عقبتين خفيتين. فعندما باشر ليوناردو رسم اللوحة، كانت ليزا دل جيوكوندو في الرابعة والعشرين. لكنّ العديد من المراقبين يجد ان لوحة اللوفر تظهر امرأة في اواخر الثلاثينات او مطلع الاربعينات من عمرها. أضف الى ذلك ان لوحة اللوفر مكتملة حتى في اصغر تفاصيلها، في حين ان رواية فاساري تتكلم عن لوحة غير كاملة.

وهكذا أثير الشك حول فرادة لوحة اللوفر منذ البداية. وثمة نظريات اخرى

ووجهت اليهم تهمة "الاشتراك في جريمة سرقة بتسلمهم عملا فنياً مسروقاً من متحف رسمي". الا ان أحداً منهم لم تجر محاكمته، لان الدليل الوحيد ضدهم هو شهادة بيروغيا الموجود في ايطاليا على بعد ١١٤٠ كيلومتراً ، والذي بدت اعترافاته مثقلة بالاخطاء على نحو مطرد. يضاف الى ذلك ان فتح محاكمة في هذا الخصوص من شأنه اربـاك السلطات الفرنسية وفضح ضعفها الذي سهل حصول السرقة. فلماذا تفتح الجروح القديمة وقد أعيدت الجوكوندا الى مكانها في اللوفر وسط حراسة عززت كثيراً.

وفي تلك الاثناء كان بيروغيا قد غدا بطلا قومياً. وحملت زوايا القراء في الصحف مئات الرسائل التي اعلن كتابها اعطفهم عليه. وراقه ذلك بادىء الامر، لكن القلق أخذ طريقه

اليزا... لغز الموناليزا... لغز الموناليزا... لغز الموناليزا... لغز المونا

حولها، تقول احداها ان ليوناردو ربما أنجز لوحتين او ثلاثاً أو أكثر للسيدة ليزا، وتقول اخرى انه ربما أنجز رسمين لامرأتين متشابهتين، وثالثة ان الموناليزا ليست رسماً لامرأة واحدة، بل لمجموعة نساء نبيلات اعجب بهن الفنان وأعاد تكوين ملامحهن في عين مخيلته، ورابعة انها تمثل امرأة اشتهرت في بلاط نابولي، وانها كانت حبلى لدى رسمها.

ومهما يكن الامر، فان رسم ليزا دلجيوكوندو وجد ضمن المجموعة الفنية للملك فرنسيس الاول، وارتحل من مكان الى آخر، بما في ذلك غرفة نوم الامبراطور نابوليون في قصر تويلري عام ١٨٠٠، في طريقه البطيء الى متحف اللوفر.

ويقول جوزف فيتش كاتب مقال الموناليزا في الموسوعة البريطانية: "هناك اثنتا عشرة لوحة على الاقل تمثل بامتياز عمل ليوناردو دا فينشي المعروف بال"موناليزا". والكثير من هذه اللوحات أنجزها تلاميذ ليوناردو. وقد ادعى بعض مالكيها، في وقت او آخر، انه صاحب العمل الاصلي".

وفي العام ١٩٥٥ نظم المفوّض الفرنسي غي اينار، وهو اكبر مرجع قانوني في فرنسا حول الرسوم المنحولة، معرضاً دولياً في باريس تحت شعار: "الزائف في الفن وفي التاريخ". وحصل معاونوه على اثنتي عشرة نسخة ممتازة للموناليزا.

وليس سهلا على الاطلاق فصل القول في أيها تكون الموناليزا الاصلية. فهناك نماذج في المجموعات الخاصة والمتاحف وصناديق المصارف حول العالم. يضاف الى هذا مجموعة من الاوروبيين والامريكيين التي تدعي سراً أنها تحوز اللوحة الحقيقية. ومعظم هذه اللوحات قديم، الا ان ثلاثاً منها تستحقّ الذكر:

١. موناليزا هيكينغ

هذه اللوحة ابتاعها تاجر الفن الهولندي ريمون هيكينغ وابنه جان من محل للاثريات عام ١٩٥٤، وأودعها مصرفاً في الجنوب الفرنسي. وقد تمّ نسخ اللوحة من

اليه مع تأجيل موعد المحاكمة مرة بعد اخرى. وكلما أثير موضوع الموناليزا امامه، كان يضطرب ويتكلم من غير تفكير.

لكن بيروغيا أصرّ على كونه الفاعل الوحيد. وبعد ذكره الاخوين لانسيلوتي كفّ عن ذكر أي شريك آخر.

وكان منذ البداية تـرك فالفييرنو خارجاً حتى بات على قناعة بأنه بطل المغامرة الاوحد. ولم يبارحه الامل قط بأنه لا بدّ من أن يبّرأ في قاعة المحكمة.

أما لغط العامة فخمد بعد شهر او اثنين. وحين بدأت محاكمة بيروغيا في ٤ يونيو (حزيران) لم يحضر من اولئك القوم الا حفنة ضئيلة. وتميزت شهادة بيروغيا بنوبات من الغيظ والهذيان، خصوصاً عندما طلب اليه جانب الادعاء ايضاح دوافعه. وبلغ

ليزا... لغز الموناليزا... لغز الموناليزا... لغز الموناليزا...

الخشب الى القماش في اواخر القرن التاسع عشر، ولكن تبين ان انجازها الاصلي تمّ سريعاً، وهذا لا ينطبق على فن ليوناردو. وفي أحسن الحالات، يمكن أن تكون اللوحة أُنجزت في مشغل ليوناردو.

٢ - جيوكوندا بوليتزر

هذه يطلق عليها ايضاً اسم "صيغة آيلوورث". وفي خصوصها تقول دائرة المعارف الامريكية: "بما أنه لا يوجد تصميم أصلي للموناليزا، فلا يستبعد ان يكون ليوناردو رسم النسخة الاولى على قماشة قبل ان ينجز اللوحة النهائية. وفي رأي كثيرين ان صيغة آيلوورث في بريطانيا أجمل من تلك المحفوظة في اللوفر." وفي هذه الصيغة تبدو امرأة أصغر سناً وأكثر جمالا وجلالا. الا ان خصائصها الفنية تقل عن ابداع ليوناردو.

٣ - موناليزا فيرنون

هذه أهم اللوحات خارج اللوفر. وقد أدخلها أمريكا وليم هنري فيرنون عام ١٧٩٧، وهي الآن مودعة أحد مصارف نيوجرزي. وتبدو بطلة هذه اللوحة أصغر سناً وأكثر حيوية وجمالا، ولا تقلّ دقة تفاصيلها الفنية عنها في لوحات ليوناردو الاخرى. وقد اخضعت لوحة فيرنون لفحوص علمية جاءت نتائجها كلها ايجابية من حيث كون ليوناردو أنجزها. وأهم الدلائل ان واضع اللوحة أعسر، مثل ليوناردو. ومن الدلائل الاخرى احتواء لوحة فيرنون على عمودين جانبيين، عرف أنهما أزيلا من لوحة اللوفر. وهذا يعني ان ثمة براهين قوية تشير الى أن لوحة فيرنون تمثل ليزا الشابة، وهي المرأة نفسها التي تبدو أكبر سناً في لوحة اللوفر. ونظراً الى هذه البراهين، لم يتورّع محررو مؤسسة "تايم - لايف" عن القول، في مجلد فني أصدروه عام ١٩٦١ في سلسلة "المكتبة العالمية"، ان صيغة فيرنون هذه هي الموناليزا الاصلية.

اضطرابه حداً لا يوصف عندما سئل عن رحلة قام بها الى لندن خلال اختفاء الموناليزا (ربما لتدبير شار لها)، كذلك عندما ذكر مبلغ الخمسمئة الف لير الذي اتفق عليه مع الفريدو جيري.

الا ان السلطات الايطالية لم تحرم العطف الدهان الشاب الذي أعاد تحفة ليوناردو الشهيرة الى مسقط رأسها وذكر العالم بأمجاد عصر النهضة في ايطاليا. ولم تكن هناك رغبة حقيقية في معاقبة بيروغيا أو فضح دوافعه الحقيقية.

ولفظت المحكمة حكمها على فينسنزو بيروغيا بالسجن سنة وخمسة عشر يوماً. وباستئناف الدعوى انزلت مدة العقوبة الى سبعة أشهر. وبما أنه كان أمضى في السجن تسعة أيام زيادة على الاشهر السبعة، فقد أطلق سراحه فوراً. وهكذا، في ٢٩ يوليو (تموز) ١٩١٤، وجد بيروغيا نفسه في فقر مدقع وبلا هدف،وليس له سوى الحرية. وبعد نحو ثلاث سنوات أسدل ستار على الرواية، وعاد هو والموناليزا من حيث انطلقا.

وسأله المحامي: "أين ستذهب الآن؟"

وهزّ بيروغيا كتفيه وقال: "الى مسقط رأسي في دومنزا. غير اني مُتعب. وسأبيت هذه الليلة في الفندق عينه حيث أمضيت ليلتي الاولى."

وأجابه محاميه: "لكنك ستُفاجأ بأمر، وهو أن اسم الفندق لم يبقَ "طرابلس - ايطاليا"، بل "نزل الجوكوندا" الآن".

خاتمة

اليوم لم تعد الموناليزا في الصالة المربعة، لكنهافي صالة الدول، حيث وضعت ضمن تجويف بني خصيصاً لها للحافظ على الرطوبة والحرارة المناسبتين. كما وضعت ضمن وقاء زجاجي كثيف. ولم يتبدل الا القليل القليل داخل اللوفر منذ ذلك اليوم الحاسم من شهر اغسطس (آب) ١٩١١.وما زالت حجرة الايداع التي أمضى فيها بيروغيا والاخوان لانسيلوتي تلك الليلة في مكانها، خلف الباب المرتفع على هيئة لوحة في صالة دو شاتل. وفي امكان الزائر ان يقتفي بعض آثار افراد العصابة وهم يحملون الجوكوندا من الصالة المربعة الى الباب في اسفل سلم الخدمة عبر الصالة الكبرى. ومن الامور التي تبدلت ان عدد الحراس بات كبيراً جداً اليوم بالنسبة الى تلك الايام.

ولا أحد يعرف شيئاً عما فعله لوي بيرو والاخوان لانسيلوتي وفرنسواز سيفنو وسائر ابطال الرواية الثانويين بقية ايام حياتهم. لكن الفنان المزور شودرون أمضى حياته بهدوء وراحة في مزرعته بالقرب من باريس. واعتزل العمل بعد ذلك الاحتيال الضخم. الا انه، على ذمة الماركيز، عاونه في بعض العمليات اللاحقة.

اما فالفييرنو فتوفي عام ١٩٣١، ولكن بعدما روى القصة من جانبه. وقد افشى بها الى صديقه القديم الصحافي الامريكي كارل ديكر، وذلك في يناير (كانون الثاني) ١٩١٤ حين كان الماركيز يمضي فصل الشتاء في

مراكش بعد مرور اسابيع على اعتقال بيروغيا ·وهو باح لصديقه بجميع ملابسات الرواية بعدما استحلفه ان يكتم الامر ما دام حياً· وحفظ ديكر العهد وقد راودته شكوك كثيرة حول صحة ادعاء فالفييرنو·

واستنكر الماركيز ذهاب بيروغيا الى ايطاليا، قائلا انه حماقة عظيمة· غير ان فالفييرنو لم يكن له ما يخشاه شخصياً، لانه حرص على سر هويته ومكان وجوده، ولأن بيروغيا اختار، لاسبابه الخاصة، أن يبقيه خارج اللعبة· ولم يشك في أن يكون بيروغيا صنع هالة من البطولة والعظمة حول نفسه· وذلك لم يزعج الماركيز البتة·

وبعد تسع عشرة سنة نشر كارل ديكر المعلومات الجديدة عن تلك السرقة الكبرى· الا أن روايته لم تحدث الضجة المرجوة في عالم اغرقته الازمة الاقتصادية الخانقة·

وأما فينسنزو بيروغيا فعاد الى دومنزا حيث استقبلته عائلته استقبال الابطال، وانضمّ اليها معظم السكان المحليين· وما لبث ان انخرط في الجيش الايطالي واشترك في الحرب العالمية الاولى، ثم وقع اسيراً في أيدي الاعداء· وبعد اعتاقه في نهاية الحرب عاد الى دومنزا لفترة وجيزة· واذ لم يجد عملا هناك، قرر التسلل الى فرنسا، متحدياً خوفه من الوقوع في قبضة العدالة· واستخدم اسمه الاوسط بييترو لئلا تكشف الشرطة أمره، واستقرّ في بلدة سان مور دي فوسي، احدى ضواحي العاصمة الفرنسية·وفي اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢١ زار دومنزا للمرة الاخيرة،حيث تزوج فتاة من عائلته وعاد واياها الى فرنسا· لكنه عمر اربع سنوات اخرى، مات على أثرها بنوبة قلبية· وهكذا، في اكتوبر (تشرين الاول) من العام ١٩٢٥، لفظ خاطف الموناليزا أنفاسه الاخيرة وله من العمر ٤٤ سنة·

■ سيمور رايت

حرية الاختيار

المجتمع العادل هو مجتمع منفتح، حيث الافراد يختارون ما يوافقهم من ضمن تعاقد حرّ يحدد المسؤوليات والمحدوديات بين الفرد والفرد من ناحية، وبين الفرد والدولة من ناحية اخرى·

من هنا كان لا بد من بعض غموض في كل نظام تعاقدي، اذ ان الغموض هو الوجه الآخر لحرية الاختيار· ولقد قيل ان البرهان على نضج الفرد هو قدرته على أن يحيا وسط الغموض· والمجتمع العادل يقوم على استطاعتنا ان نعيش مع الغموض، مدركين ان الامور الواضحة قليلة جداً، وأن أصعب مواقف الحياة هي المواقف الغامضة، علماً ان أعمق طموحات المرء تتساوى من حيث الثمن والفائدة، وان الخير المطلق والشر المطلق لا وجود لهما في المجتمع·

وبكلمة اخرى، يمكننا القول ان المجتمع العادل يرتكز على ادراكنا حرية الاختيار والدفاع عنها· والاختيار يوسع رؤانا البشرية، وهو يقتضي التفكير والالتزام والمخاطرة، وما يلازم ذلك كله من عدم يقين· أما نقيض الاختيار فلا يقتضي الا الطاعة·



صور من الحياة

ناصرة القانون

لدي صديقة لا تستطيع السكوت عن اولئك الذين لا يحترمون القوانين والتعليمات. ومرة خرجنا معاً من مكتبة الجامعة لنرى شخصاً يوقف سيارته في مكان مخصص للمعاقين. فاعترضت صديقتي طريقه وبادرته بالآتي: "انك لا تبدو عاجزاً."

ونظر الرجل اليها باندهاش، وقبل أن يصحو من ذهوله أضافت بنبرة شفقة: "هل انت عاجز عقلياً؟"

وللحال عاد صاحبنا الى سيارته وشرع يبحث عن موقف آخر.

الذكاء انواع

راحت فتاة شابة تقص على صديقتها الأسباب التي جعلتها تفضل أحد معارفها على الآخر وتقرر الزواج به: "عندما قويت معرفتي بجميل، ظننت أنه أذكى انسان في العالم."

– هذا رائع! ولكن لماذا آثرت سليماً عليه؟

"لأني في حضور سليم، أظن أني أنا أذكى انسان في العالم."

ب.هـ.

هموم الأمهات

خابرتُ ابنتي المتزوجة لأتفقد شؤونها العائلية، فاخبرتني ان ابنيها، واحدهما عمره ثلاث سنوات والآخر تسعة اشهر، لا يقر لهما قرار. واضافت: "آه يا امي، لكم اتمنى ان اكون الخادمة وان تأتي امهما سريعاً لتأخذ هذا العبء عني."

هـ.ك.

النظافة صنو الوحدة!

كلما اخذت ولديّ الصغيرين لزيارة امي ذات الستة والثمانين عاماً، كانا يملآن منزلها الصغير ضجيجاً ويعبثان بمحتوياته. ومرة تبعتهما أُعيد كل شيء الى مكانه. وأخيراً طفح كيلي، فصرختُ بهما: "كفا عن هذا الصخب وإلاّ انصرفنا. ألا تعرفان ان النظافة صنو..."

وهنا اعترضت امي لتقول: "الوحدة."

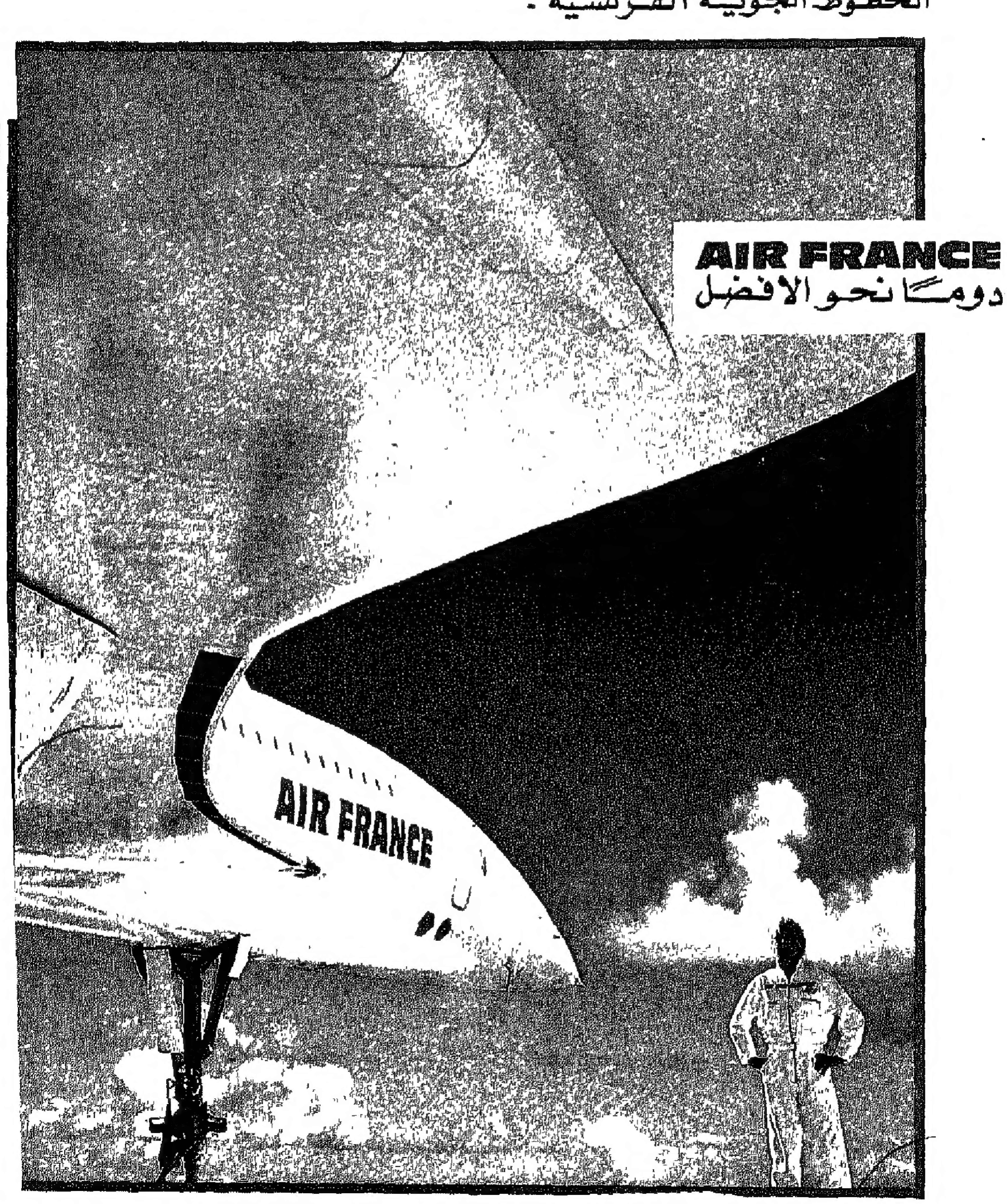
ونظرت الى الفوضى حولها بعينين كلهما فرح وتابعت: "النظافة صنوُ الوحدة."

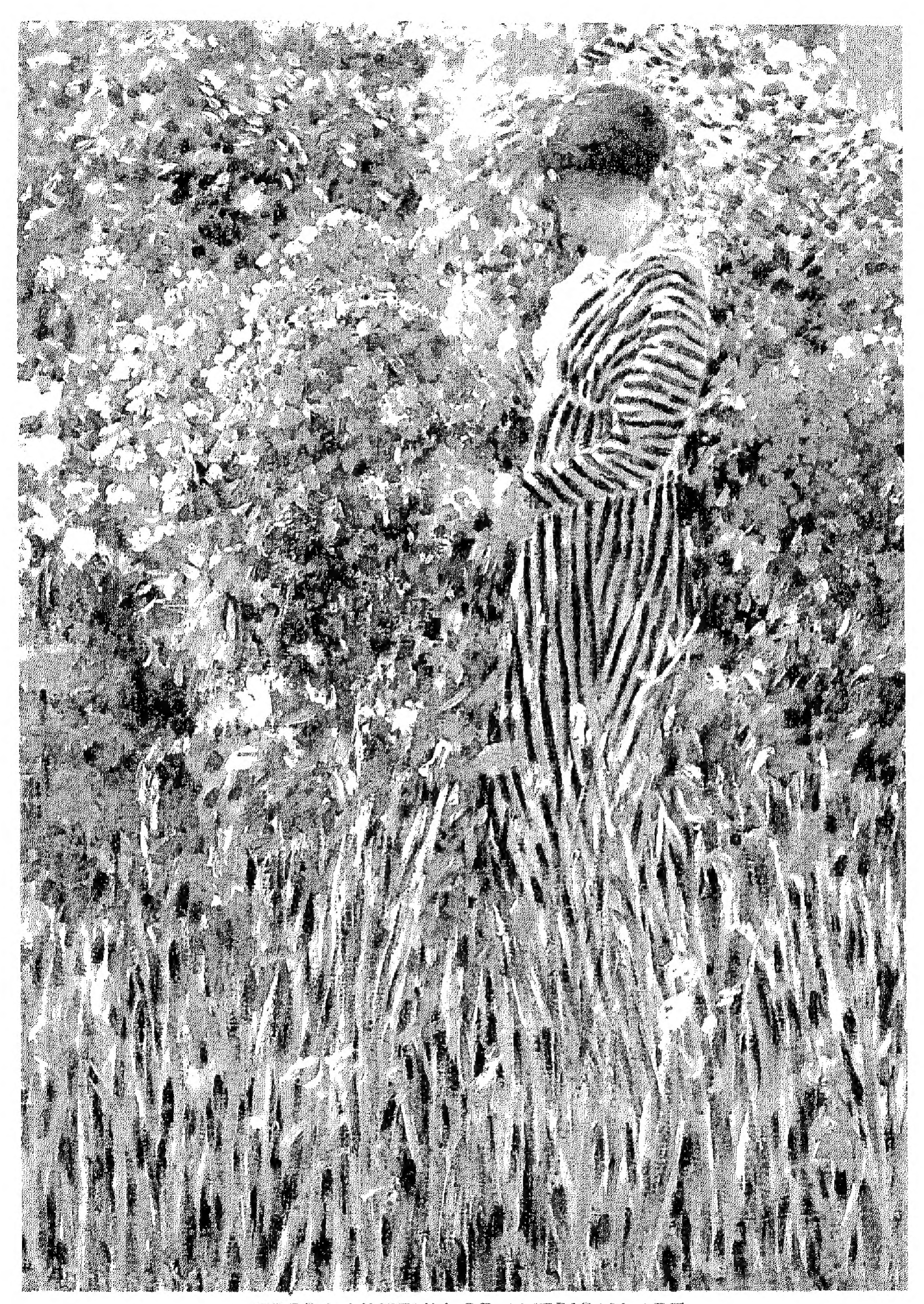
وبعد ذلك لم اعد ألجم ولدي عن اللعب بحرية.

ا.ا.

كفاءة عالية

الكونكورد . انها الأسرع والأكثر قدرةً والأقدم خبرةً في نقل المسافرين جوًا في أيامنا الحاضرة . لذلك، طيّارونا يقودون الكونكورد باعتزازٍ كبير.
أما التقنيّة الشاملة التي تتمتع بها الكونكورد، فهي مثالٌ آخر على المستوى العالي للكفاءة التي لا بُدّ وأن تلمسها حين تسافر مع الخطوط الجويّة الفرنسيّة .





TERRA MUSEUM OF AMERICAN ART